جمعية المأذونين الشرعيين
بجمهورية مصر العربية

تقدم
هدية المأذون لكل عروسين
كتاب

تحفة العروسين ومرشد الزوجين

إرشادات ونصائح للراغبين فى الزواج والقائمين به والمتزوجين
على ضوء من الكتاب والسنة واستئناساً بأبحاث علماء النفس
والاجتماع والطب والجنس لإقامة بيت إسلامى سعيد

إعداد
الفقير إلى الله
محمد طاهر حراشى
رئيس جمعية المأذونين الشرعيين
بجمهورية مصر العربية



جمعية المأذونين الشرعيين
بجمهورية مصر العربية

تقدم

هدية المأذون لكل عروسين

كتاب

تحفة العروسين ومرشد الزوجين

إرشادات ونصائح للراغبين فى الزواج والقائمين به والمتزوجين
على ضوء من الكتاب والسنة واستئناساً بأبحاث علماء النفس
والاجتماع والطب والجنس لإقامة بيت إسلامي سعيد

إعداد

الفقير إلى الله

محمد طاهر خراشي

رئيس جمعية المأذونين الشرعيين

بجمهورية مصر العربية

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ — ١٩٩١ م

الناشر

جمعية المأذونين الشرعيين

بجمهورية مصر العربية

المسجلة برقم ٥٩١ لسنة ١٩٦٧ بوزارة الشئون الاجتماعية

شارع القلعة عطفة سرور أغا رقم ٣ بالحلمية

دار الطباعة المحمدية

٣ درب الأتراك بالأزهر

تصـــدير

بقلم: فضيلة الشيخ منصور الرفاعي عبيد
مدير عام المساجد بوزارة الأوقاف

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الهدى والرشاد وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا مسالك الهدى والسداد وساروا على الطريق السليم الذى رسمه لهم رب العزة. ففازوا فى الدنيا براحة البال. وهدوء السر. والحال وتقلبوا فى نعيم السعادة ووصلوا إلى قمم العزة كما أنهم فازوا برضوان الله. الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات الفردوس خالدين فيها تتلقاهم الملائكة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين.

أما بعـــد:

فيأيها القارىء الكريم:

إن الذى بين يديك. جهد عالم وفكر باحث. أسهر ليله وأعمل فكره وأجهد عقله ليقدم إليك خلاصة جهد العقل وسهر الليالى وثمرة البحث. فى مئات الكتب والمراجع. ليستخلص لك العبرة. ويقدم بين يديك ما سوف تطالعه ليحدد لك أسهل الطرق فى بناء أسرة تعيش مستقرة وتنعم بالسعادة.

وهو إذ يقدم لنا الحكمة من الزواج. والدعوة إليه. يبين لنا بعد ذلك أسس التغلب على المشاكل التى قد تعترض. راغب الزواج. بعد أن بين لنا الفرق بين المتعة الحلال والمتعة الحرام. فإنه بين النعيم الذى يأتى من الحلال. والمشاكل والمصائب التى تكون من وراء المتعة الحرام.

ولا ينسى أن يهمس فى أذن كل شاب وفتاة بهمسة العالم الباحث الذى خبر الحياة وعرف دروب السير فيها .

لذلك نجده يقدم معيار اختيار الزوجة . أو الزوج من منظور إسلامى . وفى سبيل ذلك : يبين لنا مشاكل الزواج من الأجنبيات (المخالفات فى الدين والعادات ..) . ولا ينسى أن يدعو إلى تعليم بناتنا السلوك الصحيح . مع همسة حانية فى أذن الشاب وتحذير إلى الفتاة أثناء مراحل الخطبة . حيث ثبت فى البحوث الطبية أن الحمل قد ينشأ من الملامسة البدنية .

إن المؤلف وهو يعرض كل ذلك فى بحثه العظيم يقدم إلى الولد رسالة أبوية . يبين له فيها أن اختيار الزوجة الذى يتم على أسس صحيحة تكون غايته السعادة . ثم هو يسهب فى اسداء النصح للفتاة ، ويؤكد على عادات انتشرت فى المجتمع يجب أن تزول ، لأن ليلة الزفاف هى لحظة السعادة . وذكريات العمر تنطوى فيها . ثم يتكلم عن شهر العسل مذكرا بمسئوليات الزوج ومسئوليات الزوجة مع بيان الحقوق والواجبات لكل منهما .

ثم يوضح لنا أمورا تحتاج إليها الزوجة . مع التأكيد على حرمة البيوت فى الإسلام . وكيفية الاستئذان .

وهكذا : يمضى بنا المؤلف فى جولته العلمية . ليربط بين كل ذلك وغيره بأسلوب بارع . وبصيرة محكمة . وفكر أكد على صياغة الكلمة منه بممارسات عملية . حسبما لمسه من واقع الحياة . ثم صياغ كل ذلك بعبارات علمية استدل لها من القرآن والسنة وآثار السلف الصالح بما يزيل اللبس عنها ويؤكد على قيمتها العلمية . وأصالتها المنهجية ..

والمؤلف . كما عرفته . رقيق الطبع . متأجج العاطفة . يقدم الخدمة والنصيحة لوجه الله تعالى .

وهو فى سبيل ذلك لا يألو جهدا فى تأليف الكتب النافعة والمفيدة بأسلوب العصر ليلقى الضوء على المشاكل مع توجيه النصح لحلها بالطريقة المثلى .

وإننى إذ أشكر للمؤلف الأستاذ / محمد طاهر خراشى هذا الجهد العظيم أسأل الله العظيم أن ينفعه وينفع به تحت ظل الراية الإسلامية ومنهجها الذى يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

والله الموفق والهادى إلى سبيل الرشاد .

منصور الرفاعى عبيد

مدير عام المساجد ج . م ع

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم فضيلة الشيخ : عبد العليم الخضيرى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المجاهدين سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعـــد :

فقد سنحت لى فرصة الاطلاع على مشروع المؤلف الجديد « تحفة العروسين ومرشد الزوجين» من تأليف واعداد فضيلة الأستاذ محمد طاهر خراشي رئيس مجلس إدارة جمعية المـــأذونين الشرعيين بجمهورية مصر العربية .

فألفيته تحفة ومرشدا بحق وحقيق وإذا كان الكتاب يعرف من عنوانه كما يقولون ، فما أصدق التسمية على هذا الكتاب حيث وضع المؤلف القواعد الأساسية لبناء الإسرة المسلمة والبيت المسلم الهادى، الذى ترفرف عليه أعلام السعادة والاستقرار ، وذلك بفضل ما أعده المؤلف فى فصول الكتاب معرفا بفرضية الزواج وأنه من سنن الكون ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ، ثم أخـــذ يشرح باسهاب ما هى الخطبة التى تسبق الزواج وآدابها وكيف يكون سلوك الزوج مع خطيبته فى فترة الخطبة، ثم أخذ يتدرج من الخطبة إلى الزواج وكيف يتم وكيف ينتقى الزوج زوجته ، وكيف يعاملها بعد ان يبنى بها وكيف تعامله كل ذلك باسانيد وادلة من الكتاب والسنة .

وهذا القول الذى أبنته قطرة من بحر زاخر حشد فيه المؤلف كل

مالا يخطر على البال فى أبحاثه الزوجية من سلوك وتصرفات تأتى من الزوج أو الزوجة واصفا لها العلاج ضاربا لها الامثال أيضا من الكتاب والسنة والاجماع .

وخلاصة القول فى هذا « المؤلف » أنه كتاب لا غنى عنه لكل فتى وفتاة يضعان اقدامهما على عتبة الحياة الزوجية كما لا غنى عنه لكل زوج وزوجة يتعلمان منه وينتفعان مما ورد فيه من آداب المعاشرة بشقيها انسانيا وجنسيا لجهل البعض بآداب المعاشرة الزوجية كما انه يجب أن يكون فى مكتبة كل بيت ، وبصدور هذا الكتاب يكون قد اضيف إلى المكتبة العربية الإسلامية زادا ومعرفة جديدين يستحق عليهما المؤلف رضا الله ورضا الناس أجمعين .

عبد العليم الخضيرى
من علماء الأزهر الشريف
١١ / ٩ / ١٩٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظات

— ١ —

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن والاه . أما بعد فقد قرأت هذا السفر القيم الذى عالج مشاكل الأسرة (اللبنة الأولى للمجتمع) من منظور إسلامى مؤيداً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآراء علماء الطب والنفس والاجتماع فهو بحق (تحفة العروسين ومرشد الزوجين) لفضيلة الشيخ الجليل محمد طاهر خراشى رئيس جمعية المأذونين الشرعيين أقدم له خالص شكرى وعظيم امتنانى أن أتاح لى قراءة مؤلفه هذا قبل الطبع نسأل الله سبحانه أن يجعل هذا العمل العظيم مع ما قدم من أعمال فى ميزان حسناته وجزاه الله عنا خير الجزاء .

زهران زهران على
من علماء الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

— ٢ —

لكل عمل مقصد وغاية وكلما وضحت الرؤية وكان الهدف نبيلا تحققت الغاية المرجوة من هذا العمل وفى تصورى أن هذا الكتاب الذى بين أيدينا يهدف إلى عمل نافع هو تبصير كل مقبل أو راغبة فى حياة زوجية جديدة بل والمتزوجين فعلا إلى تفهم قدسية العلاقة الزوجية والحفاظ عليها من الرياح التى تعصف بها نظراً لظروف العصر الذى نعيشه .

ومع أن هذا الأمر المهم قد تحدث فيه المتحدثون وأفاضوا فيه كثيراً إلا أن المؤلف الشيخ محمد طاهر خراشى بحكم خبرته الطويلة فى ميدان المأذونية قدقدم عملا مشكوراً فى خدمة قضية الحياة الزوجية ومايعترضها من مشكلات وكشف كثيراً من جوانبها المختلفة خدمة للأسرة وحماية لها من الانهيار .

وإنى لعلى يقين من أن القارىء سيستفيد من هذا الجهد الطيب بإذن الله تعالى بما قدمه المؤلف من إرشادات غالية تقوم على أساس من الكتاب والسنة وآراء العلماء المتخصصين فى مجالات الطب وعلم النفس والاجتماع .

سيد أبو دومة
المحرر الدينى
بجريدة الأهرام

بسم الله الرحمن الرحيم

— ٣ —

الحمد لله رب العالمين الذى أنار قلوبنا بنـــور الإيمان والإسلام . وجعلنا خير أمة أخرجت للناس والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعـــد :

فإن الزواج هو كلمة الله وهو الميثاق الغليظ قال تعالى (وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) .

ومن هنا فإن الشريعة الإسلامية قد أحاطت هذا العقد بضمانات لأهمية آثاره على المجتمع . وقد نظمه الشارع تنظيما متكاملا بعد أن وضعت أسسها قواعد الشريعة الإسلامية الغراء بالآيات العديدة من كتاب الله الكريم وعلى سبيل المثال لا الحصر قـــوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

ومن حيث أن الزواج على سبيل مداومة العشرة الزوجية فلا يجوز لأحد أن يزعزعه إلا بالحذر وفى أضيق نطاق .

وقد اطلعت على كتاب (تحفة العروسين ومرشد الزوجين) الذى قام بإعداده فضيلة الأستاذ محمد طاهر خراشى رئيس مجلس إدارة جمعية المأذونين الشرعيين بجمهورية مصر العربية . وقد حرص المؤلف أن يجمع هذا الكتاب بهذا القدر وضم إليه ما استخلصه من نماذج فى فروع العمل وأبوابه المختلفة لتكون طريقاً يسلكه المتزوجون فيما لهم من حقوق وما عليهم من التزامات كل قبل صاحبه على الوجه المشروع لكى يتحقق السكون والمودة والرحمة بين الزوجين .

وقد بذل المؤلف فيما قصد إليه جهداً ملموساً ورتب هذا الكتاب وبوبه على طريق سهل الرجوع إليه والانتفاع به ميسراً . ولا شك أن هذا الرجل رجل فاضل فهو من العلماء الأجلاء الذين يتجلى فيهم حسن النية وسمو القصد . وفقنا الله وإياه وسدد خطانا وجعل النفع بكتابه هذا عاما وميسراً .

والله ولى التوفيق .

محمد محمد الظهرى
من علماء الأزهر
الشـــريف
والمستشار القانونى لجمعية
المأذونين الشرعيين بجمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

— ٤ —

أمسكت بالقلم .. وتوقفت حائرا .. أقدم مؤلف الكتاب أم أقدم الكتاب نفسه ؟! . . فحين قرأت الكتاب أيقنت أنى أطالع فكر الكاتب وعصارة تجاربه . . فقد عرفته أول ما عرفته من خلال عمل سياسي جمعنا زمناً غير قليل .. وغلب على آدائنا معاً العمل الاجتماعى الإصلاحى الإرشادى .. وعاصرته مأذونا لإحدى الشياخات الشعبية وكان أميناً سياسيا لها . . وأيضاً عضوا منتخباً فى مجلس الحى الذى يعيش فيه .. ثم رئيساً لمجلس إدارة جمعية المأذونين الشرعيين بجمهورية مصر العربية .. وإماماً وخطيباً .. وأستاذا .. إضافة إلى الكاتب الذى قرأت له أغلب كتبه .. والتى أضافت الكثير فى مجالات الفقه والأدب والاجتماع . .

ثم هذا هو كتابه الجديد بين أيدينا . . مرشداً ودليلا لكل فتى ولكل فتاة . . منذ نشأة فكرة الزواج . . والتفكير فى نشأة بيت جديد وأسرة جديدة .. يشرح أهمية الزواج وضرورته . . وكيف يختار المرء شريك حياته . . وكيف السبيل لحياة زوجية ناجحة . . وكيف تحافظ الأسرة على إستمرار العش الجديد سعيداً هانئا .

كل ذلك على ضوء من الكتاب والسنة . . واسترشاداً بأبحاث حديثة فى مجالات الطب وعلم النفس وعلم الاجتماع حتى أنه تطرق إلى الجنس دون خجل أو مواربة لاعتقاده بأنه علم واجب المعرفة به لايجوز أن نتغاضى عنه .

إن هذا الكتاب وهو إضافة جديدة لمؤلفات هذا الكاتب إلا أنه

يضا إضافة جديدة تضيف رؤية جديدة فى هذا المجال وتستحق المطالعة وتستوجب المعرفة ...

ولاشك أنه مازال لديه الكثير والكثير .. وأرجو ألا يبخل بتجاربه وأدعو له بالتوفيق .

محمود زينهم
عضو مجلس الشعب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافى نعمه ويكافىء مزيده والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله خير خلق الله وخاتم رسل الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعـــد .

فإن اللبنة الأولى فى بناء أى مجتمع هى الأسرة فإذا كانت هذه اللبنة مستوية ومتماسكة فلابد أن يكون البناء الذى — هو المجتمع — مستويا ومتماسكا لاتزعزعه الرياح ولاتنال منه الأعاصير .

أما إن كانت اللبنة مفككة وغير متماسكة ولا مستوية فلا شك أن البناء الذى يتكون منها — وهو المجتمع — سيكون بناء هشاً رخواً غير متماسك لا يثبت لشىء ولا يقف عنده أى شىء ومن هنا فإن الإسلام الحنيف قـــد حرص على تدعيم اللبنة الأولى فى البناء الاجتماعى وهى الأسرة فعمل على إسعادها وتقويتها وجاء لها بالمنهج القويم الذى يضم العديد من المبادىء والقوانين التى تعمل على تدعيم الروابط والعلاقات بين أفراد الأسرة وتقويتها وحفظها من الضعف والانهيار وأوجب على المجتمع كله أن ينفذ هذه المبادىء والقوانين . لأن القاعدة الأساسية فى الإسلام أن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .

ففى مجال العلاقة بين الزوجين حرص الإسلام على أن تكون هذه العلاقة أقوى ما تكون فنجده يوصى الرجل بزوجته ويوصى المرأة بزوجها .

ويمكننا أن ندرك قيمة هذه الوصايا إذا أخذنا فى الاعتبار أن أية

وصية للإسلام إنما هى قانون يجب تنفيذه فترى الإسلام يوصى الرجل بحسن معاشرة زوجته واعتبارها شريكة له فى بناء الأسرة فيقول القرآن الكريم «وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » ويقول جل جلاله (أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم (طاقتكم) ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى) .

ويقول رسول الله ﷺ فى الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه (استوصوا بالنساء خيراً فان المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء)[١] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضى منها خلقا آخر)[٢] «لا يفرك بفتح الياء وسكون الفاء وفتح الراء معناها لا يبغض» وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم)[٣] ونراه كذلك يوصى المرأة بزوجها فيقول القرآن الكريم (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) وعن أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول (أيما إمرأة باتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة)[٤]

---

(١) رياض الصالحين صفحة ١٤٠ .

(٢) رياض الصالحين صفحة ١٤٠ .

(٣) رياض الصالحين صفحة ١٤١ .

(٤) رياض الصالحين ص ١٤٤ .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺ ، أى الناس أعظم حقاً على المرأة ؟ قال زوجها .

قلت فأى الناس أعظم حقاً على الرجل ؟ قال : أمه)[١] .

كل هذه التوجيهات وأمثالها كثيرة فى الشريعة الإسلامية من أجل المحافظة على الروابط الزوجية قوية متينة لا تفكك فيها ولا إنهيار ذلك لأن أى تفكك أو إنهيار فى العلاقة الزوجية يؤدى حتما إلى إنهيار الأسرة كلها فينفصم الزوجان وتتبدل العلاقة بينهما من مودة ورحمة إلى عداوة وقسوة ويكون ذلك سبباً فى تشرد الأولاد وبالتالى فى كثرة الجرائم التى يصطلى المجتمع بنارها ويذوق ويلاتها وشرورها ولا قوة إلا بالله .

ولقد رأيت من المشاكل الأسرية التى بحثتها فى مجال عملى زهاء ثلاثين عاماً — أن أغلبها — إن لم يكن جميعها ناتجاً عن جهل بتعاليم الإسلام الحنيف فى مجال السلوك الخاص والعام .

فلو أن الرجل عرف ما عليه من حقوق وواجبات واستوعب ذلك وطبقه عملياً وكذا المرأة لو عرفت ما عليها من حقوق وواجبات وطبقت ذلك فى سلوكها وأحل كل منهما ما أحل الله وحرم ما حرم الله ووقف كل منهما عند الحدود لانضبط ميزان الأسرة وتوثقت أواصرها وأصبحت دعامة قوية وركيزة صلبة فى بناء المجتمع الإسلامى كله .
وإنى أرى أن المشكلة تكمن فى الجهل بمنهج الإسلام فى هـذا المجال ، وعلاجها أن نفتح فى كل مجال ثقافى باباً من أبواب الفقه الإسلامى يشمل السلوك الإسلامى فى مجال الأسرة ويكون ذلك مادة أساسية فى مختلف مراحل التعليم وتسمى هذه المادة « فقه الأسرة » تأخذ بيد النشء وتقف بهم عند حدود الله تعالى والفقه الإسلامى والحمد لله يشمل جميع سلوكيات الحياة من صغيرها وكبيرها ما فرط الله فى كتابه من شىء وصدق الله

---

(١) الترغيب جـ٣ ص٩٠ .

العظيم القائل : (يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم) ولذا فإنى عند ماعزمت على تأليف كتابى هذا (تحفة العروسين ومرشد الزوجين) أردت أن أضع مع الواضعين شمعة على الطريق ضمن الشموع الكثيرة التى تنير طريق السالكين إلى منهج الله مساهمة متواضعة فى الحفاظ على سلامة المجتمع وأمنه وأمانه .

ولقد جمعت فى هذا الكتاب بين الفكر الإسلامى الذى يرشد السلوك على منهج الله وبين آراء علماء الاجتماع الذين يكشفون علل المجتمعات وأمراضها ويضعون الدواء لعلاجها وبين آراء علماء النفس فى معظم المشاكل التى تعترض طريق السالك فى خضم الحياة ودروبها — وكذلك آراء علماء الطب والجنس فيما يخص العلاقة الجسمانية بين الزوجين حتى يكون النفع أكمل والفائدة أشمل .

وأسأل الله تعالى أن يبلغ به القصد وأن يحقق به الأمل . وإنى أعود وأحذر من أن يترك المجتمع الأسرة تضيع بسبب بعدها عن تعاليم دينها وأن يترك الجاحدين والمرجفين يلعبون بأهواء المرأة والرجل ليضلوهم السبيل وذلك بما يكتبون ويصورون من الأباطيل الكاذبة والقصص الخادعة والروايات الساقطة حيث يجعلون من الإباحية حرية ومن التجاوزات مدنية وإنه بذلك يضيع المجتمع كله — ألاهل بلغت اللهم فاشهد والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

المؤلف

محمد طاهر خراشى

العدوى بلدا

الأزهرى تعلما

المالكى مذهبا

الأشعرى عقيدة

الجعفرى طريقة

١ ـ حكمة الزواج

الزواج سنة من سنن الله فى خلقه منذ بدء الخليقة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولقد اقتضت حكمته تعالى أن يكون الزواج فى جميع المخلوقات لايشذ عنها عالم الإنسان أوعالم الحيوان أوعالم النبات فهى قاعدة عامة مضطردة فى كل شىء حتى عالم الجمادات وصدق الله العظيم القائل (ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) وقال جل شأنه (سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) والزوجية هى الأسلوب التى اختاره الحق عز وجل للتوالد والتكاثر من أجل عمارة الدنيا واستمرار الحياة فأعد كلا من الزوجين وهيأهما لقيام كل منهما بدوره فى الإنجاب والتوالد والتكاثر حتى تتحقق الغاية التى أرادها الله عز وجل . وبين لنا الحق سبحانه هذه الغاية فقال (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) ويقول (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء) ...

وأراد الله أن يكرم الإنسان ويعلو به فلم يتركه لغريزته تنطلق به دون وعى أو انضباط مثل بقية العوالم الأخرى . فوضع له نظاما خاصا يتلاءم وسيادته والذى من شأنه أن يحفظ الله به شرفه وسمعته ويصون كرامته فجعل اتصال الرجل بالمرأة اتصالا كريماً يليق بخليفة الله فى الأرض . فجعل له نظاما خاصا يسمى الزواج . يقوم على أسس وشروط حددتها شريعة الإسلام الحنيف ... وفى الفترات التى سبقت ظهور الإسلام وضع الإنسان على جهل منه عدة نظم لهذه العلاقة وسماها زواجا ـ ولقد قامت هذه العلاقة على غير أساس سليم . فهدمها الإسلام جميعها ولم يبق على أى منها سوى النظام الذى يساير الفطرة والذى نظمته شريعة الإسلام ووضعت له الضوابط والنظم وقعدت له القواعد والأسس .

فلقد هدم الإسلام نكاح البدل . وهو أن يقول الرجل للرجل أنزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى على أن أزيدك . ونكاح البضع . وهو أن يقول الرجل لامرأته إذا طهرت من طمثها إرسلى إلى فلان فاستبضعى منه ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها فإذا تبين أصابها إذا أحب وإنما يفعل بها ذلك رغبة فى نجابة الولد ونكاح آخر يجتمع الرهط ، دون العشرة على المرأة فيدخلون عليها كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول المرأة لهم — قد عرفتم ما كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يافلان تسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع عنه الرجل وهناك نكاح آخر . وهو أن يجتمع أناس كثيرون ويدخلون على المرأة ولا تمتنع عمن جاءها — وهن البغايا — ينصبن على أبوابهن رايات فإذا حملت إحداهن ووضعت جمعوا لها ودعوا لهم القافة وهم الذين يشبهون بين الناس فيلحقون الولد بالشبه إلى أحدهم ولا يمتنع عن ذلك أحد ...

فلما جاءت الشريعة الإسلامية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام هدمت جميع هذه الأنكحة وألغتها . وأبقت نظاما واحداً وكان يسمى بنكاح الناس ... وهو أن يخطب الرجل ولية الرجل أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها ويبنى ذلك على رضا المخطوبة ويتم ذلك بإيجاب وقبول كمظهرين لهذا الرضا . وعلى إشهاد أى على مرأى ومسمع من الناس على أن كلا من الزوجين قد أصبح للآخر . وهذا هو النظام الملائم لسيادة الإنسان والذى من شأنه أن يحفظ شرفه ويصون كرامته ويكون اتصال الرجل بالمرأة إتصالا كريما . وبهذا وضع الإسلام للغريزة سبيلها المأمون ومنهجها السليم وحمى النسل من الضياع وصان المرأة من أن تكون كلأ مباحا لكل راتع ... ووضع نواة الأسرة التى تحوطها غريزة الأمومة وحنان الأبوة وترعاها عاطفة جياشة من كلا الأبوين فتنبت نباتاً حسناً وتثمر ثمارها النافعة .

وهذا النظام هو الذى ارتضاه الله وأبقى عليه الإسلام وهدم كل ماعداه وصدق الله العظيم القائل : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون).

٢ — الدعوة إلى الزواج والترغيب فيه والأسباب الداعية إليه

إن الإسلام أمر بالزواج وبالغ فى الحث عليه لأنه السبيل الوحيد إلى الحياة الهانئة السعيدة فهو وحده الذى يكفل للرجل والمرأة على السواء حياة يسودها سكن النفوس واطمئنان القلوب وتتوافر بينهما الثقة الكاملة . وهو وحده الذى يكفل لهما المودة الخالصة والمحبة الصادقة وهما أسس الروابط المتينة وهو وحده الذى يكفل لهما التراحم والتعاون فى السراء والضراء ومتى قامت الحياة على هذه المشاعر كانت كلها خيرا وبركة لهما وللمجتمع الأسلامى كله . والزواج هو أفضل وسيلة لحفظ النسل الإنسانى لتأتى أجيال صالحة تنشأ فى كنف الفضيلة وحنان الأمومة ورعاية الأبوة .

ومن هنا فإن الإسلام . يدعو إليه على أنه سنة من سنن الأنبياء والمرسلين وهم القدوة التى ينبغى الاقتداء بهم والسير على منوالهم وهديهم فيذكر القرآن الكريم لنا قول الله عز وجل (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) .

وفى حديث الترمذى عن أبى أيوب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (أربع من سنن المرسلين الحناء . والتعطر والسواك والنكاح) وأحيانا يدعو إليه على أنه آية من آيات الله . فيقول عز وجل (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

ويذكر القرآن فى دعوته إلى الزواج أنه نعمة من النعم التى يمتن الله بها على عباده فيقول عز وجل (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات) . وقد يتبادر إلى الذهن أن الزواج فيه مشقة لما فيه من تكاليف وأعباء فيتردد المرء فى الأقدام عليه فيحجم عنه خوفا من الاضطلاع بتكاليفه وخشية من احتمال أعبائه فيسارع القرآن الكريم إلى أن يلفت نظر الراغب فى الزواج إلى أن الله عز وجل سيجعل له فى الزواج سببا إلى الغنى وأنه سيمده بمدده وعونه بما يجعله قادرا على التغلب على أسباب الفقر فيقول عز وجل : (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) وفى حديث الترمذى الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد فى سبيل الله . والمكاتب[1] الذى يريد الأداء . والناكح الذى يريد العفاف » وروى الطبرى بسند جيد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال « أربع من أصابهن فقد أعطى خيرى الدنيا والآخرة قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وبدنا على البلاء صابرا وزوجة لا تبغيه حوبا فى نفسها وماله .

كما أن الإسلام أوضح أن الإعراض عن الزواج بقصد التبتل والنسك يخالف الفطرة التى فطر الله الناس عليها إذ أنه لا تبديل لخلق الله وأن ذلك مغاير لدين الله .

وأن سيد الأنبياء وهو أخشى الناس لله وأتقاهم له كان يصوم ويفطر ويقوم وينام ويتزوج النساء وأن كل من يحاول أن يتخذ فى نسكه طريقا

---

(١) العبد الذى جعل عليه سيده أقساطا مالية يؤديها عن نفسه لينال حريته .

غير طريق رسول الله فليس له شرف الانتساب إلى هديه فلقد روى البخاري ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من رسول الله ﷺ فقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم . أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا وقال آخر أما أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أما أنا اعتزل النساء. فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ . أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى» .

وإنما رغب الإسلام فى الزواج على هذا النحو وحث عليه وحبب فيه لما يترتب عليه من أثار طيبة نافعة تنفع الفرد نفسه ويعود على المجتمع كله بالخير والأمان وهذه هى آثاره التى تتلخص فيما يأتى :

أولا — معالجة مشكلة الغـــريزة ... والغريزة الجنسية من أقوى الغرائز وأعنفها فهى تلح على صاحبها دائما لإيجاد وسيلة لتحقيق مطلبها وإيجاد مجال لانطلاقها فإذا لم يكن هناك فرصة لإشباعها اضطربت نفس صاحبها وانتابه القلق ونزعت به نفسه إلى شر منزع والزواج هو أحسن وسيلة طبيعية وأنسب سبيل إلى إشباع تلك الغريزة وإروائها فتهـــدأ النفس من الاضطراب ويسكن البدن من القلق والصراع ويكف البصر عن التطلع إلى الشهوة الحرام وتطمئن العواطف إلى ما أحل الله تعالى وهذا هو ما أشارت اليـــه الآية الكريمة (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون).

ولقد بين المصطفى صلوات الله وسلامه عليه آفات الغريزة وطريقة علاجها فقال فى الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه «إن المرأة

تقبل فى صورة شيطان وتدبر فى صورة شيطان فاذا رأى أحدكم من امرأة ما يعجبه فليأت أهله فإن ذلك يرد ما فى نفسه ».

ثانيا - الزواج هو أحسن وسيلة للحفاظ على النسل وإنجاب الذرية وهى نعمة كبرى من نعم الله عز وجل فقد امتن بها على عباده فقال عز وجل (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) كما أنه الوسيلة الوحيدة للحفاظ على الأنساب التى يوليها الاسلام الاهتمام الشديد والعناية الفائقة ولذا كان من وصايا رسول الله ﷺ قوله فى حديثه الشريف« تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة » وجاء فى الأثر « إنما العزة للكاثر » وهذه حقيقة قائمة وليس هناك ما ينقضها ولقد روى أن الأحنف بن قيس دخل على معاوية ابن أبى سفيان وقد وجد على إبنه اليزيد - وكان بين يديه - فقال له معاوية ماتقول ياأبا بحر فى الولد ؟-فقال ياأمير المؤمنين ،هم عماد أظهرنا وثمار قلوبنا وقرة أعيننا بهم نصول على أعدائنا وهم الخلف من بعدنا فكن لهم أرضا ذليلة وسماء ظليلة إن سألوك فاعطهم وإن استعتبوك - أى طلبوا منك الرضا - فأعتبهم - أى أرض لهم - لاتمنعهم رفدك فيملوا قربك ويكرهوا حياتك - ويستبطئوا وفاتك . فقال لله درك ياأبا بحرهم كما وصفت .

ثالثا - إن الشعور بالتبعة والمسئولية تجعل الإنسان يشعر بقدره وشأنه وكيانه ويكون حريصا على النشاط - والزواج بمسئولياته وتبعاته والأولاد وتربيتهم والحرص على تنشئتهم تنشئة صالحة تجعل الإنسان يوسع فكره ويشحذ همته ومواهبه من أجل أن يهىء لهم الحياة الكريمة الهادئة الهانئة فضلا عن أنه يحقق لغريزة الأمومة والأبوة النمو والتكامل فى ظل الطفولة الجميلة وتنمو فيها مشاعر الود والعطف

والحنان وكلها فضائل لاتكمل إنسانية المرء إلا بهـــا ولا يستحق أن يوصف بالإنسانية بدونها .

كما أن الزواج يثمر الترابط بين الأسر ويقـــوى أواصر المحبة بين العائلات ويؤكد الصلات الاجتماعية بين الناس . الأمر الذى يباركه الإسلام ويعضده ويسانده لأن المجتمع المترابط المتحاب هو المجتمع القوى السعيد .

رابعا — لقد ثبت من الأحصائيات الرسمية أن عدد الوفيات بين المتزوجين من الجنسين أقل من الوفيات من غير المتزوجين — فلقد أجرت إحدى منظمات هيئة الأمم المتحدة بحثا ونشرته بعض الجرائد المصرية جاء فيه أن المتزوجين يعيشون مدة أطول مما يعيشها غير المتزوجين سواء كان غير المتزوجين من الأرامل أو المطلقات أو عزابا من الجنسين وجاء فى التقرير أن الناس بدؤا يتزوجون فى سن أصغر فى جميع أنحاء العالم وأن عمر المتزوجين أكثر طولا واستطرد التقرير قائلا وبناء على ذلك فإنه يمكن القول بأن الزواج شىء مفيد صحيا للرجل وللمرأة على السواء حتى أن أخطار الحمل والولادة قد تضاءلت فأصبحت لاتشكل خطرا على حياة الأمم والأفراد ، وجاء فى التقرير أنه من المؤكد أن متوسط سن الزواج فى العالم كله هو ٢٤ سنة للمرأة و ٢٧ سنة للرجل وهو سن أقل من متوسط سن الزواج منذ سنوات ماضية[١] .

---

(١) نشر هذا التقرير فى كتاب فقه السنة الجزء الثانى .

٣ – أسباب الإعراض عن الزواج

وطريقة التغلب عليها من منظور إسلامى

إن الإعراض عن الزواج يفوت على الإنسان الكثير من المنافع والمزايا مما يجعله ضرورة لا غنى عنها وأنه لا يمنع منه إلا أحد أمرين :

أولهما : العجز عن القيام بأعبائه صحياً أو ماليا .

وثانيهما : الفجور الذى يجعل الإنسان يسير على غير هدى يتخبط فى نزواته ولا يراعى فيها حقا ولا إنضباطا ، وينبغى على المجتمع الإسلامى أن يعمل على تهيئة أسباب الزواج وتيسير وسائله حتى ينعم به الشباب والفتيات على السواء .

وعلى العكس من ذلك نجد التقاليد والأعراف الوافـــدة إلينا والغريبة عن طبيعة ديننا قد وضعت العراقيل أمام طريق الزواج وخرجت بنا عن سمات الإسلام وسمو تعاليمه فعقدت بذلك السبيل إليه ووضعت العقبات فى طريقه وخلقت بذلك أزمة تعرض فيها الشباب والفتيات لشدة العزوبة وآلامها وعنتها والاستجابة إلى العلاقات الطائشة والصلات الخليعة ومعظم أسباب هذه الأزمة ترجع إلى التغالى فى المهور وكثرة النفقات والإسراف فى إعداد بيت الزوجية إلى حد يثقل كاهل أسرتى الزوجين مما يجعل الزواج عبئا ثقيلا على كليهما ،

هذا من جهة . ومن جهة أخرى فإن تبذل المرأة وخروجها بهذه الصورة المثيرة ألتى الريبة والشك فى قلوب الرجال من مسلكها وأصبح الشاب حذراً فى إختيار شريكة حياته بل إن بعض الشباب يضرب عن الزواج نهائياً لأنه لم يجد الفتاة التى تصلح — فى نظره — زوجـــة له ولا تنفع للقيام بأعباء الحياة الزوجية الكاملة معه إلى جانب ضيق ذات

اليد عنده نتيجة البطالة المنتشرة فى شباب الخريجين وضآلة المرتبات وصعوبة الحصول على المسكن وفى ظل المثيرات الكثيرة الموجودة الآن لدى الفتيات وعوامل الإثارة فى الأفلام السينمائية والتليفزيونية ووسائل الإعلام الأخرى كل ذلك جعل عدداً كبيراً من بناتنا اللاتى لا ينقصهن الجمال أو الدين أو الخلق قعيدات فى بيوتهن بلا زواج — مثقفات وربيات بيوت — وأصبح الزواج أمراً بالغ الصعوبة ونتج عن ذلك أزمة خطيرة هى أزمة الزواج بين الجنسين وتأخر سن الزواج وعزف كثير من الشباب عنه رغم أنفه .

والإسلام يحرص كل الحرص على إتاحة فرص الزواج لكل الرجال والنساء وليستمتع كل منهما بالحلال الطيب ولا يتم ذلك إلا إذا كانت وسيلته مذللة وأسبابه ميسرة سهلة بحيث يستطيعه الفقير الذى يجهده بذل المال الكثير ولذا فان الإسلام كره التغالى فى المهور وحرم الإسراف فى المظاهر وأوضح أن المهر كلما كان قليلا كان الزواج مباركا وأن قلة المهر من يمن الزوجة فلقد قال ﷺ فى حديثه الشريف « يمن المرأة فى خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشؤم المرأة فى غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها » كما بين الإسلام أن أعظم النكاح بركة هو الذى لا إسراف فى مئونته وتكاليفه فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال « إن أعظم النكاح بركة أيسره مئونة » فلو أخذت هذه الأسر التى أعمتها التقاليد البالية المجافية لروح الإسلام ليسرنا الكثير من مشكلة الزواج وفتحنا أبواب الحلال لكل راغب فيه .

كما أن الإسلام حرص كل الحرص على كل ما يتصل بتربية الفتاة تربية صالحة وتنشئتها على الفضيلة والعفاف والإحتشام فعلى المرأة أن ترجع إلى تعاليم دينها وألا تتبذل فى حياتها وسلوكها وتحافظ على عفتها حتى تكون الرغبة فيها أشد والطلب عليها آكد وأقوى » .

وعلى الأجهزة الإعلامية أن ترتفع بمستوى برامجها فلا تأتى بالهابط منها ولا تذيع الأفلام الساقطة والأساطير الخليعة العارية حتى لا تشعل سعار الغريزة ، وتهيجها وتؤجج لهيبها فلا تبقى ولا تذر لواجهة البشر فتدك الفضائل وينهار بنيان الشرف .

وأما ضيق ذات اليد للشباب الراغب فى الزواج فإنى أهمس فى أذن كل شاب أن المسلم لا يعرف اليأس ولا يجد إلى قلبه سبيلا ولقد أوضح القرآن الكريم أن الله قد ضمن الرزق للراغب فى الزواج ووعد الله لن يتخلف أبداً « ومن أصدق من الله قيلا » وقد وعد الله الشباب المتعفف الذى يرجو أن يسعى إلى الحـــلال فيعف نفسه ويحصنها من الخطايا بالزواج ويريد أن يسلك الطريق الحلال الطيب بأنه سيعود عليه بالخير ويحفه بالنعم وسيتحول فقره إلى غنى ويتبدل عسره يسراً .

ويعلق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه على ذلك فيقول « عجبى لمن يخاف الإقدام على الزواج وقد قال الله عز وجل « وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم » .

وإنى أنصح لك أيها الشاب بأن أرض الله واسعة ووسائل الكسب موجودة ولا يبقى إلا قوة إيمانك التى تصل بك إلى الجد والعمل وإلى النشاط فلا تدخر وسعاً ولا جهداً فى إعلاء شأن أمتك وهذه العقبات التى توضع أمامك ما هى إلا وهم خادع فأكمل نصف دينك وتوكل على ربك وسارع باختيار فتاتك وتحر أن تكون ذات دين وذات خلق . واجعل من نفسك ومن فتاتك أسرة مسلمة تكون لبنة صالحة فى صرح المجتمع الإسلامى .

٤ ـ الفرق بين متعتين

متعة فى الحلال ومتعة فى الحرام

نفذ إلى مسامعى ذات مساء حديث بين شابين كنت أسير خلفهما وعلى مقربة منهما وكان موضوع الحديث عن الزواج فكان أحدهما يؤيده ويفكر فى الوسائل التى تحققه . والآخر يعارض فكرته ويؤكد له أن وسائل المتعة سهلة ورخيصة وبعيدة عن المسئوليات مما أثار حنق وغضبى من هذا الفكر العقيم ... الأمر الذى دعانى إلى إقحام نفسى مع هذين الشابين ودخلت معهما فى الحديث فبادرت الثانى الذى يحاول أن يقنع صاحبه بالعدول عن فكرة الزواج وقلت له أريد أن أناقش معك قضية الزواج لتعرف الفرق بين الزواج والزنا من منطوق إسلامى ومنطوق واقعى ـ واجتماعى .

فالزواج هو نواة المجتمع وأصل وجوده وهو القانون الطبيعى الذى يسير العالم على نظامه والسنة الكونية التى تجعل للحياة قيمة وتقديرا وهو المودة التى تحصل بين الزوجين ـ الرجل والمرأة ـ وهو الرباط المقدس الذى باركه الله وبارك فيه وبارك عليه ـ فعندما يعمل الإنسان عملا مشروعا يجد الراحة فى نفسه والسعادة فى مشاعره والهناءة فى خاطره فإنه ليس متعة جسمانية فحسب بل هو حنان الأمومة وعطف الأبوة وانتماء إلى المجتمع ومشاركة ، وجدانية لكل صنوف الحياة .

فأين ذلك من المتعة السهلة الرخيصة المحرمة التى تقول عنها متعة بلا مسئوليات ؟ فعلى العكس من ذلك فإن تبعات المتعة الرخيصة « الزنا » تبعات دينية وواقعية واجتماعية .

فإن الإسلام قد اعتبره فاحشة ومقتا وساء سبيلا ومعنى ذلك أنه

جمع كل صفات الرذائل وأوجب الله عليه حداً وعقوبة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال تعالى « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .

وعند وقوع الفاحشة يختفى الإيمان من قلب صاحبه لأن النبى ﷺ قال « لا يزنى الزانى حين يزنى وهـــو مؤمن » هذا من الناحية الدينية والتشريعية وأما من الناحية الواقعية فإن الزنا دين ومن دان فإنه يدان واقرأ قول القائل :

عفوا تعف نساؤكم فى المحـــرم
وتجنبـــوا مالا يليـق بمســـلم

من يزن فى بيت بألف درهم
فى بيته يزنى بغـــير الدرهم

من يزن يزن به ولو بجداره
إن كنت يا هذا لبيبا فافهم

إن الزنا دين فإن أقرضته
كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

لو كنت حراً من سلالة طاهر
ما كنت هتاكا لحرمة مسلم

ومن جهة أخرى فإن الأمراض الخطيرة تفتك بالزناة وتجعلهم يعيشون حياة العذاب والاضطراب من خطر المصائب الجسام التى يعانون منها ولقد عدد الدكتور محمد وصفى فى كتابه القرآن والطب الكثير عن الأمراض الفتاكة التى تصيب الزناة مما يحقق الوصف الذى وصفه الله تعالى عن الزناة بقوله تعالى « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء

سبيلا) ومن هذه الأمراض مرض الزهرى وهو ثالث مرض فى العالم يفتك بالإنسان وقد انتشر فى العالم لانتشار هذه الفاحشة وهو سريع العدوى بمجرد اللمس عن طريق الزنا أو بمجرد تقبيل المصاب وهو لايترك جزء من أجزاء الجسم حتى يترك فيه أثاره ولايدع جهازاً فى الجسم إلا ويعطله ويفسد وظيفته إلى غير ذلك من الأخطار الجسيمة التى لايتسع المقام لسردها ولايقتصر هذا المرض على صاحبه وإنما يكون وراثيا تصاب به ذرية الزانى التعسة وأن خطره على النسل يهدد العالم بشر أكبر مما تهدد به الحروب الذرية وينذر بأشد ماتنذر به البراكين والزلازل المهلكة والنكبات العظمى التى لاتبقى ولاتذر .

ومن أمراض الزنا كذلك السيلان وهو من أكبر المعضلات الخطيرة التى حار فى علاجها الأطباء وهو مرض فتاك يترك المصاب به فى حالة من الألم التى تعطل حركته وتشل تفكيره ويجعل المرأة المصابة به مستودعا خطيرا للعدوى وسببا لتشويه النسل والقضاء على الذرية

ومن أمراض هذه الفاحشة « القرحة الرخوة » وهى مرض خطير يصيب الأعضاء التناسلية فى المرأة والرجل معاً وهو يسبب تقرح الغدد الليمفاوية وتقيحها فى قنواتها وإتلافها التام للعضو المصاب بها إلى غير ذلك من مختلف الإصابات .

ومن أمراض هذه الفاحشة « القرحة الأكالة » وهى تقوم باتلاف الأنسجة التى حولها وتعمل على تآكل الإعضاء التناسلية ولاترضخ لعلاج ويصل خطرها إلى أنسجة العضل والعظم إلى غير ذلك .

وهناك أمراض أخرى كثيرة لايتسع المقام لسردها وبيان أخطارها فأين ذلك من الزواج والمتعة المشروعة التى حددها الله عز وجل وجعلها مهمة متكاملة للرجل والمرأة فكلاهما يكمل بعضه بعضا وتلك هى سنة

الله فى كونه بصرف النظر عن الإيمان ومن قانون الحياة أن يؤدى كل إنسان مهمته فيها : أما قلب الموازين وانتهاك حدود الله فلا ينجم عنه إلا الشقاء للإنسان وللإنسانية كلها .

ولقد قال إمامنا الشيخ محمد الشعراوى رضى الله عنه للصحفية التى سألته عن حرية الجنس ومدى معارضة الدين الإسلامى لذلك فأجابها رضى الله عنه بقوله « ألا تعلمين أن بيوت الدعارة تقوم على البحوث الطبية للمرأة التى تعمل بها وللرجل الذى يزورها وذلك للخوف من ويلاتها المرضية وهل تحدث هذه البحوث الطبية للعلاقة بين الزوجين ؟ لا لأنها سنة كونية فطر الله الناس عليها .

وأخيرا لعلك أدركت أيها الشاب الفرق بين المتعة التى أحلها الله والمتعة الــــتى يحض عليها الشيطان هداك الله إلى ما فيه خيرك ورضاه .

٥ — الآثار السلبية لمعوقات الزواج

إن المتتبع لمعوقات الزواج فى مختلف مجتمعات العالم يجدها لا تخرج عن مشكلتين أساسيتين :

المشكلة الأولى فى المجتمعات التى أسرتها تقاليدها فجعلت من التغالى فى المهور عقبة كبرى فى طريق الزواج مثل بعض الدول العربية والإسلامية وهذه المجتمعات أصبحت تعانى معاناة قاسية ومرة من جراء عنوسة بناتها وأصبحت هذه المشكلة هى الشغل الشاغل لعلماء الاجتماع فيها يجدون ويلهثون البحث عن إيجاد حلول لهذه المشكلة .

فلقد أثبتت الإحصائيات الرهيبة لعنوسة الفتيات فى هذه المجتمعات

تنذر بخطر جسيم وترتب عليها أن قام معظم شبابها بالزواج من فتيات أجنبيات سواء كن مسلمات أو غير مسلمات وصار الزواج بالأجنبيات ظاهرة من الظواهر التى عقدت لها المؤتمرات وكتبت فيها الأبحاث وأصبحت معضلة من المعضلات الأمر الذى جعل هذه المجتمعات تشعر بمرارتها وآلامها لما يترتب عليها من آثار وخيمة .

ولا شك أن لهذه الظاهرة آثارها السيئة على المجتمعات التى منيت بها فالنشىء سيعتريه التناقض فى تربيته بين مجتمع شرقى وأم غربية مما تصيبه بكثير من العقد لأن هذه الأم تمارس عادات وتقاليد تربت فى أحضانها تبعثها على الإباحية والتحررية من كل قيد أخلاقى أو دينى فلا شك أنها تحاول أن تبثها فى مجتمع شرقى تربى على العفة والعفاف إلى جانب أن كثيرات منهن يقمن بعمل الاستخبارات لبلادهن ولقد ثبت ذلك فى كثير من القضايا التى ضبطتها مخابرات هذه المجتمعات .

وترتب على ذلك عنوسة الفتيات اللاتى وصل سن بعضهن دون زواج إلى سن الأربعين وأدى كبت الغريزة فيهن إلى أمراض نفسية وعصبية فى عدد كبير منهن مما أدى إلى قيام بعض الفتيات بمعاكسة الشباب والرجال فى البيوت عن طريق المسرة « التليفون » الأمر الذى يدل على المعاناة الشديدة التى تعيشها هذه الفتاة فى تلك المجتمعات .

وإن الاحصائيات التى أجريت لهذه المجتمعات التى أعلنتها أحدى المنظمات الدولية فى أبحاثها لبعض هذه البلدان تدل على مؤشر خطير لفتيات هذه المجتمعات فلقد جاء فى بعضها أن العنوسة وصلت إلى ٦٧٪ أى أن الفتيات اللاتى بلغن سن الزواج تزوج منهن فقط ٣٣٪ والباقى منهن عوانس أى تجاوزن سن الزواج ومتوسط سن الزواج فى هذه الإحصائيات هو سن الأربعين — كما أفادت هذه الأحصائيات أن عنوسة الفتيات تسببت فى تفشى الامراض النفسية والاضطرابات العصبية

بنسبة تزيد عن ٦٠٪ أى أن هذه النسبة تعانى من اضطرابات نفسية وامراض عصبية ولقد أخبر العلماء النفسانيون أن كبت الغريزة لابد وأن يتولد عنه انفجار مدمر يأتى على كل القيم ولأن الكبت يولد الانفجار كما تقرر ذلك بعض النظريات العلمية .

وهناك من المجتمعات التى جعلت من الاباحية عائقا من عوائق الزواج واتخذت منها بديلا عن الطرق المشروعة التى رسمتها الأديان وحددت قواعدها وأسسها شريعة الله تعالى فتبذلت المرأة وجعلت من نفسها أداة من أدوات اللهو فى يد الرجال حتى أصبح الأمر وكأنه عرف مألوف وذلك مثل المجتمعات الأمريكية والأوربية وغيرها من الدول الشرقية الإلحادية فقد أصبحت المرأة فيها كالملابس والأطعمة بحيث أصبح من الصعب أن تجد إمرأة ليست لها علاقات جنسية متعددة قبل الزواج وبعده وهذه الأمور عرف يسكت عليه بل ويستقبله الزوج بهدوء وترحات — ... كما أنك لا تجد رجلا ليست له هذه العلاقات الجنسية مع العديد من النساء — بل سيل من العشيقات — وصديق العائلة معروف أنه عشيق للزوجة وصديقة الزوج هى أيضا عشيقته وفى المناسبات والأعياد والحفلات تتبادل الزوجات الرقص وما بعد الرقص بل فى جنوب فرنسا تتبادل الزوجات وفى إيطاليا على مقربة من الكنيسة أيضا تتبادل الزوجات .

نعم إن المرأة أصبحت فى ظل هذه الاباحية التى أوصدت أبواب الحلال وفتحت أبواب الحرام دمية رخيصة يتلذذ بها الرجل دون حقوق أو مسئوليات ويتاجر بها دون أن يعطيها إلا الفتات ويعاملها كأنها سلعة رخيصة لا كرامة لها ولا شرف .

— ولقد قرأت فى الفترة الأخيرة تحذيرا من علماء الإجتماع فى جامعة نيويرك نشر فى بعض المجلات العلمية من ارتفاع عدد المومسات ونبه فيه الدكتور « تشارلى دينك » إلى خطر ظاهرة انحلال الفتيات

وادمانهن على المخدرات نتيجة لتفكك الأسرة وانعدام رعاية الآباء لها .

وفى لوس أنجلوس كشف معهد أبحاث أمريكى عن فضيحة أخلاقية مفزعة وهى أن عشرة آلاف فتاة فى كاليفورنيا وحدها قد أنجبن أطفالا غير شرعيين وأن البنات اللاتى ولدن ولادات غير شرعية فى الولايات المتحدة يزيد على ثلثمائة ألف فتاة وأنه فى مدرسة ثانوية واحدة فى مدينة لوس أنجيلوس ظهرت أعراض الحمل على ٢٥٠٠ طالبة وما يحدث فى أمريكا يحدث مثله فى بريطانيا وألمانيا والسويد وغيرها من دول أوربا .

ففى أمريكا عدد من الشركات الجنسية، التى تتخذ من المرأة بضاعة رائجة مايقرب من مائتين وخمسين شركة جنسية ولقد أعلن الرئيس الأسبق « نيكسون » بنفسه أن أرباح التجارة بالمرأة قد عاد على أصحابها بأكثر من مليارى دولار فى عام ١٩٧٢

وفى مدينة نيويورك وحدها بلغ عدد البغايا خمسة وعشرين ألف بغى تستهلك الواحدة منهن بخمسين دولار من المخدرات يوميا .

وفى نيورك أيضاً يوجد أغرب ناد فى العالم يضم أعضاء من مختلف الولايات المتحدة يقدر عددهم بحوالى خمسة عشر مليونا هم المنحرفون جنسياً مابين منتسبين ومنتظمين .

أما عن حوادث الأجهاض الناتجة عن العلاقات غير الشرعية ، والتى يلجأ إليها النساء والرجال فإن من الضرورى أن نذكر أنه قد ترتب عليها أموراً خطيرة حتى أن منظمة الصحة العالمية لاحظت بقلق شديد تزايد حالات الوفاة الناجمة عن الإجهاض بشكل مضطرب فقد أصبحت تمثل نحو ١٠ ٪ من جملة الوفيات بين الأمهات .

ويتضح من بحث أجراه الاتحاد الوطنى لصناديق الاعلانات العائلية

فى فرنسا أن هجر العشيق لعشيقته من الأسباب الشائعة للاجهاض وأن مسئولية الرجل تصبح أكثر ضخامة وذلك لأنه يتخلى عن المرأة بسبب الحمل .

وقد بلغ عـــدد النساء الأوربيات اللاتى يضطرون إلى السفر إلى سويسرا من فرنسا وغيرها من الدول الأوربية التى تحظر إجراء عمليات الاجهاض أكثر من عشرة آلاف سيدة فى كل عام .

وحصاد هذا السلوك كله أن يدفع جيل من البشر الثمن باهظاً ويعيش حياته بلا انتماء ولا هوية مجرد لقطاء .

إن الأباحية والتبذل والامتهان بالكرامة الإنسانية هى التى أوصدت باب الزواج وجلبت كل هذه المخاطر على أصحابها فكان الشقاء والتعاسة .

٦ ــ أوهام الحب وحقيقته

همسة فى أذن كل شاب وفتاة

إن العديد من الروايات والقصص الخيالى عن الحب والزواج يشوش على أفكار الشباب والفتيات... فبالرغم مما يقوم به المؤلفون لهذه الروايات والأساطير من إتقان وتفنن فى ربط أحداثها إلا أنها لاتصلح أن تكون أساساً سليما لحياة واقعية أو صورة لحياة زوجية حقيقية .

فالحب لاينكره أحد وإنما ينبغى أن نتعلمه على حقيقته فلقد قامت هذه الروايات التى تصوغها الأقلام فى قالب واقعى هو بعيد كل البعد عن الحقيقة لأنها تأتى على نظرية أمريكية تؤكد أن الإنسان ــ كل إنسان ـ له أليف واحد فى الحياة وإذا التقيا تحابا وأنه سيكون سعيدا إن تزوج بأليفه وهذا المعنى يخالف النص الإسلامى الذى تضمنه حديث رسول الله ﷺ

القائل . «الأرواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وماتنافر منها اختلف » فالتآلف يكون مع العديد من الأشخاص لا مع أليف واحد وإلا كان يحدث عندما يفتقد الشخص أليفه يفتقد الحياة ولا سبيل إلى أليف آخر .

فالحب ليس كل شيء فهناك عوامل كثيرة لها نفس الأهمية والأثر لنجاح الحياة الزوجية أهمها البناء لهذه الحياة واستمرار هذا التشييد طوال الحياة .

فالحب الذى تصوره الروايات والأفلام ماهو إلا نسيج من الأحلام ينشأ عن الآمال والتصورات ويجعل الإنسان يرى فيمن يحب صورة للرجل المثالى أو المرأة المثالية التى لايمكن أن توجد هذه الصورة على أرض الواقع .

لأن الحياة الزوجية الرشيدة الأكثر ثباتاً وسعادة لايمكن أن تقوم وتثبت دعائمها حتى يحل الحب الواقعى محل الأوهام — الحب الروائى والخيالى — لأن الواقع والحقائق تقف حجر عثرة أمام أوهام الخيال وأحلامه ومن أجل هذا كانوا يسمون هذا الحب — الذى هو حب الخيال — حب أعمى .

إن الحب الخيالى جميل ويستمتع به كل إنسان ولكن عندما تفكر فى الزواج عليك أن تميز بين ماهو خيالى فى الحب وماهو حقيقى .

فالحب الواقعى بين الزوجين ينمو ويكبر على مر الأيام تدعمه العشرة الطيبة والصحبة الحانية فيحل تدريجيا كلما زادت معرفة كل واحد بالآخر ولقد أيدت الدراسات والأبحاث التى قام بها بعض علماء الاجتماع أن فشل كثير من الزيجات كان بسبب الصور الوهمية التى كان يتصورها

الشباب قبل الزواج وتصوروا استمرار هذا الحب فى الحياة الزوجية ولكن الواقع بدل المشاعر الخيالية إلى المشاعر الواقعية والتى لم يكونوا يتوقعونها فكان ذلك سبباً من الأسباب التى أدت إلى انهيار الحياة الزوجية مبكرة لأن الزوجين لم يكونا قد استعدا لأن يتبادلا الأحاسيس والمشاعر من كل منهما تجاه الآخر فهما يعتقدان أن الحب قد ذوى وذبل لمجرد شعورهما بهذا التغيير .

والواقع أن الحب الزوجى الواقعى أشد اشباعا من الحب الخيالى .

ويكون معظم الحب الحقيقى المتبادل بين الزوجين بعد الزواج وهذا مايؤكده قول الحق عز وجل « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

لأن الزواج فى أساسه المشاركة فى الشعور والوجدان والتعاون الصادق فى شئون الحياة والعطف والرقة ، فى المعاملة والمسئولية المشتركة فى بناء الحياة الأسرية وليس الحب تسلية ولا منفعة ولا مالا ولا هدايا كما يتصوره البعض كما أنه ليس هو الشاب الوسيم الأنيق الذى يجيد العبارة الحلوة المعسولة والذى يمضى الوقت وهو يصب فى أذن فتاته كلمات الإعجاب والاطراء ويعلن تعلقه وشغفه وهواه بها فهذا ليس دليلا على الحب وليس دليلا عليه أيضاً أن يقول لها إنه يمضى الليل ساهماً والنهار مفكراً فى جمالها ورقتها وأنه عندما يذهب إلى عمله فإنها تتجسم أمام عينيه فيخطىء فى الأرقام — وليس دليلا على الحب أن يقول لها إنها أجمل فتاة فى الدنيا وأنها أظرف وأرق بنت فى العالم .

وليس دليلا على الحب أن يغرقها بالهدايا وأن يدعوها كل ليلة إلى الحفلات والسهرات والنزهات وليس من الحب أن تكون له سيارة جميلة تفتخر بها الفتاة أمام زميلاتها :

وأعود فأقول إن غياب الحب ليس معناه الانصراف عن الزواج ذلك لأن الحب سهل التواجد إذا توافرت النية إليه فإذا كانت المعاشرة بالمعروف والتآلف مع الود والتسامح والتعاون فى تحقيق الهدف المشترك للزوجين حدث أقوى أنواع الحب فى الحياة .

٧ — معيار الاختيار لكلا الزوجين فى الإسلام

إن الحياة على الأرض إذا خلت من المتعة كانت حياة جافة قاسية لا طعم لها ولا لذة ومن هنا فإن حكمة الله عز وجل قد جعلت كل عناصر البقاء مرتبطة بأسباب المتعة وأن هذه الحكمة تجعلنا على بينة من الغاية منها لأن المتعة ليست هدفا لذاتها ، وإنما هى وسيلة إلى غاية كريمة وأهداف نبيلة . ولقد أوضح إمامنا أبو حامد الغزالى رضى الله عنه فى كتابه « إحياء علوم الدين » أن شهوة الوقاع لها فائدتان .

إحداهما : أن يدرك لذته فيقيس بها لذات الآخرة لأن لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد .

والثانية : بقاء النسل ودوام الوجود .

ولقد كانت المرأة تعتبر فى القديم حيوانا لا روح له ولم تكن زوجة ولما أرادوا إنصافها فى المؤتمر الفرنسى الذى عقد سنة ٥٨١م كان جهد ما قرروه لها أنها إنسان وليس بحيوان إنسان خلق لخدمة الرجل ولكن القرآن الكريم يجعلنا نقف بين يدى آية من آياته تنطق نوراً ورقة فهى تقرر أن المرأة آية من آيات الله خلقها الله من أنفس الرجال لا من طينة أخرى وخلقها لتكون زوجة لا لتكون خادما وذلك فى قوله تعالى :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل

مودة ورحمة ، والسكن معناه أمر نفسانى وسر وجدان يجد فيه الرجل سعادته ويأنس له فى وحدته وخلوته أنساً لا تكلف فيـــه وذلك من الضرورات المعنوية التى لا يجدها الرجل إلا فى ظل المرأة .

ولقد كان تعبير الأمام القرطبى رضى الله عنه فى تفسير قول الله تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) معنى رقيقاً فى تصوير الحياة الزوجية السعيدة .

فقد قال هن لباس لكم أى أن يكون كل منهما جعل لصاحبه لباساً لتجردهما عند النوم فى ثوب واحد وانضمام كل منهما لصاحبه بمنزلة ما يلبسه على جسده من ثياب .... .

وقد عرف الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه بأن النكاح لغة هو الضم والجمع حتى يصيرا كالجسد الواحد ، وبالزواج يتقرر مصير المسلم الأمر الذى يدعوا إلى الاهتمام بحسن الاختيار والتثبت الدقيق المتأنى بالاختيار الصحيح .

فلقد ثبت أن من أهم مشكلات الزواج وصعوباته والمعوقات التى تقف حائلا مانعا لإقامة بيت سعيد تنجم عن التسرع فى إختيار شريك الحياة دون بحث وتدقيق فكم سارع الشاب أو الشابة فى الارتباط بالزواج من عروس أو عريس بمجرد الإنخداع بالمظهر الكاذب والجمال الخادع فوقع كل منهما على أم رأسه وقاسى من الويلات والشرور ماأودى بحياته وأذكر بهذه المناسبة قولة لحكيم خير فى أن يختار زوجته من طائفة من الفتيات الجميلات الفاتنات وكن على مقربة منه فأرسل بصره إلى جبل عال يناطح السحاب وأختار فتاة فوق قمته وقال إننى أتزوج هذه الفتاة لأنها صعبة المنال بعيدة عن الأنظار لهذا كله فإننا نرى الإسلام حض على حسن إختيار الزوج لزوجته والزوجة لزوجهـــا من ذوى الأخلاق والصلاح والدين والعفة والمتعة .

وقد جعل لذلك قواعد وأسس :

أولها : أن يكون كل من الزوجين ناضجا نضوجا عقليا وعاطفيا إلى الحد الذى يمكنهما من التعاون لإنجاح هذا الزواج والسير فى حياتهما سيراً سليما يجتازان به المخاوف والمخاطر والاضطرابات التى سيواجهانها حتى يعيشا الواقع الفعلى .

فالزوج لا ينتظر من زوجته أن تكون ملاكا مبرءاً من كل العيوب وكذلك الزوجة لاتنتظر من زوجها أن يكون ملاكا لايخطىء ولاتعتريه العيوب لأن الكمال لله وحده .

ولقد أكد علماء الاجتماع على حقيقة مفادها أن من عاش طفولة سعيدة فإن فرص الخلاص من الاضطرابات النفسية تكون أكبر وهذا فى حد ذاته دليل يبشر بالنضوج الفكرى العاطفى ومن هنا فإن الإسلام أكد على العناية بالطفولة والأطفال فلقد جاء فى السنة المطهرة أن (الأقرع إبن حابس دخل على رسول الله ﷺ وهو يقبل الحسن والحسين ويضعهما على حجره فقال يارسول الله إن لى عشرة من الأولاد ماقبلت واحدا منهم. فقال له صلوات الله وسلامه عليه أو أملك إن كان الله قد نزع الرحمة من قلبك) بل إن الإسلام أنكر على كل إنسان يعامل الأطفال بغير رحمة وعد خارجا عن الإسلام فقال صلواة الله وسلامه عليه . (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا) .

ثانياً : ينبغى أن يكون التلاؤم النفسى بين الزوجين قائما فإن كان كل منهما يريد السيطرة على الآخر فمن الواضح أنهما لن يواصلا رحلة الحياة الزوجية فى أمان ولكن إذا كان أحدهما من النوع المسيطر والآخر من النوع المرن الهادىء فهذا هو التلاؤم النفسى الذى يعنيه علماء النفس .

وأيضاً أكد علماء الاجتماع على حقيقة تدل على هذا التلاؤم وهى أنه إذا كان كل منهما يرى فى صاحبه المحاسن ولا يرى فيه المساوئ فهذا هو التلاؤم النفسى .

ولقد صاغ الشاعر العربى هذا المفهوم العلمى فى قوله :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدى المساويا

ثالثاً : ينبغى كذلك ألا يعترض طريق الحياة عقبة صعبة مثل إدمان الخمر والقمار والأمراض المستعصية فى أى منهما لأن صحة كلا من الزوجين البدنية والعقلية هى أعظم جانب من الأهمية فى الحياة الزوجية ولابد من فحص الزوجين طبياً ولا بأس به لأنه يزيل المخاوف والشكوك والأوهام التى يمكن أن تحدث ...

وقد قال أحد الأطباء الذين يقومون بفحص الراغبين فى الزواج كما جاء فى أحد أعداد (مجلة الصحة والقوة) الإنجليزية مترجما .

لقد أتيح لى أن أعرف فى حياتى العملية عدة زيجات ضاعت صحة أصحابها وانهارت حياتهم وتهدمت منازلهم وفقدوا ثرواتهم عن آخرها لأن أحد الزوجين كان يعانى من مرض مزمن قبل أن يتزوج مدة طويلة دون أن يعالج نفسه واحتفظ بسره ولم يبح به لأحد

إن شهادة طبية من طبيب ناصح أمين كان يمكن أن تحول دون المآسى والكوارث والشقاء وتنقذ مثل هذه الحياة من الفشل المحتم وسوء المصير المؤكد .

والإسلام فى تشريعاته قد شدد النكير على الخداع والتدليس فى هذه الأمور وأوجب على كل من الزوجين أن يبين ما به من عيوب وأجاز

الطرف الآخر أن يفسخ العقد عند ظهور عيب لم يكن يعلمه فلقد روى أن رجلا خطب امرأة أمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكان هذا الرجل عقيما فقال له عمر أخبرها أنك عقيم لا تلد .

رابعاً — ومن الطبيعى ألا يغفل أمر السن للزوجين فهناك سن معين لا يصح أبداً أن يتزوج فيها الفتى أو الفتاة إذا كانا صغيرين لا يميزان ولا يدركان معنى الحياة فتذل أقدامهما عند أول عقبة فى الطريق لأنهما يكونان عندئذ فى مقتبل الحياة فهما لا يدركان شيئاً من مسئولياتها فلا يمكن أن نوافق على زواج فتاة عمرها إثنا عشرة سنة مهما كان جسدها ناميا وأن كانت بعض البلاد المختلفة تبيح الزواج فى مثل هذه السن إلا أن القوانين فى جميع البلاد المتحضرة تمنع الزواج فى مثل هذه السن .

ولقد جاء فى كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى رضى الله عنه قال بعض الحكماء ينبغى أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقرته بالسن والعقل والمال والجسد) وأن تكون المرأة فوق الرجل بأربع ... بالجمال والأدب والخلق والورع « الحياء » .

٨ — حسن إختيار الزوج

لقد وضع الإسلام المعيار الصحيح لإختيار الزوج الصالح فجعل الشرط الأساسى له هو الصلاح قال تعالى (وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) فالصلاح وهو الدين وحسن الخلق والقدرة على النكاح هو الأساس الأول للإختيار فقد روى أنه جاء للإمام على رضى الله عنه رجل فقال له جاءنى خاطبان لابنتى فأيهما أجيب صالح وغنى ؟ فقال له الإمام أجب الصالح منهما فإنه إن أحبها أكرمها وإن لم يحبها لم يظلمها

والصلاح ليس هو الغنى والمال فإن الله قد وعد بأنه سيغنى الفقراء من الأزواج ومن أوفى بعهده من الله وكذا كفاءة النسب ليس لها وزن فى الإسلام فقد زوج رسول الله ﷺ إبنة عمته — زينب بنت جحش — رضى الله عنها من زيد بن حارثة وزوج عبد الرحمن إبن عوف اخته من بلال بن رباح الحبشى .

وعن الزهرى رضى الله عنه قال أمر رسول الله ﷺ بنى بياضة أن يزوجوا أبا هند إمرأة منهم فقالوا يارسول الله أنزوج بناتنا من موالينا؟ فنزل قول الله تعالى (إن اكرمكم عند الله أتقاكم) وربما يتبادر إلى الذهن أن الإسلام قد تساهل فى زواج الغنى من الفقيرة أو الفقيرة من الغنى وهما يختلفان فى العادات والتقاليد والطباع التى من شأنها أن تجعل بين الزوجين إختلافا فى المشاعر تؤدى إلى التنافر وإلى هؤلاء أقول إن الإسلام من شأنه أن يوحد بين المسلم والمسلمة فى عاداتهما وتقاليدهما لأن أوامره ونواهيه مشتركة بين الجميع وهذا من شأنه أن يجعل أخلاقهما على نسق واحد ومشرب واحد حتى فى الميول لأن القاعدة الأساسية فى الإسلام مؤسسة على قول المصطفى ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» .

ومن هنا يزول التباين والتباعد مهما كان الإختلاف فى الغنى والفقر ويتم التفاهم والتوافق فى التفكير والإهتمامات المشتركة .

ولقد قرأت بحثا لأحد علماء الغرب عن التربية الإسلامية يقول فيه «إن المسلم الهندى أشبه بالمسلم العربى بالرغم من موطنه الهندى البوذى الذى عاش بجواره قرونا .

وذلك لأن الدين الإسلامى إذا تمسك به أتباعه بحق فمن شأنه أن يصهرهم فى بوتقة واحدة ويوحد بينهم ويجعلهم على نسيج واحد بعيد عن الأختلاف والتباين» وإذا كان هذا التشابه مفقودا الآن — ويا للأسف الشديد بين المسلمين فلأن سبب ذلك هو بعدهم عن العادات الإسلامية

وتقليدهم للأجانب مما أفقدهم شخصياتهم حتى أصبحوا ذيولا لغيرهم .

ولقد أكدت السنة النبوية المطهرة على قاعدة الصلاح فى اختيار الزوج فيما رواه الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : إذا خطب إليكم من ترضون، دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض » وفى روايه وفساد كبير وفى الحقيقة التى لا شك فيها أنه لولا الزواج لانتشرت الرذائل والمفاسد وتحللت الأخلاق ولهذا يقول المصطفى ﷺ (إلا تفعلوا تكن فتنه فى الأرض وفساد كبير ، لأنه لاعاصم لكثير من الناس من هذا البلاء مالم يتزوجوا إلا بالتقوى وذلك بغض البصر ومجاهدة النفس وهو مع ذلك عرضة لوساوس الشيطان ولأن عدم الزواج يشغل القلب والقلب السليم هو رأس مال المسلم فى طريقه إلى الله فإذا اشتغل القلب عن الله تعالى فاته الكثير من الخير .

ولقد روى أن عبد الملك بن مروان خطب — وكان خليفة المسلمين لابنه الوليد حين ولاه العهد ابنة سعيد بن المسيب رضى الله عنه وكان إسمها الرباب فابى سعيد أن يزوجه خوفا من إفتتان إبنته بالملك والجاه ففضل أن يزوجها لرجل تقى وهو عبد الله بن أبى وداعة وكان تلميذه فآثر بهذا الزواج الدين على الدنيا وأثر ما يبقى على ما يفنى فتقوى الله وحسن الخلق والعمل الصالح والسلوك الطيب شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها .

لقد كان سعيد سعيداً بهذا الزواج قرير العين بتلك المصاهرة فالمال عرض زائل والتقوى قيمة ثابتة والجاه ظل ما حق والإيمان دعامة راسخة وصدق القائل :

ولست أرى السعادة جمع مال

ولكن التقى هو السعيد

فتقوى الله خـــير الزاد ذخراً
وعنـــد الله للأتقى مـــزيد

ولقد ورد فى أخبار هذه الزوجة الصالحة أنها قالت لأبيها ذات يوم ياأبت لقد قرأت القرآن كله وقرأت قول الله تعالى (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة) وفهمت حسنة الآخرة التى هى الجنة فما حسنة الدنيا ؟ قال لها والدها رضى الله عنه يابنية حسنة الدنيا هى الرجل الصالح للزوجة الصالحة والزوجة الصالحة للرجل الصالح .

ولقد حذر رسول الله ﷺ من تزويج الفاسق فقال « من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمه » وقال ابن تيمية رضى الله عنه « ومن كان مصرا على الفسوق لا ينبغى أن يزوج » .

وينبغى أن يكون الرجل بعد صلاحه ودينه وامانته قادراً على القيام بأعباء المعيشة لأن الإسلام لا يأمر الرجال بالزواج إلا عند القدرة على تكاليفه وأعبائه .

فقال صلوات الله وسلامه عليه « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة أى تكاليف الزواج — فليتزوج لأن الرجل هو « رب الأسرة والمتصرف فى أمرها وله القوامة عليها ولن يكون ذلك إلا بقدرته على الإنفاق قال تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) كذلك ينبغى أن يكون مسلكه طيبا وحديثه طيباً فلا يكون متعسفا فى مسلكه ومظهره وحديثه فلا يكون حديثه مليئا بالمجاملات وعبارات الإعجاب كما ينبغى أن يكون طموحاً بحيث يسعى دائما إلى رفعة شأنه أدبيا وعلميا وماديا ولا يرضى أن يكون عالة على سواه أو أن يكون محدود الآمال عديم الطموح خائر الهمة والعزيمة .

وينبغى أن يكون خفيف الظل والروح فلا يرهق الأصحاب بأحاديثه المملة أو يكون دائم الشكوى أو ساخطا على الحياة أو متبرما بواقعه فإن هذه الأمور تنم عن مشاكل دفينه وعقد نفسية ستظهر فى وقت من الأوقات أثناء حياته الزوجية وتطفو فوق السطح ويكون لها أسو الأثر فى رحلة حياته الزوجية لأن الرجل الذى يتصف بهذه الصفات برهق أعصاب زوجته ويجعلها فى ضيق دائم وملل مستمر .

٩ — حسن اختيار الزوجة

إن الإسلام — كما أخذ بيد المرأة ليعلمها كيف تختار شريك حياتها ورفيق عمرها — أخذ بيد الرجل أيضا ليعلمه كيف يختار شريكة حياته ورفيقة عمره فقد جاء فى حديث رسول الله ﷺ الذى رواه البخارى ومسلم وغيرهما « تنكح المرأة لأربع . لمالها ولحسبها ولدينها ولجمالها فاظفر بذات الدين تربت يداك » ، وهنا نرى رسول الله ﷺ تدأكد على ذات الدين لأن الزوجة المتدينة تكون عونا على الدين فإذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عنه ومشوشة له لأنها بفساد دينها تستهلك مال الرجل وتعرض شرفه للخطر وتكون حياته معها مضطربة فإن سكت على فسادها كان شريكا لها فى المعصية لأنه لم ينكر عليها سلوكها وتصرفاتها ويكون بذلك مخالفا لقول الله تعالى (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) وإن أنكر وخاصم تعب وعانى من عدم رضاها .

فالمرأة ذات الدين لا تنخدع بغيرها ولا ترخص لنفسها ولا تهمل شأن بيتها ولا تغفل عن تربية أولادها وتأديبهم وإصلاح شأنهم ولا عن حقوق زوجها . فالدين يحد من ثورتى الغضب والشهوة وهو علاج ناجع لشفاء النفوس وليس معنى ذلك أن مطلب المال أو الحسب أو الجمال ليس مقصوداً إنما المراد ألا يقتصر على أى منها فى طلب الزواج ولقد جاء فى كتاب

(السعادة الزوجية فى الإسلام) كنت أستمع إلى المذياع يوما فسئل رجل هل تحب أن تكون امرأتك جميلة جداً؟ قال الرجل: لا. قيل له ولم؟ هل هناك أحد يكره الجمال الفتان؟ قال الرجل: إن الجمال الفتان يصحبه دلال فتان ومشكلاته لاتنتهى) وأعجبنى هذا الجواب فالبحث عن إنسانية المرأة أولا وعن دينها وعن خلقها وعن خصالها وعن عنصرها الأصيل ومعدنها الطيب — أباً وأماً — وعن ثقافتها التهذيبية وعن عقلها الرشيد وذلك لا يمنع من البحث عن الجمال بعد ذلك. وقد نصح بعض علماء الاجتماع بالنصائح التالية لاختيار الزوجة.

أولا: لا تسأل عن المدرسة التى تعلمت فيها الفتاة قبل أن تسأل عن البيت الذى تربت فيه.

ثانياً: الزواج شركة معيشة فاختر لك شريكا يوافقك مشرباً وطباعاً وأخلاقا.

وبهذا تكون المرأة صاحبة سلوك حسن وأخلاق كريمة وخلال طيبه تحافظ على نفسها ودينها وبيتها وأسرتها وتتمتع بالمثل العليا والعفة والمروءة ومكارم الأخلاق ويتحقق فيها أوصاف رسول الله ﷺ فى حديثه عن المرأة الصالحة (إذا نظر إليها سرته وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله) وقبل ذلك ينبغى مراعاة الأسس والقواعد الإسلامية والاجتماعية التالية.

أولا: أن تكون الزوجة من أصل طيب ومعدن كريم وأسرة معروفة بحسن السمعة والأخلاق الفاضلة. فقد روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال:

(الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإســـلام إذا فقهوا).

وليس المراد بالأسرة الكريمة هى ذات الثراء والغنى والجاه إنما المراد حسن السيرة والتمسك بالفضائل والبعد عن الشبهات والمحرمات استرشاداً بحديث رسول الله ﷺ (تزوجوا فى الحجر الصالح فان العرق دساس) ويمكن التعرف على هذه الأسرة من خلال معرفة أفرادها هل هم ناجحون فى الحياة ؟ هل هم على جانب من الأخلاق الحسنة ؟ كيف تعامل ربة الأسرة رب الأسرة ؟ وهل هما على وفاق دائم ؟ أم هم على شجار وتنافر ؟ وكيف تعامل هذه الفتاة المرشحة للزواج أمها وأباها ؟ هل تحبها وتطيع أوامرهما وتنفذ نصائحها أم تتمرد عليها ؟ كذلك لا ننسى أن نراعى صحة أفراد هذه الأسرة تحسباً من الإمراض الوراثية وكذلك معرفة درجة ثقافة أفرادها وأسلوب تفكيرهم هذه أمور حيوية ومهمة يسهل على الشخص العادى أن يدرسها ويبحثها ويلم بها ويقف على حقيقتها لأن لها أثرا كبيرا على مستقبل الحياة الزوجية ، وقد قال أكثم ابن صيفى لأولاده (يا بنى لا يحملنكم جمال النساء عن صراحة النسب فإن المناكح الكريمة مدرجة للشرف).

ثانياً : أن تكون جميلة الجسم كاملة العقل حسنة الوجه غير قبيحة التقاطيع يشعر نحوها الزوج بالجاذبية لتحصل بها العفة ويتم الإحصان وتسعد النفس ، ولقد أثبت علماء النفس أن القبح قد يكون فى بعض الحالات علامة من علامات المرض كما أثبتوا أن الجمال فى كثير من الأحيان يعتبر علامة من علامات الصحة الجيدة وقد وصف بعضهم المرأة الحسنة فى هذا المجال فقال (إذا كانت المرأة حسناء خيرة الأخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهى على صورة الحور العين فإن الله تعالى وصف نساء الجنة بهذه الصفات فقال تعالى : (فيهن خيرات حسان) وقال (قاصرات الطرف) وقال (عرباً أتراباً) فالخيرات الحسان هن ذات الأخلاق الحسنة . والقاصرات الطرف اللاتى لا ينظرن إلا إلى أزواجهن ولا يتعدى نظرهن إلى سواه وأراد

بـ (عرباً أتراباً) العاشقة لزوجها والمشتهية له وبها تم اللذة والحور العين واسعة العينين شديد بياضها شديد سوادهما مع سواد الشعر .

وقد كره الفقهاء ذات الجمال الفتان لأنها تزهو بجمالها ومن فضل الله تعالى أنه جعل أمر الجمال نسبياً وأنه يختلف باختلاف الأفراد حتى يقترن كل إنسان بما يناسبه ، وصدق رسول الله ﷺ حين قال : (خير نسائكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله .

ثالثاً : أن تكون بكراً لتكون المحبة بين الزوجين أقوى والصلة أوثق لأن الطباع جبلت على الأنس بأول مألوف وأما التى سبق لها أن اختبرت الرجال ومارست الأحوال فربما لا ترضى ببعض الأوصاف التى تخالف ما ألفت فلا تأنس به ولا تؤنسه ومن يمن البكر أنها لا تحن إلى الزوج السابق وآكد الحب وأقواه مايقع مع الحبيب الأول غالباً —

قال الشاعر العربى :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل فى الأرض يعشقه الفتى
وحنينه أبداً لأول منزل

وهناك دلائل على هذا التفضيل وهو قول المصطفى ﷺ لجابر ابن عبد الله لما تزوج امرأة ثيبا فقال له (هلا بكر اتلاعبها وتلاعبك وتداعبها وتداعبك) فأخبر جابر الرسول ﷺ بأن أباه قد ترك (بنات صغارا وهن فى حاجة إلى رعاية امرأة والثيب أقدر على ذلك من البكر .

رابعاً — أن تكون هذه الفتاة على جانب من التعليم ولا مانع من أن يكون هذا الجانب مساويا لثقافة الزوج وتعليمه حتى يتيسر التفاهم العقلى والتعاون الروحى ، ولسنا هنا نقصد بهذا التعليم أن تكون من خريجات الجامعة . فالتعليم العالى للفتاة ليس ضرورياً ولكن الكثيرات منهن ثقفن أنفسهن ثقافة شخصية وقد اعتمدن على قوة إرادتهن وحبهن للبحث والدرس وكثرة الاطلاع فاتسعت مداركهن وأصبحت تعادل مدارك خريجات الجامعات والكليات .

كذلك ينبغى أن تكون ذكية قادرة على فهم الزوج تماماً متفقة معه على أغلب وجهة نظره التى تتعلق بالشئون المنزلية والتقاليد الاجتماعية ومن الضرورى أن تتقارب معه فى الميول والرغبات والمشاعر كما ينبغى أن تكون مقدرتها كبيرة فيما يختص بالتدبير المنزلى .

خامساً : يفضل الاغتراب فى الزواج بأن يبتعد قدر الإمكان عن النساء ذوات النسب والقرابة حرصاً على نجابة الولد وضماناً لسلامة الأسرة من الأمراض الوراثية وتوسيعاً لدائرة التعارف وتوطيداً للروابط الاجتماعية ولقد أرشد المصطفى ﷺ فى حديثه الشريف إلى ذلك فقال (اغتربوا لاتضووا) وقال أيضا : (لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاويا) أى نحيفا ضعيف الجسم قليل الذكاء وقد أثبت علم الوراثة ما قاله النبى ﷺ فضلا عن ذلك فإنه يقال الرغبة فى كل منهما لأن الشهوة والرغبة فيها تقوى بالأمر الغريب وقد كان العرب يحبون تزوج البعيدات ويرون ذلك أنجب للولد وأقوى للبدن وأبهى للخلقة . وعن الأصمعى قال : (بنات العم أصبر والغرائب أنجب وما ضرب رؤس الأبطال كابن الأعجمية) .

هذا بالنسبة للجمال الذى يدرك بالنظر ويعرف به وينبغى معرفة بقية الصفات الخلقية إما بالوصف والاستيصاف والتحرى عمن خالطوها بالمعاشرة أو الجوار أو بواسطة بعض النساء اللاتى يكن موضع ثقة من الأقرباء كالأم والأخت وقد بعث النبى ﷺ أم سليم إلى امرأة أراد الزواج بها فقال لها — صلوات الله وسلامه عليه — أنظرى إلى عرقوبها وشمى معاطفها وفى رواية شمى معارضها ومعناهما ماتحت العنق وتحت الأبط ورائحة أسنانها فى فمها .

سادسا — أن تكون ولودا لأن الغرض من الزواج هو الانجاب فينبغى أن تكون منجبة وتعرف بجسمها والنظر فى حال أمها وحال أخواتها المتزوجات وخالاتها وعماتها فان كن منجبات ولودات فالأرجح أن تكون مثلهن فى الإنجاب وهذا ما أرشد اليه هدى النبوة فلقد روى أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال له يارسول الله إنى أحببت امرأة ذات حسب ونسب ومال إلا أنها لاتلد أفأتزوجها ، فنهاه ﷺ ، ثم أتاه ثانية فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه ثالثة فقال له عليه الصلاة والسلام (تزوجو الولود الودود فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة) .

سابعا — كانت العرب تكره الزواج بست من النساء ، الأنانة والمنانة والحنانة والحداقة والبراقة والشدافة .

أما الأنانة فهى التى تكثر الأنين والشكوى وتعصب رأسها كل ساعة وهى مراضة فنكاحها لاخير فيه .

والمنانة ، هى التى تمن على زوجها إما بمالها أو بجمالها أو بعواقبها وهذا أمر غير مستحب .

والحنانة ، هى التى تحن إلى زوج آخر كزوجها السابق أو إلى ولدها من زوج آخر وهذا مايجب اجتنابه .

والحداقة ، هى التى ترمى إلى كل شىء بحدقتها أى تنظر إلى كل شىء وتشتهيه وترغب فيه وتكلف الزوج شراءه .

والبراقة ، هى التى تضيع كل وقتها فى تصقيل وجهها وترجيل شعرها وتزيين جسدها ليكون لها بريقا مصطنعا وغير طبيعى .

والشداقة ، هى المتشدقة بقولها الكثيرة الكلام ومنها قوله ﷺ (إن الله يبغض الثرثارين والمتشدقين) لأنها تتعب أعصاب زوجها .

ثامنا — جاء فى كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى رضى الله عنه قال : قال بعضهم من تزوج غنية كان له فيها خمس خصال. مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة الناغصات. وإذا أراد طلاقها لم يقدر على ذهاب مالها — هذه هى المعايير السليمة لاختيار الزوجة الصالحة من منطوق — إسلامى ونظام تشريعى وهــدى نبوى ليسترشد به المسترشدون ولحياة زوجية سعيدة .

١٠ — لا : لزواج الأجنبيات

قد يحلو للبعض أن يقول كيف أن الإسلام قد حض على الزواج بذات الدين مع أنه أباح للمسلم أن يتزوج بالكتابية — النصرانية أو اليهودية — وغاب عن هؤلاء أن يفهموا الحكمة من هذه الاباحة وللفقهاء فيه أراء عدة فبعضهم يبيحه وبعضهم يحــرمه وبعضهم يقيده وبعضهم يخصصه فليست الاباحة على إطلاقها . هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الله عز وجل أذن بزواج المسلم من الكتابية شفقة عليها ورحمة بها فلعلها ترجع إلى دين الفطرة الذى جاء به ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه فتدرك الحقيقة وتدخل فى دين الله

حيث أتصلت بالحياة الإسلامية وعاشت فى كنف الرجل المسلم تحت ظل الإسلام وسماحته .

وقد كان لهذا الأسلوب الإسلامى أعظم الأثر وأبرك النتائج وأحسن المناهج فى دخول أكثر الزوجات الكتابيات فى دين الله أفواجا وذلك يوم أن كان للزوج المسلم شخصيته الاسلامية الواعية القوية .

وإنى أرى أن الزواج بنساء أهل الكتاب مقيد بضمان تربية الأولاد تربية إسلامية وبصيانة البيت الاسلامى من مظاهر الشرك والوثنية حتى لاتسرى العدوى إلى الأولاد والبنات لأن القاعدة الفقهية تقول (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) .

وقد ذكر بعض الصحابة رضوان الله عليهم — إن الزواج بالكتابيات كان يوم أن كان المسلمات قليلات وأرى توقيف هذا الزواج إذا خشى منه بوار المؤمنات — ومن هنا فإنى أدعوا مع هذا الصحابى الجليل إلى التوقف عن نكاح الكتابيات فى عصرنا الحاضر بناء على القاعدة الفقهية التى تقول — دوء المفاسد مقدم على جلب المصالح — وكيف وأن المصلحة فى هداية الكتابية أمر مشكوك فيه — فى وقتنا الحاضر — على يد زوجها المستهتر .

زد على ذلك أن العلماء أختلفوا فى جواز نكاح الكتابيات فقال ابن عباس رضى الله عنهما .

لا تحل والجمهور على خلافه وإنما كره ابن عباس ذلك لقوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يودون من حاد الله ورسوله) والنكاح يوجب الود وأرى صواب رأى ابن عباس رضى الله عنهما إذا تحقق الخطر من الزواج بالكتابيات وهذا هو الواقع الغالب .

ولقد رأى الأزواج المسلمون من الجزائرين المضض والدسائس من الزوجات الفرنسيات خلال الحرب الجزائرية الأخيرة ضد فرنسا ورحم الله تعالى الكاتب الكبير مصطفى صادق الرافعى فقد جاء فى مقال له (بعنوان الأجنبية) — لاتتزوجوا يااخوانى بأجنبية إن الأجنبية التى يتزوج بها مسلم هى مسدس جرائم فيه قذائف الأولى ، بوار امرأة مسلمة وضياعها بضياع حقها فى الزواج وهى جريمة وطنية .

والثانية إقحام الأخلاق الأجنبية والتقاليد الغربية عن طبائعنا وتقاليدنا فى هذا المجتمع الشرقى وهى جريمة أخلاقية .

والثالثة غرس الحضارة الزائفة فى حضارتنا الإسلامية وهى جريمة دينية واجتماعية .

والرابعة التمكين للأجنبية فى بيت من بيوتنا تملكه وتحكمه وتصرفه على ما تشاء وفق هواها وهى جريمة سياسية .

زد على ذلك فإن الكتابيات كتابيات بالأسم فقط لأن أغلبهن مشركات ملحدات فكيف يمكن الجمع بينهن وبين الرجال المسلمين .

١١ — نعم لتعليم بناتنا السلوك الصحيح لحياة زوجية سليمة :

إن الفتاة ستكون زوجة المستقبل وستكون مسئولة فى بيت زوجها ومسئولة عن أسرتها ومن لوازم ذلك أن تتزود بالمعرفة والعلم وأن نعطيها قدراً من التربية الثقافية حتى تعيش عصرها وتحسن تربية أولادها وتعمق فيهم فضائل الأخلاق ومن قبل ذلك تحسن عشرة زوجها وتهيىء له الحياة الراغدة والعيشة الهادئة والصحبة الهادئة وتجعل من بيتها جنـــة وارفة الظلال إلى غير ذلك من الأمور الضرورية للحياة — وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

وإذا كان هناك أنواع كثيرة لفروع العلم والمعرفة فلا بأس للفتاة أن تتعلم فى أى فرع منها ولقد قال الفقهاء — إن العلم بالنسبة للمرأة نوعان أولها فرض عين وهو العلم الذى تصح به عبادتها وعقيدتها وسلوكها وتحسن به تدبير منزلها وحسن صحبة زوجها وتربية أولادها ولن تحسن المرأة هذه الرعاية حتى تتسلح لها بأسلوب العصر وتحصل على الثقافة المناسبة لها — وكذا إذا كانت ضرورات الحياة تفرض على الأمة إعداد النساء لثقافة معينة مثل أن تكون الأمة فى حاجة إلى طبيبات لأمراض النساء والطفولة أو فى حاجة إلى ممرضات أو فى حاجة إلى مدرسات لمدارس البنات — وثانيهما فرض كفاية وذلك إذا لم تكن الأمة فى حاجة إلى عمل المرأة ولم تكن هناك ضرورات تفرض على الأمة إعداد النساء لثقافة معينة .

وخير تعليم الفتاة هو إعدادها إعداداً إسلامياً يقوم على المنهج الإسلامى بإعداد الزوجة الصالحة .

ولقد قالت السيدة — ملك حفنى — الملقبة بباحثة البادية سنة ١٩٠٧م ونشرت ذلك بعض المجلدات المصرية (وحقيقة أن النساء لم يخترعن

اختراعات عظيمة ولكن كان منهن النابغات فى العلوم والسياسة والفنون الجميلة وبعضهن فقن الرجال فى الفروسية والشجاعة مثل خولة بنت الأزور الكندى — فقد عجب منها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأعجب باستبسالها فى فتوح الشام عند ماأرادت أن تخلص أخيها من أسر الروم — ثم تقول — إن الأم مهما تعلمت وبأى حرفة أشتغلت فلن ينسيها ذلك أطفالها أو يفقدها عاطفة الشفقة والأمومة بل على العكس من ذلك فإنها كلما تنورت أدركت مسئوليتها — ثم تواصل هذه السيدة الفاضلة حديثها فتقول (إن المدارس مهما اجتهدت فى تثقيف عقول النشىء وتهذيبها فإن المنزل له تأثير خاص على الأطفال فإذا شعر تلميذ بأن أمه عالمة أو لها نصيب من العلم فإنه يسعى جهده ليريها أنه أهل لحبها وتقديرها إياه فيجتهد ليحفظ سلسلة العلم لتكون الصلة بينها وبينه شديدة — ثم تقول — أماما أشكل على الرجال من علة فسادنا فهو ما ينسبونه خطأ للتعليم وحقهم أن ينسبوه للتربية والدليل على ذلك أن كثيرين من المبرزين والمبرزات فى العلوم لا خلاق لهم — فالتربية الحسنة هى التى تعود الإنسان من صغره احترام الغير أو أنه أستحق الاحترام ولو كان عدواً فالتعليم لم يفسد أخلاق الفتيات وإنما هى التربية الناقصة تلك التربية التى يجب أن تكون من أعمال البيت . لا بالمدرسة ولما كانت بيوتنا لم تبلغ الدرجة التى تؤهلها لإحسان تربية الأطفال فقد وجب علينا أن نضاعف الجهد لإصلاح شأن أنفسنا أولا ثم إصلاح النشىء ثانياً .

وفى ختام محاضرتها قالت (ولو كان لى حق التشريع لأصدرت اللائحة الآتية لتعليم الفتيات .

المادة الأولى : تعليم البنات الدين الصحيح أى تعليم القرآن والسنة الصحيحة .

المادة الثانية : تعليم البنات التعليم الإبتدائى والثانوى وجعل التعليم الأول إجبارياً فى كل الطبقات .

المادة الثالثة : تعليمهن التدبير المنزلى علماً وعملا وقانون الصحة وتربية الأطفال والاسعفات الأولية .

المادة الرابعة : تخصيص عدد من البنات لتعليم الطب بأكمله وفن التعليم حتى يقمن بكفاية النساء فى مصر .

المادة الخامسة : إعطاء الحرية فى تعليم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد .

المادة السادسة : تعويد البنات من صغرهن على الصدق والجد فى العمل والصبر وغيره وجميع الفضائل .

المادة السابعة : إتباع الطريقة الشرعية فى الخطبة فلا يتزوج إثنان قبل أن يجتمعا بحضور محرم .

المادة الثامنة : إتباع عادة النساء الأتراك فى الآستانة فى الحجاب عند الخروج (غطاء الرأس بالخمار الذى يغطى الشعر والعينين والأذنيين وهورداء أشبه بالبالطو بأزرار أو بدون أزرار كملابس الجوائريات والمغربيات فينسدل على الجسم إلى الكعبين ويكون طويل الكمين) .

المادة التاسعة : المحافظة على مصلحة الوطن والاستغناء عن الغريب من الأشياء بقدر الإمكان .

المادة العاشرة . على إخواننا الرجال تنفيذ مشروعنا هذا أ . هـ[1] .

---

(١) نشر فى كتاب (المرأة فى الإسلام) للدكتور عبد الله شحاتة نقلا من كتاب المرأة فى العصر الإسلامى ، للأستاذ عبد المتعال محمد الجابرى .

وأنا مع هذه اللائحة الأسلامية التى أصدرتها السيدة الفاضلة ملك حفنى الملقبة بباحثة البادية وليتنى من رجال التشريع حتى أبادر بتقديمها إلى الأجهزة التشريعية لتكون برنامجاً جيداً لتعليم فتياتنا فما أحوجنا وأحوج كل المجتمعات المضطربة حولنا إلى أن يدخل الأسلام بفكره وروحه وتعاليمه إلى بيوتنا لتنال المرأة قسطا من المعرفة بتعاليم القرآن والسنة ثم تستزيد بعد ذلك معرفة بعلوم الأسلام وعلوم العصر .

١٢ — هيا بنا إلى الخطبة

بعد أن عرفنا قواعد الأختيار لكل من الزوجين والأساس الذى نبنى عليه الحياة الزوجية فى المستقبل علينا أن نذهب إلى بيت الفتاة التى وقع عليها الأختيار لنبدأ مرحلة جـــديدة فى وضع أول لبنة فى بناء الأسرة الأسلامية السعيدة تسمى مرحلة الخطوبة ... وفترة الخطوبة هذه تحمل فى طياتها أسمى المعانى وأجمل الذكريات من العمر ... ومن ناحية أخرى فإنه يحصل بها التقارب ويحدث بها التفاهم ويتم بها تبادل وجهات النظر بين الخطيبين حتى يصلا إلى مرحلة الأنسجام وحتى يتم الزواج على أساس متين ولذلك فإن علماء الأجتماع قد أكدوا على أن فترة الخطوبة تعتبر مرحلة هامة إستعدادا للزواج .

وهذه المرحلة تتطلب أن يكون كل من الزوجين مزوداً بكل ما هو جميل ورائع من حب ولباقة بحيث يبدأ بها الخطيبان صفحة جديدة مشرقة من العمر وفى هذه الفترة يتكرر اللقاء ويزداد التعارف بمرور الأيام وتكتمل السعادة والهناءة حتى يصل الأمر إلى درجة تجعل كلا من

الخطيبين يرى فى صاحبه مثله الأعلى... كما أن هذه الفترة ينبغى أن تكون لدراسة الحياة المستقبلة ووضع التخطيط لها على أساس سليم ومتين لأنها رحلة طويلة ولأن الحياة الزوجية يعتريها الملل الكثير فهى رحلة تكتنفها التطورات والأضطربات وهى عرضة للمتاعب والمفاجآت فينبغى أن يتدرب كل منهما على ممارسة هذه الحياة حتى يستطيع أن يواجه كل منهما الشدائد والأزمات والوقوف أمام الظروف والأحوال المختلفة لأن الحياة لا تسير على وتيرة واحدة فلا بد من اضطراب السفينة وأرتفاع أمواج بحر الحياة .

ولذا فإنى أرى أن تطول فترة الخطوبة بحيث لا تقل عن عام أو عامين حتى يتاح لكل من الخطيبين دراسة الأخر دراسة وافية واعية .

فهناك من يستطيع أن يخدع صاحبه بإتقان فن الخداع إلا أن علماء الأجتماع أثبتوا أن الأنسان لا يستطع أن يخفى عيوبه وحقيقة طباعه وعاداته وأخلاقه وتصرفاته أكثر من هذه المدة ... ولكنه يسهل عليه ذلك اذا كانت المدة قصيرة ومن الخير أن يصارح كل منهما صاحبه بحقيقة دخله وموارده المالية بوضوح تام حتى يسهل تنظيم الحياة المستقبلة وينبغى ألا تكون هناك أسرار وخفايا حتى لا تحدث مفاجآت ومشاحنات كما ينبغى أن يتم تبادل الآراء سوياً بصراحة تامة فى كل مقدرات الحياة .

وبحقيقة ما يمكن أن ينفقه كل منهما فى خصوصياته وعلى مطالبه الشخصية والضرورية حتى يستقيم تنظيم الحياة الحقيقية بينهما... إن جميع هذه المسائل وغيرها ينبغى أن تبحث بحثاً دقيقاً وصريحاً وينبغى أيضاً أن يحيط كل منهما صاحبه بحقيقة ظروفه العائلية وأحواله الاجتماعية

إحاطة تامه شاملة وحتى يعد لكل أمر عدته فكثيراً ما يحدث أن تفاجأ الزوجة بعد الزواج بأخوة للزوج لم تكن على دراية بأمرهم وكثيراً أيضاً ما يفاجأ الزوج بأقارب مقربين للزوجة لم يكن على علم بأمرهم مثل إخوة غير أشقاء أو أم لم تكن فى حياة أى منهما أثناء الخطبة إلى غير ذلك .

ومن الأخطاء الشائعة الأندفاع فى الزواج وإتمامه بلا روية وبعد خطوبة قصيرة الأجل وهناك مثل دارج يقول (فى التأنى السلامة وفى العجلة الندامة) فهو مثل يتمشى مع الواقع وفى صميم الحياة .

إن فترة الخطوبة من الأسس التى ينبنى عليها الزواج السليم فالزواج أكثر من مجرد توقيع عقد لقيامه إن توقيع العقد خطوة أولى مطلوبة ولكنها لا تضمن قيام الزواج السليم .

إن قيام الزواج يعنى قيام أسلوب مشترك فى المدة السابقة على الزواج لأن كلا من الزوجين قد أنحدر من أسرة تختلف عن أسرة الأخر فهما يختلفان فى معظم الأمور فلا بد أن يعرف كل منهما صاحبه معرفة جيدة حتى تزداد الفرصة فى التوفيق والسعادة الزوجية .

ولقد دلت الأحصائيات على أن الزوجين اللذين أمتدت بهما فترة الخطوبة كانت فرصتهما للتوفيق فى حياتهما الزوجية أكبر من الزوجين اللذين إندفعا فى الزواج ولم يتريثا فيه ومن هنا فإن الشريعة الإسلامية ليس لها من شىء فى هذا الأمر ولم تضع لهذه المدة تحديداً ولا أحكاما ولم تحدد لها أغراضاً سوى أن ينظر الخطيب إلى خطيبته وأن تتعرف الخطيبة على خطيبها ولأن العاقل لا يدخل مدخلا حتى يعرف خيره من شره قبل الدخول فيه ولقد قال الأعمش (كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم) وهذا النظر ندب إليه الشرع الشريف ورغب فيه فعن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (إذا خطب أحدكم المرأة فإن أستطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل)

قال جابر (فخطبت إمرأة من بنى سلمة فكنت أختبئ لها حتى رأيت بعض ما دعانى إليها) وعن المغيرة بن شعبة أنه خطب أمرأة فقال له رسول الله ﷺ ، أنظرت إليها ؟ قال لا . قال — ﷺ أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما أى أجدر أن يدوم الوفاق بينكما — وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا من المهاجرين خطب أمرأة من الأنصار فقال له رسول الله ﷺ . أنظرت إليها قال . لا . قال فأذهب فأنظر إليها فإن فى أعين الأنصار شيئاً[1] .

وليس ذلك مقصوراً على الرجل وحده بل هو ثابت للمرأة أيضاً فلها أن تنظر إلى خاطبها فإنه يعجبها منه مثل ما يعجبه منها قال عمر رضى الله عنه (لا تزوجوا بناتكم من الرجل الدميم فإنه يعجبهن منهم ما يعجبهم منهن — وبعد — فلعل شبابنا وبناتنا قد فهموا الحكمة من عادة الخطبة التى تسبق عقد الزواج وفهما وضعها الصحيح والحكمة منها .

١٣ — همسة فى أذن الشباب

إن الخلوة بالمخطوبة من الأمور التى حرمتها الشريعة الإسلامية لأنها ما زالت أجنبية عن خطيبها ومحرمة على خاطبها حتى يعقد عليها ولم يبح الشرع أثناء الخطبة إلا النظر إلى المخطوبة لأنه لا يؤمن مع الخلوة اقتراف ما حرم الله تعالى ونهى عنه فإذا وجد محرم جاز الأختلاط لا متناع وقوع المعصية مع حضوره فعن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال (عن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بإمرأة ليس معها ذو محرم فان ثالثهما الشيطان) وعن عامر بن ربيعة رضى الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ (لا يخلون رجل بامرأة لا تحل له فإن الشيطان ثالثهما) ولقد تعود كثير من الناس على التهاون فى هذا الشأن فأباح لا بنته أن تخالط خطيبها

---

(١) يراجع كتابنا الدليل الفقهى (مسائل فى الخطبة)

وتخلو معه دون رقابة وتذهب معه حيث يريد من غير حماية أو مرافقة من الأهل . وحيث أنه فى هذه الحالة لا يكون الإدراك قد اكتمل ولا الوازع الدينى فى هذه السن يكون له سلطان وذلك بسبب هذه الحياة العصرية التى نحياها وتفد علينا فيها الأفكار الغربية والتقاليد الأوربية والعادات البعيدة عن الإسلام ونقلد فيها غيرنا من الشعوب والامم التى لا تعرف عن الفضيلة شيئا .

ومن هنا فإنه يخشى من هذا الاختلاط الغير محروس برقابة من الأهل أن تنطلق الغرائز دون قيد أو ضابط للوقوع فى أخطار جسيمة خاصة فى غيبة من الأهل والأقارب .

ولذلك فإنى أقول للشباب الخاطبين إن الرجولة الحقة والشهامة الفذة يقتضيان من كل شاب السيطرة الكاملة على غرائزه وعدم اختلاس لحظات آثمه مبرراً فيها عذره بأن الزواج قد أوشك وأصبح قريبا .

إن فترة الخطوبة يجب أن تكون ناصعة البياض فهى فترة تعارف على الطباع والميول والعادات وبذلك يلتقى الخطيبان على هدف واحد معروف .

ولقد ثبت أن الشاب الذى يقع فى الخطأ مع خطيبته لا تستقيم حياته ولا يمكن له أن يعيش فى هدوء نفس وراحة بال لأنه قد يعتريه الشك فى سلوكها مستقبلا وذلك لأنها قد استجابت له فتراوده الوساوس بأنها ربما تستجيب لغيره وقد أودى هذا السلوك بحياة الكثيرين وقد انتهت حياتهم الزوجية وضاقت بهم الأرض بما رحبت تحقيقا لقول الله عز وجل (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وأعود فأشد على أذن الشباب ليسمع قول الحق عز وجل (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) .

١٤ — تحذير إلى كل فتاة فى فترة خطوبتها

إن فتاة اليوم تعتقد أن من حقها أن تتعرف على خطيبها باختبار سلوكه ومعرفة شخصيته وتبيح لنفسها أن تخرج مع هذا الشاب للنزهة معه وتزعم أن تعليمها وثقافتها أو مركزها فى عملها سيكون حائلا دون الوقوع فى الخطأ .

ونصيحتى لك يا بنية أن تتحدثى معه فى مجتمع من الناس وأن تتعرفى عليه فى جمع من الزملاء. وأن تختبرى سلوكه فى كوكبة من الأهل والأقارب وتستطيعين أن تقفى على شخصيته فى حديثه معك وحديثك معه وبعد أن يتآلف القلبان إنتظرى حتى يذهب إلى بيتك ويتقدم لخطبتك من أسرتك .

ولكن الملاحظ أنك أيتها الفتاة تحاولين أن تقلدى الفتاة الأوربية والأمريكية فى كل شىء إلا أن الأمر يختلف فيما بينكما طبعاً وعادة وتقاليد ودينا — فالفتاة التى تبيح لنفسها الخروج مع شاب بحجة أنها تدرس شخصيته فهذا محض افتراء وضلال . فالشخصية لا تدرس فى الأماكن البعيدة الخالية من الناس ولا فى دور السينما فى (الضلمة) أثناء عرض الفيلم ولا بتبادل الهمسات واللمسات ولا بكلمات الغرام فى الشوارع ولا يوصف ليالى السهر والشوق ولا فى الخطابات التى تفيض شوقاً وحرارة من شدة الغرام لأن خروج الشابين معاً يصحبهما الشيطان ويرافقهما إبليس ويؤدى بهما إلى مآسى كثيرة تكون الفتاة فى النهاية هى الضحية لأنه إذا وقع المحظور فهنا الكارثة فلقد هوت الفتاة وبدأت تعض على أصابعها من الندم — ولا ينفع الندم — أين كان عقلها؟ ليتها رفضت الإستجابة إلى رغبته وصممت على أن تقول لا . لا — أما هو فقد ألقى بها عرض الحائط وأخذ يبتعد عنها تدريجياً حتى أصبح يتحاشى رؤياها .

أما موضوع الزواج فلم يعد مدرجاً فى حساباته وهى أصبحت تواجه موقفاً صعباً عصيباً تحاول جاهدة أن تخفى ما حدث .

وأذكر لك يا فتاتى قصة فتاة أسلمت نفسها لخطيبها فى نزوة شيطانية ووقع المحظور وحملت الفتاة وهى مازالت بكراً وحاولت أمها علاج أمرها بالإجهاض فلم تفلح وأكد لها الطبيب أنها لا يمكن أن تحدث الولادة بعملية جراحية ولابد من الوضع طبيعياً بعد أن تزال البكارة وركعت الأم وابنتها أمام الشاب (العريس) وتوسلتا إليه أن يعقد عليها ويدخل بها بلامقابل وجاءت الأم بجميع ماتحتاج إليه العروس وقامت بكل التكاليف وعقد عليها الشاب ودخل بها إشفاقاً عليها وعلى أمها ثم تركها غير عابىء بها لأنه فقد إحترامه لها وأصبح لا يأمن جانبها ... .

وفتاة أخرى بعد أن أسلمت نفسها وضعفت أمام كلمات شابها المعسولة تركها وسافر إلى الخارج دون أن تعرف عنه شيئاً وغير ذلك من الأحداث المؤسفة المؤلمة .

ومن الغريب أن مثل هذه الأحداث لايمكن أن تقع فى الريف الأصيل لأن الفتاة الريفية التى لم تحصل على أى قسط من الثقافة أو التعليم ولم تذهب إلى الجامعة لا تزال تتمسك بدينها وتتشبث بتقاليدها وتحرص على عاداتها فالفلاحة التى تعمل فى الحقل وتكدح طوال اليوم لا يمكن أن تفرط فى سمعتها وتدوس على كرامتها وتعرض شرفها وشرف أسرتها للدنس فلا تذهب لتتنزه مع شاب فلاح وسط الحقول فى الليالى المقمرة بحجة أنها تدرس شخصيته قبل الزواج ولكنها تظل فى بيتها معززة مكرمة إلى أن يطرق العريس بابها ويأتى إلى بيت أبيها ويطلب يدها من أبيها وحتى بعد الإتفاق وقراءة الفاتحة لا يتقابلان وحدهما .

فهل ذلك يعنى أن الفتاة الريفية أكثر حكمة ومعرفة ورقياً ؟

وأنضج فكرا ؟ . وأنها تحافظ على الدين والعادات والتقاليد اكثر من فتاة الجامعة التى تربت فى الحضر ؟ .

إن التقليد الأعمى للفتاة الأوربية ، والامريكية هو الذى أوقعها فى المآسى والمحن ولتعلم كل فتاة أن الشاب الشرقى لا يحترم الفتاة التى تخرج معه وتنقاد له وبالتالى فهو لا يتزوج الفتاة التى لا يحترمها . تلك هى حقيقة أكيدة أردت أن أضعها بين يديك يافتاتى العزيزة وحقيقة أخرى أكدها علماء الطب أضعها أيضا بين يدى كل فتاة لتكون نصب عينيها حتى لا تضعف أمام معسول الكلام من فتاها وهى الحمل اللاإرادى وهو الحمل مع وجود غشاء البكارة واليك التقرير الطبى التالى .

١٥ — بحث طبى عن الحمل مع وجود غشاء البكارة

جاء فى بحث طبى لأحد جهابزة الطب (قد يجهل الكثيرون أن المباشرة الجنسية العادية ليست ضرورة لحدوث الحمل ولا شك ان الأخطار التى تتعرض لها الفتيات من الفتيان أعظم من أن يتصورها الذين يجهلون الأسباب التى من أجلها تحمل العذارى وسوف نورد فى هذا البحث تفسيرا علميا للخطر الدائم التى تتعرض له كل فتاة جاهلة .

فكثيرا ما يلجأ الرجال والسيدات إلى الأطباء يعرضون عليهم مشاكل المرض والحمل سائلين كيف أصبت بهذا المرض ؟ ولا شك ان الجاهل فقط هو الذى يشعر بالرغبة فى السخرية من مثل هؤلاء الرجال أو النساء فلاشك أن المرض المسئول عنه هو نتيجة للألتقاءات الجنسية التى تكون على غير وعى وتحفظ — أما أمر الحمل اللاإرادى فهو مشكلة خطيرة بغير شك إذ أنه كثيرا ما آثرت الفتاة التى اتحدر قدمها الانتحار ومن الغريب أن نسبة كبيرة من فتيات اليوم ما زلن فى جهل شديد من الأمور

الجنسية بحيث أنهن لا يستطعن حماية أنفسهن من الأخطار التى تهدد هن فى كل لحظة فالرجل يسعى دائما إلى الإعراب عن رغبته الجنسية وقد يبلغ الانفعال الجنسى بالفتاة درجة قد تجعلها تستجيب إلى هذه الرغبة . وليس ذلك بعجيب لأن تلك هى نواميس الغريزة الطبيعية . وأن كل الحقائق التى أوردناها تنتهى إلى مسألة على غاية من الأهمية من ناحية الطب الشرعى وتلك هى هل يمكن ان تحمل الفتاة على غير وعى منها ؟ . لا شك فى أن الشخص العادى لن يصدق ذلك ولكن الحقيقة المرة والوقائع أثبتت أن كل عذراء قابلة للحمل ولو بطريق غير مباشر — وإليك مثلا — لاحظت فتاة تقيم فى احدى المدن أن موعد الحيض قد فات ولم تحض ونظرا لأنها لم تكن فتاة ذكية كما أنها لم تتعلم تعليما جنسيا مدرسيا فإنها لم تعر الأمر كبير اهتمام ومضى شهران وبدأت بطنها تكبر وتنضخم فساورت الريبة أبويها ومع ذلك فقد ظلت الفتاة التعسة على جهله بحقيقة أمرها إلى أن جاء يوم طردها أبواها من المنزل وتبرأ منها وذهبت الفتاه المسكينة إلى السلطات المختصة تشكو أمرها وانكشفت قصتها عن المأساة التالية قالت إن شابا صادقها ووعدها بالزواج وصحبها معه إلى المنزل وسقاها خمراً ومع أنه لم يعتد على عفافها إلا أنه جردها من ثيابها واخذ يعانقها حتى انتهى دوره فى القذف وفى هذه المأساة دليل على ان كل فتاة قابلة للحمل على غير وعى منها كذلك ليس من الضرورى لإتمام الحمل تمزيق غشاء البكارة فهناك حالات كثيرة تم فيها الحمل فى حين كانت الضحايا ١٠٠٪ عذارى وإليكم مأساة أخرى ... كان فتى يحب فتاة وكان الاثنان يتقابلان كل ليلة تقريبا مما جعل حبل مودتهما يقوى ويشتد وتطورت العلاقة بينهما كما تتطور بين كل شاب وفتاة ونظرا لأن الحبيبين من أسرتين

كريمتين فإنها حرصا على تجنب المباشرة الجنسية ، ولكن نظراً لجهلها بأن مجرد قذف الحيوان المنوى قريباً من المهبل فإنه قد يؤدى إلى الحمل ولكنها ظنا أن في استطاعتها إرضاء غريزتها الجنسية بغير الخروج على قواعد الشرف والتقاليد ومرت الأيام إلى أن لاحظت أم الفتاة أن ثياب ابنتها لم تعد تلائم جسمها وعندما حاولت معرفة السبب وقفت على الحقيقة المرة فملأ الرعب قلبها وراحت تتساءل أترى أن ابنتها حاملا ؟ — وعند ما قذفت الأم بالاتهام الخطير — وجه ابنتها — راحت الفتاة تنفى بكل شدة وجود أى علاقة جنسية بينها وبين أى شاب استناداً إلى بقاء غشاء البكارة كما هو وانخدع الأبوان فى أول الأمر بتأكيدات الإبنة وبوجود غشاء البكارة إلا أنهما اصطحباها إلى طبيب الأسرة وأصغى الطبيب إلى قصة الفتاة ، ثم بدأ يفحصها وعند ماثبت له أن غشاء البكارة سليم متماسك بدأ يفكر فى أن تكون مصابة بمرض فى الرحم أو المبيض أدى إلى حدوث التضخم المشاهد على بطنها ورأى إرسال الفتاة إلى إحدى المستشفيات حيث رأى فحصها بدقة ، وكانت النتيجة أن ظهر أنها حامل فى الشهر السادس فلما عرفوا ذلك اكتشفوا المأساة ولذا ينبغى على كل فتاة أن تتذكر الحقائق التالية :

عندما يقذف الرجل السائل المنوى فإنه يقذف معه عددا هائلا من الحيوانات المنوية النشطة ، وقد دلت الأبحاث العلمية على أن الرجل قد يقذف عدداً من هذه الحيوانات مايقرب من مائتى مليون فى كل دفعة ، وليس لهذا الجيش الجرار من الحيوانات المنوية غير غرض واحد هو التلقيح إذا كان ذلك مستطاعا ولا يلزم الحيوان المنوى المكان الذى يقذف فيه ولكنه يبدأ فى البحث فى رحلة طويلة عن البويضة فى أية نقطة يجد نفسه فيها .

وقد دلت الملاحظات الطبية على أن الحيوان المنوى يقطع مسافة

توازى طوله (أى واحد من خمسمائة مليون فى الثانية ومعنى ذلك أن فى استطاعته أن يقطع المسافة بين فتحة الرحم وبوق فالوب) فى مدى ساعة أوساعتين على الأكثر فإذا فرضنا أن الحيوانات المنوية قذفت عند شفتى المهبل فإن فى استطاعتها الوصول إلى مكان البويضة فى مدة لاتزيد قليلا على الساعتين وقد يعترض البعض فيقول إن الحيوان المنوى يموت سريعاً وهذا صحيح إذا كانت إفرازات المهبل حامضية شديدة أو إذا كانت هناك مادة كيماوية مبيدة ولكن هذا لا ينفى الواقع وهذا احتمال حدوث الحمل (فقد أثبت الدكتور بر سيفلد) .. أستاذ أمريكى :

أن الحيوانات المنوية تستطيع أن تعيش فى الرحم وبوق (فالوب — قناة من المبيض إلى الرحم — خمسة عشر ساعة ولكن كيف تستطيع الحيوانات المنوية اختراق غشاء البكارة وهو مغلق ؟ يجب أن يفهم الجميع — والكلام لصاحب البحث — أن غشاء البكارة لا يغلق فتحة المهبل الخارجية تماما وإلا لاحتاجت كل أنثى إلى إجراء جراحة لإيجاد فتحة يتسنى لدم الحيض الخروج منها فى كل شهر ولقد جاء فى التقرير — صحيح أن بعض السيدات ولدن من غير غشاء بكارة ولقد تعرضت هاتيك السيدات لشىء ضرورى من الهوان وهن بريئات ولكن الطب الحديث يستطيع أن يكفى هؤلاء السيدات مئونة هذا الهوان كما جاء فى التقرير أيضاً : إن لغشاء البكارة أنواع وأشكال مختلفة فمنه ما كان على شكل غربال ومنه ما كان شديد المرونة حتى لقد لوحظ أن بعض السيدات — اللاتى دخل بهن أزواجهن — لهن غشاء بكارة متماسك فإذا نظرنا إلى هذه الحقائق بعين الاعتبار أدركنا أن الحيوان المنوى قادر على دخول بطن العذراء) اه .

فلعل ذلك تحذير لكل فتاة حتى لا تقع فى المحظور[1] .

---

(١) هذا البحث نشرته مجلة الطب والنظافة التى تصدر فى لندن فى (باب المعاملات الجنسية) .

١٦ — رسالة إليك يا ولدى ...

ولدى العزيز وفلذة كبدى ...

هاأنت قد اخترت زوجتك على أساس صحيح وإدراك سليم لقواعد الاختيار وعلى قدر كبير من الوعى الدينى والفكر الاجتماعى وعلى قاعدة علمية متينة وها أنت على مشارف بيتك الجديد لتبدأ حياتك الزوجية المستقبلة مع أليف لم تكن تعرفه وأنيس لم يسبق لك معه مصاحبة وعشير تجهل طبعه وطبيعته ولا تدرك قدر عقله ومدى فهمه فاحفظ عنى هذه النصائح وتلك الوصايا لتجعلها نبراساً ينير لك الطريق وشمعة تضىء لك السبيل .

أول ما يجب عليك لزوجتك إكرامها وحسن معاشرتها ومعاملتها بالمعروف وأن تقدم إليها كل ما يمكن تقديمه مما يؤلف قلبها عليك ويضاعف من مودتها لك مع التجاوز عما يصدر منها والصبر عليه . فالله عز وجل يقول : (وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) ومن مظاهر اكتمال الخلق وعلو الإيمان أن يكون الرجل رفيقاً رقيقاً مع أهله — زوجته — لقول رسول الله ﷺ — أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم — وإكرام المرأة دليل على الشخصية القوية المتكاملة ولأن إهانة النساء علامة على الخسة واللؤم ولقد بين ذلك النبى ﷺ فى قوله (ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم) ومن إكرامهن التلطف بهن وقد كان النبى صلوات الله وسلامه عليه يتلطف بنسائه ويداعبهن تقول أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها (سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته فلبثنا حتى إذا أرهقنى اللحم سابقنى فسبقنى فقال هذه بتلك .

واعلم يابنى أن كل شىء يلهو به الإنسان فهو باطل إلا ثلاثاً — رمية

قوس وتأديب فرس وملاعبته أهله فإنهن من الحق .

وثانيها : ليكن فى فهمك وعقلك أن المرأة لايتصور فيها الكمال ولك من إرشاد نبينا صلوات الله وسلامه عليه الهدى والرشاد فهو يقول : (استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن اعوج مافى الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل على عوجه) وفى هذا إشارة إلى أن فى المرأة عوجاً طبيعياً وأن محاولة إصلاحها غير ممكنة وأنه كالضلع المتقوس الذى لا يقبل التقويم ومع ذلك فلابد من مصاحبتها على ماهى عليه ومعاملتها كأحسن ما تكون المعاملة ولا يمنع ذلك من تأديبها وإرشادها إلى الصواب إذا اعوجت فى أمر من أمورها .

ثالثها : ألا تغمض عينيك — يا بنى عن بعض فضائلها ومزاياها فقد يغضب الرجل من زوجته فينسى كل ماهو حسن فيها ويتجسد فى عينيه كل ما هو قبيح منها فيتقزز به ويعتريه البغض لها وعليك بنصيحة رسول الله ﷺ فى هذا الشأن حيث يقول (لا يفرك مؤمن مؤمنة — يعنى لايبغض مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضى منها خلقاً آخر) وهذا يجعلك دائماً تنظر إلى الصفات الجميلة فيها والأخلاق الحميدة منها .

ورابعها : إحرص على أن تصونها وتحافظ عليها من كل ما يخدش شرفها ويسلب عرضها ويمتهن كرامتها ويعرض سمعتها لقالة السوء وهذا من الغيرة التى يحبها الله ورسوله فقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن الله يغار وإن المؤمن يغار وغيرة الله أن يأتى العبد ما حرم عليه) .

وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ قال (ما أحد أغير من الله ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما أحد أحب إليه المدح من الله — عز وجل — ومن أجل ذلك أثنى على نفسه وما من أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين) وعن عمار بن ياسر أن رسول الله ﷺ قال (ثلاثة لايدخلون الجنة أبداً الديوث والرجلة من النساء ومدمن الخمر قالوا يارسول الله أما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث ؟ قال : الذى لا يغار ممن دخل على أهله قالوا فما الرجلة من النساء ؟ قال : التى تشبه بالرجال) .

وخامسها : إذا كانت الغيرة مطلوبة منك على زوجتك فإنما يطلب منك الاعتدال فيها فلا ينبغي المبالغة فى إساءة الظن ولا ينبغي الأسراف فى تقصى حركاتها وسكناتها فإن ذلك يفسد العلاقة الزوجية ويقطع ما أمر الله به أن يوصل وليكن أقتداؤك بهدى رسول الله ﷺ فيما يرويه أبو داود والنسائى وابن حبان عن جابر بن عتيك أن رسول الله ﷺ قال « إن الغيرة منها ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله فأما الغيرة التى يحبها الله فالغيرة فى الريبة وأما الغيرة التى يبغضها الله فالغيرة فى غير ريبة وأما الخيلاء التى يحبها الله أختيال الرجل بنفسه عند القتال والاختيال الذى يبغضه الله الاختيال فى الباطل » فمن فرط فى الغيرة المحببة عاش مدنساً ومن أفرط فى الغيرة المبغضة عاش شقيا معذبا ولن تدوم حياته الزوجية غالبا وفى الاعتدال صيانة العرض والشرف والاحتفاظ بالكرامة واستقرار الحياة السعيدة ودوامها .

وسادسها : أعلم يابنى أن النفس كالطفل تنشأ على حب ما تعودت عليه ونفس المرأة فى هذا ونفس الطفل على سواء فمن أرسل العنان لزوجته قليلا جنحت به طويلا ومن أرخى لها العذر ذراعا جذبته باعا ومن

أسرف فى مرضاتها وإشباع هواها كانت عاقبة أمره خسرا وتكون البلية أشد والمصيبة أوجع إذا كان زوجها ممن وسدت لهم الأمور فأصبح هواها فى الأمانة التى حمله الله لها وفى هذا يقول الحسن رضى الله عنه « والله ما أصبح رجل يطيع أمرأته إلا كبه الله فى النار » وفى الآثار المتوارثة « تعس عبد الزوجة » .

وسابعها : ينبغى عليك يابنى أن تكون ليناً فى غير ضعف وحازما فى غير عنف واستمع إلى قول الأمام الغزالى رضى الله عنه «ينبغى ألا يسرف الرجل فى الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هوى زوجته إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعى الاعتدال » وكانت نساء العرب يساعدن بناتهن فى أختيار الزوج فكانت المرأة تقول لابنتها أختبرى زوجك قبل الأقدام عليه بالجراءة بين يديه وأنزعى زج رعه فإن سكت فقطعى اللحم على ترسه فإن سكت فكسرى العظم بسيفه فإن سكت فاجعلى الأكاف على ظهره :

وذلك كناية عن التهاون فى شأنه وأمتهان كرامته .

وثامنها : وإياك والتقتير الذى هو البخل فإنه أساس كل شر وباب كل شقاق وسبب كل كراهة فالبخل عادة رذيلة وصفة ذميمة فالله عز وجل حذر منه وأوضح أن الشحناء التى تستحكم بين الزوجين لا تكون إلا من الشح فقال عز وجل فى مجال الشقاق بين الزوجين (وأحضرت الأنفس الشح) وعلى النقيض من ذلك أيضا التبذير فهو إفراط وتفريط وإهلاك وهلاك لذا فقد جعل الله المبذرين من إخوان الشياطين فقال تعالى (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) فلاتقتير ولا تفريط ولكن كن كما قال الحق (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً) .

وتاسعها : أعلم يا ولدى أن الحب عاطفة لا يمكن وصفها وليس فى الاستطاعة تدريسها وتوضيحها وتلقين أصولها فاحرص على أن تخلق هذه العاطفة بينك وبينها وهـــذا يتطلب منك البذل والتضحية وإنكار الذات فالعاطفة وحدها ليست حباً وإنما هى تلعب فى ذلك دورا مافى سبيل تأسيس أواصر المحبة وتنميتها وتكوينها .

إن كل شىء يحتمل ويسهل ويهون أمره إذا مارفرف الحب الحقيق بجناحيه على البيت دوماً ودائماً وبغيره فلاشىء يدعو إلى السعادة والهناءة والسرور فلقد جاء فى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال « إذا نظر الرجل إلى زوجته بعطف وحنان ونظرت المرأة إلى زوجها بعطف وحنان نظر الله إليهما ومن نظر الله إليه فإنه لا يعذبه أبدا » .

عاشرها : كن أميناً عليها حافظاً لأسرارها لتكون أمينة عليك ومحافظة لك وكن صادقا معها ومخلصاً لها لتكون واثقة بك وأعطها حياتك ومستقبلك لتعطيك أعز ما لديها فإنها شريكتك ويد الله مع الشريكين إذا أخلصا .

هذه نصائحى إليك يابنى فأعقلها واجعلها نصب عينيك وأتبع ما جاء بها تسعد أنت وتسعد بك زوجتك .

١٧ ــ رسالة إليك يابنيتى

إننى أقدم اليك يابنيتى العزيزة وأنت تستعدين للزواج وتقتربين من بيت الزوجية بعض النصائح من أب شفيق ووالد عطوف ورؤف لعلها تنير لك الطريق وتأخذ بيدك إلى سواء السبيل والله الهادى إلى الصراط المستقيم .

أولا : أحذرى أسلوب الخصام فى حياتك للأعراب عن ضيقـــك وغضبك وأعلمى أن غضبك الذى كان يزعج والديك يكون له وقع مخالف على زوجك وشريك حياتك فهو يحمله يتحامل عليك ويقف منك موقف الخصم المعاند وراجعى نفسك هل الخصام يفيد فى تسوية أى موضوع أو تحقيق أى غرض ؟ وهل الموضوع الذى يسبب الخصام يستحق منك ذلك ؟ .

ثانيا : نظمى نفسك ماليا وضعى ميزانية لبيتك محددة تشمل كافة بنود الأنفاق حتى لا يفاجأ زوجك بعدم قدرتك على مواجهة أى متطلبات وتنبهى إلى أن المشاكل المالية عادة ماتكون سببا غير مباشر لأندلاع الشجار بين الزوجين لما تسببه من توتر وقلق .

ثالثا : إحذرى التحامل على أم زوجك ولا تتوهمى أن ذلك هو السبيل لفرض احترامك على الآخرين من أهل زوجك وتذكرى دائما أن تعاليم الاسلام والسلوك المهذب يطالبانك باحترامها فعليك أن تضعيها فى مركز والدتك فلعل هذا يجعلك أن تتوقى حدوث أى سوء تفاهم بينكما مهما كان صغيرا وأحذرى أن تنساقى وراء أنتقـــاد زوجك لأمه بل عليك أن تلتمسى لها الأعذار فى أى تصرف ضاق به أبنها فإن ذلك يرفع من شأنك أمامه وأمامها ويجعلك تستمتعين بحبها وتقديرها فضلا عن حبه وتقديره .

رابعا : أعتبرى نفسك واحدة من أسرة زوجك ولا تتعاملى معهم على أنهم أغراب عنك ولا ترهقى زوجك بكثرة أنتقادهم ولا تحاسبيه على تصرفاتهم حتى لا تحدث المشاحنات بينكما نتيجة لتصرفات أنتما غير مسئولين عنها ولا تملكان تغييرها .

خامسا : إحذرى طرح أى خلافات زوجية — بينك وبين زوجك أمام أى أحد سواء كان من جانبك أو من جانب زوجك وأعلمى يابنية أنها أمور شخصية بك أنت وزوجك ولذا فقد سميت فى العرف الفقهى بالأحوال الشخصية — حتى وإن كانت والدتك أو والدك لأن تكرار سرد المواقف المؤسفة يزيدها تعقيدا ويوججها اشتعالا ويثبتها فى الذاكرة ويجعل الصفح عنها أمرا غير سهل ونسيانها أمر صعب .

سادسا : إحذرى من الشكوى والتبرم نتيجة للمسئوليات والأعباء الجديدة التى ألقيت على عاتقك والتى لم تتعودى عليها وتعتقدين أن ذلك يرفع من قيمة عملك وعطائك بل على العكس من ذلك فإن هذا الأسلوب قد يجعل زوجك ينفر من مجالستك ويتحاشى الحديث معك .

سابعا : لا تكونى متشددة ومتزمتة فى محاسبة زوجك عن تصرفاته وخاصة فى بداية حياتكما الزوجية والتمسى دائما العذر له لأنه خلال هذه الفترة سيكون مندفعا فى قيادة سفينة الحياة يثبت أنه ربان السفينة خاصة إذا تميزت عليه بقدرات معينة .

ثامنا : إعلمى يابنية أن الصداقة والعلاقة الطيبة هى أفضل الوسائل لمعرفة أسرار زوجك وابتعدى عن الأسلوب الجاف الذى قد تتوهمين أنه سبيلك لمعرفة خفاياه وتأكدى أن التسامح كثيرا مايكون أعظم أثرا من العقاب وأعلمى أن مابينكما هو أكثر من رغبة فى ممارسة الفعل الجسدى بل إنه الحب الأسمى المؤهل للخلود لأنه قائم على الأنسجام .

تاسعا : لاتفكرى ولا تحاولى أن تسيطرى على زوجك — فأنت زوجة — إمرأة — والمرأة مخلوق ضعيف ومن طبع الضعيف أن يتجه إلى القوة وينزع إلى السيادة ويسعى إلى التحكم والاستبداد والزوجة إذا نزعت إلى القوة والسيطرة أنكرت عواطفها وسخرت من انوثتها وقابلها الرجل قوة بقوة ويستحيل عليها — وهى الأضعف فى الأصل — أن تثبت أمامه وهكذا فإنها تتحطم فى النهاية وتحطم أنوثتها ومستقبلها وكل ماشادته فى حياتها الزوجية وتأكدى يابنية أن قوة المرأة فى قلبها وفى حنانها وفى رقتها وفى دماثة خلقها ولين طبعها وهذا مايفتن الرجل ويسحره إن الرجل قوة فى حاجة إلى الراحة وعبقريتك أن تكونى أنت راحته بأن تقدمى اليه الهدوء والسكينة والاطمئنان وأن تهيئ له العش الجميل الهادىء الذى يستطيع أن يستجم فيه ليتابع كفاحه فى الحياة من أجلك ومن أجل أولادك القادمين ، فساعدى زوجك على الحياة بقوة العاطفة لا بنزعة السيطرة والاستبداد وإلا اضطر زوجك أن يصارع الحياة فى الخارج ويصارعك أنت فى الداخل فيتحطم هو الآخر ويحطم فى طريقه كل شىء .

عاشرا : وعليك أن تفهمى أن قيمة العواطف تتفجر من ينبوع الوفاء فكونى وفية لزوجك .

فهو قد منحك اسمه ومكانته وشرفه فأحرصى على الأمانة حرصك على الحياة وأعلمى أنه إذا ظل الوفاء بينكما متبادلا والاخلاص مشتركا والحب قائما فستكون السعادة والهناءة والأمن والأمان .

حادى عشر : وعليك أن تفهمى أنه ينبغى عليك ألا تسرفى فى حب زوجك إسرافا يجهده ويرهقه ويسئمه ويضجره فليس الزواج رواية

كل فصولها غرامية فهناك شئون البيت وتربية الأولاد ومعالجة أحداث الحاضر والتطلع إلى بناء المستقبل وغيرها كثير .

وكل هذه الأمور تشغل بال الرجل فضعى الحب حولها يلطف من غلوائها ومعاناتها ويخفف من شدتها ويأسها .

فحب المرأة يجب أن يكون حافزا لهمة الرجل لا معطلا له فلا تعطلى عمل زوجك .

ثانى عشر : إحذرى يابنية أن تستسلمى لعاطفة حب جامح أوشعور بكبرياء قاتل فتدعى هذا الوحش المفترس الذى يسمى الغيرة يدخل قلبك ويجعله مرتعا خصبا له فالغيرة يابنية ضعف وجبن وقلة حيلة والمرأة التى تغار لاتستحق أن تكون زوجة لأن غيرتها هى إعتراف منها بعجزها عن إرضاء زوجها وعن كسب محبته وهى اعتراف أيضا بضعفها عن منافسة أقرانها وعجز عن تأكيد خصائص أنوثتها وقيمة شخصيتها فأطردى الغيرة أولا بحسن سلوكك وثانيا بجمال طبعك وثالثا بتأثير جاذبيتك ورابعا بهدوئك واتزانك وثقتك فى نفسك وأن يجد زوجك فيك زوجة مستقيمة السيرة لينة الطبع كريمة الخلق تهتم بمحاسنها من أجل زوجها وتعتنى بمظهرها لتبدو جميلة أمامه وتثق بنفسها وقدراتها على كسب محبته وأعلمى يابنية أن الزوج لايخدع زوجته إلا إذ أحس بنقص عميق فيها أو بنقص كبير فى هيئته فشعوره بهذا النقص يولد فى نفسه فراغا وشعوره بالفراغ يدفعه إلى طلب زوجة أخرى فمهمتك أن تبحثى عن هذا النقص وأن تتلافيه وأن تعطفى على زوجك وترديه عن سبل الخيانة بعقلك وذكائك واشراق بصيرتك : فثقى فى زوجك على أنه رجل شريف وثقى دائما بوفائه على أساس ثقتك بأن فى وسعك أن تزينى له دائما سبيل الوفاء والاخلاص .

ثالث عشر : تجملي من أجله يابنية بأيسر كلفة وأوفر مجهود وجملي بيتك ما أستطعت فليس أحب إلى الرجل من إمرأة جميلة أنيقة تمرح أمامه فى ثوب جميل وأحذرك يابنية من أن تطمعى فى ماله بل أطمعى فى حبه لأن الطمع فى المال أنانية وليس أبغض على الرجل من أن تطمع المرأة فى ماله فيؤدى به إلى الانصراف عنها إلى غيرها .

سادس عشر . إحفظى يا بنية وصية إمرأة أعرابية أوصت بها إبنتها ليلة زفافها فلقد روت الآثار أن عمرو بن حجر ملك كندة خطب أم إياس بنت عوف الشيبانى ولما حان زفافها إليه خلت بها أمها أمامة بنت الحارث فأوصتها وصية تبين فيها القواعد السليمة للحياة الزوجية السعيدة وما يجب عليها لزوجها فقالت :

أى بنية إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت ذلك لك ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ولو أن إمرأة إستغنت عن الزواج لغنى أبويها وشدة حاجتها إليها — لكنت أغنى الناس عنه — ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال .

أى بنية . إنك فارقت الجو الذى منه خرجت وخلفت العش الذى فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً فكونى له أمة يكن لك عبداً واحفظى له خصالا عشراً يكن لك ذخراً .

أما الأولى والثانية فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة

وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواضع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت منامه وطعامه فإن تنغيص النوم مغضبة وشدة الجوع ملهبة .

وأما السابعة والثامنة فالاحتراس بماله والارعاء — أى الرعاية على حشمه وعياله وملاك الأمر فى المال حسن التقدير وفى العيال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصى له أمراً ولا تفشى له سراً فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهموماً والكآبة بين يديه إن كان فرحاً مسرورا .

وأوصى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه — زوج السيدة زينب بنت على رضى الله عنها — إبنته عند زفافها فقال لها إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق وإياك وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة وأطيب الطيب الماء .

وقال أبو الدرداء لإمرأته « إذا رأيتنى غضبت فرضنى وإذا رأيتك غضبى رضيتك وإلا لم نصطحب » .

وقال أحد الأزواج لزوجته .

خذى منى العفو تستديمى مودتى
ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

لا تنقرينى نقرك الدف مرة
فإنك لا تدرين كيف المغيب

ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالقوى
ويأباك قلبى والقلوب تقلب

فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى
إذا أجتمعا لم يلبث الحب ينضب

رابع عشر : واعلمى يابنية أنك لن تظفرى بحب زوجك إذا أبغضت أهله فإن أهل الرجل هم لحمه ودمه هم الذين ربوه ونشأوه وتحملوا المشاق من أجله فلا تحاولى أن تبعديه عنهم فإياك أن تكرهى أهله وإياك أن تناصبيهم العداء فإنهم أقوى منك لأنهم الأصل وكلمتهم لديه مسموعة فمتى أبغضوك وأشاعوا البغض فى نفس زوجك فسيحبق بحياتك وحياة زوجك الدمار فكونى رفيقة معهم واحبيهم من أجل زوجك بل من أجلك أنت ولا تحاولى أن تسرقى منهم ابنهم وأن تضميه إليك .

تقربى إليه بعد أن تهدأ ثورته بساعات ولا تكلميه فى ثورة غضبه وعاتبيه فى حنان ورفق وراجعيه فى تواضع وأدب فليس هناك أعز على قلب الرجل من امرأة تعرف كيف تبدد ظلمة الغضب من قلبه بنور عقلها وفكرها .

خامس عشر : أطيعيه يابنية فى كل أمر إلا فيما حرم الله تعالى وشاركيه فى فكره وعقله وعليك أن تسلمى أن عقله أرجح وفكره أعذر فليس أقرب إلى نفس الرجل من امرأة تلزم حدودها وتعترف بضعفها وتهتدى بهدى زوجها وتعتبره حاميها ومرشدها وقدوة لها واسمعى يابنية هذه القصة التى رويت عن سلفنا الصالح رضوان الله عليهم سافر أبو عبيدة — أحد أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم — وأوصى زوجته ألا تخرج من بيته واستجابت له إلا أن والدها مرض فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تستأذنه لزيارة أبيها فقال النبى ﷺ لرسولها مرها فلتطع زوجها فاستجابت لأمر رسول الله ولما مات أبوها أرسلت إلى رسول الله ﷺ تستأذنه فى تشييع جنازة أبيها فقال النبى لرسولها مرها فلتطع زوجها فاستجابت ولم تخرج فلما عاد زوجها وعلم بطاعتها له واستجابتها لأمر رسول الله ﷺ ذهب ليقابل رسول الله وعندما وقع نظره صلوات الله وسلامه عليه على أبى عبيدة قال له أخبر زوجتك بأن الله قد غفر لأبيها إكراماً لطاعتها لك .

واعلمى يابنية أنك تزوجت ببشر وإنسان وأن للإنسان أعصاب وأن هذه الأعصاب قد تجد من عناء العمل وشدة مطالب الحياة ما يثيرها وأن خير مكان يستريح فيه الزوج من عناء العمل وضراوة الحياة لتهدأ أعصابه هو بيته فلا تقابلى ثوراته بثورات وانما تذكرى أن إحتمال غضبه وتوتر أعصابه المرهقة نوع من التعاون الذى يمليه عليك الواجب والرغبة فى الأبقاء على صرح الزوجية قائماً .

هذه وصيتى يا بنتى الحبيبة أسديها إليك فإذا شئت أن تكونى سعيدة فى حياتك الزوجية فاعملى بها وأسأل الله أن يجزل لك الخير والعطاء .

١٨ — عادات وتقاليد يجب أن تزول وتختفى

إن الزواج فى حد ذاته نعمة كبرى ففيه صيانة الأعراض وإمتاع النفس وبه تتم رعاية الغريزة واستمرار الحياة ولذلك أباح الإسلام الابتهاج به وإعلانه بضرب الدفوف والقاء الاناشيد والأغانى المشروعة التى تشيد بالفضائل وتنهى عن الرذائل وتحبب فى فعل الخيرات وتنفر من فعل المنكرات كما أباح الإسلام إقامة الولائم لإظهار السرور والإحساس بهذه النعمة العظيمة إلا أنه نهى عن المبالغة فيها والبذخ فى إقامتها فمن منكرات هذه العادات إحضار العازفين والعازفات والراقصين والراقصات فى حفلات تنهار فيها القيم وتداس الفضيلة حيث يختلط النساء بالرجال والرجال بالنساء وتظهر كل واحدة من النساء الحاضرات أعظم مباهج الزينة التى حرم الله ظهورها إلا فى حدود فضلا عن الإسراف والتبذير فيما يغضب الله عز وجل والتى جعل الله فيهما المبذرين إخوان الشياطين — فالمفروض أن يستقبل الزوجان حياتهما بطاعة الله عزوجل حتى يبارك فيها ويجنبها الزلل .

ومن منكرات ليلة الزفاف (فستان الدخلة) (ومن قبله فستان الشبكة)

وهو من الأشياء التى بلغت ثمنا باهظا الأمر الذى يعوق طريق الزواج ويجعله عسيرا على الراغب فيه ويكون ثمنه على حساب حياته الزوجية المستقبلية وقد يظن البعض أننا دعاة إلى البخل والشح ولسنا كذلك ولسنا دعاة إلى الإسراف والتبذير وإنما ندعو إلى الاعتدال والتوسط فى نفقات الزواج، والإسلام قد شرع إقامة الوليمة وإظهار الفرح والسرور بهذه المناسبة السعيدة والوليمة هى طعام يدعى إليه الأهل والأقارب من الزوجين والأصدقاء من الأغنياء والفقراء وتقام حسب حالة الزوج يساراً أو فقراً فلقد روى البخارى، ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة فقال ماهذا ؟، قال عبد الرحمن تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال النبى ﷺ بارك الله لك أولم ولو بشاة ومعروف أن عبد الرحمن بن عوف كان من الموسرين .

كما ورد أن النبى ﷺ أولم عندما تزوج بصفية رضى الله عنها بتمر وسويق كما يمكن أن تكون الوليمة ثريداً (فتة) ولحما ويمكن أن تكون أى نوع من أنواع الطعام ليس فيه لحم بحسب حالة الشخص وهى مستحبة وليست أمرا واجباً وربما كان الأفضل للفقراء وللشباب النـــاشىء الاقتصار فى التكاليف قدر الامكان حتى يتيسر أمر الزواج ويتم إحصان المؤمنين والمؤمنات، أما ما يحدث من نفقات باهظة تصل إلى الآلاف من الجنيهات من بذخ وترف نحن فى أمس الحاجة إلى انفاقه فى شأن من الشئون المفيدة وصدق الله العظيم القائل (ولاتبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً) فهو محرم ومن منكرات ليلة الزفاف الغناء الفاضح الذى يشتمل على ألفاظ ساقطة وعبارات يشمئز الشعور السليم من سماعها وإنما ينبغى أن يكون الغناء العف الجيد الذى يكون وسيلة لتسرية النفس وامتاعها وإيناس الزوج والزوجة وذلك عندما يلتزم بمـا ورد فى السنة من ناحية الكلمة التى تغنى ومن ناحية أخرى ألاتقوم عليها إثارة وفتنة .

ومن منكرات الزواج أن بعض الرجال يخطب المرأة التى مازالت فى عدتها وقد أصبح هذا الأمر شائعاً بين الناس فنرى المرأة التى طلقها زوجها أو مات عنها يسرع إليها بعض الرجال قبل انقضاء عدتها ليخطبها وهذا مخالف لشرع الله عزوجل لأنها مازالت فى عدة زوجها السابق ولكن لا بأس بالتعريض والتلميح لقوله تعالى : (ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم) .

وقال البخارى رضى الله عنه فيما رواه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير هذه الآية أن يقول الرجل الذى يريد الزواج ممن هى فى العدة (إنى أريد التزوج ولوددت أن ييسر الله لى امرأة صالحة)[1] .

ومن المنكرات أن يخطب الرجل على خطبة أخيه فهذا مخالف لتعاليم الإسلام وذلك لما رواه مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال « المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه.

وروى البخارى رضى الله عنه أنه ﷺ قال (لايخطب الرجل على خطبة الرجل حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له) ومن هنا نتبين خطورة هذا الفعل الشنيع الذى يرتكبه المسلم فى خطبة على خطبة أخيه وهذا إذا كان قد تم الاتفاق مع المخطوبة وذلك لأن الخاطب الأول قد أكتسب حقا يجب أن يصان ويحفظ حتى تسود المودة بين الناس ...

ومن المنكرات المبالغة فى زينة المرأة فى يوم الشبكة وفى ليلة الزفاف والذهاب بها إلى ما يسمى (الكوافير) ولاشك أن التشريع الإسلامى يحرم على الرجل أن يمس امرأة لاتحل له فما بالنا بمن يصفف لها شعرها ويعبث بخديها وعينيها ويضع المساحيق على وجهها وهى مسترخية أمامه مستسلمة لأصابعه — أما إن كان (الكوافير) إمرأة فلا بأس من أن

---

(١) يراجع كتابنا الدليل الفقهى فى مسائل فى الخطبة .

تقوم امرأة بتزيين العروس لزوجها فى حدود الزينة الشرعية كوضع الكحل أو إزالة شعر الوجه (ماعدا الحاجبين) .

وأيضاً لا بأس من وضع الحناء أولبس ثوب أبيض أووضع شىء من العطر بعيداً عن أنوف الرجال .

ومن المنكرات لبس الرجال للذهب فيما يسمى (بدبلة الخطوبة) فهو حرام بلا خلاف فلقد روى الإمام أحمد عن على كرم الله وجهه قال (أخذ النبي ﷺ حريراً فجعله فى يمينه وأخذ ذهباً فجعله فى شماله ثم قال (إن هذين حرام على ذكور أمتى) .

وروى الإمام مسلم عن النبي ﷺ (أنه رأى خاتماً من ذهب فى يد رجل فنزعه وطرحه وقال يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده فقيل للرجل بعدماذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك إنتفع به قال لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ .

ومن المنكرات أن تضع العروس يدها على يد العريس قبل العقدفمن المعلوم أنها قبل العقد أجنبية عنه وأن العريس عندما يلمس يد عروسه ليضع لها دبلةالخطوبة فإنما يلمس امرأة أجنبيةوهذا من المحرم على خلاف بين المذاهب ،

ومن المنكرات ترك العروسين للصلاة والغفلة عنها فى يوم الشبكة أو يوم الزفاف مع أنهما فى حاجة إلى مباركة الله لهمافى هذه المناسبة السعيدة التى ينبغى أن تطلب بطاعة الله وعبادته .

فما أحوجنا إلى ترك هذه المنكرات وإزالتها من مجتمعنا حتى يكون الفرح موافقا لشرع الله الحنيف .

١٩ — ليلة الزفاف

إنها ليلة العمر فقد تحققت فيها الآمال واجتمع الحبيبان والتقيا الزوجان فى ظلال الشرعية الاسلامية تحوطهما رعاية الله عز وجل . وقد تكفل الله لهما بالغنى فقال تعالى (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله إن الله واسع عليم) وأودع فى هذا الزواج المودة والرحمة تحقيقاً لقوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وليكون الزوجان سعيدين فى ليلتهما الأولى التى ستكون بداية لحياة زوجية سعيدة فإنى أقدم إليهما مجموعة من النصائح للباحثين من علماء النفس المتخصصين فى مجال العلاقات الأسرية فكثيراً ما يصاب الزوجان بخيبة أمل فى هذه الليلة نتيجة لتصرف خاطىء وقد تعددت الشكوى من هذا الأمر فى هذه الليلة من كثير من الأزواج والزوجات بل إن بعضها قد أدى إلى إنفصام عرى الزوجية قبل أن تقوم ولذا فإنى أضع هذه النصائح أمام أعين العروسين .

أولا : ينبغى على كل عروس أن تخطط مع عريسها لهذه الليلة فتختار لها الوقت المناسب وأفضل الأوقات هو ما كان وسط ما بين دورتين شهريتين ومع ذلك فلا تتألم الزوجة أو تتكدر إذا فوجئت بالدورة الثانية تأتى قبل أوانها فهذا يحدث لكثير من العرايس وهو أمر طبيعى لأنه نتيجة التوتر والاضطراب العاطفى كما أنه ليس من الضرورى أن يتم اللقاء بين العروسين فى الليلة الأولى لزواجهما .

فقد يكون من الأفضل أن يقضيا بعض الليالى للتقارب وإظهار الحب والمودة والاهتمام فإنه عندما يشعر كل منهما بأنه قد انجذب إلى الآخر فإنهما بذلك يكونان قد وضعا أقدامهما على الطريق الصحيح .

ثانياً : إذا كانت لدى أى من العروسين أسئلة خاصة بهذه الليلة تلح عليه

فى طلب الجواب والمعرفة فلا حرج أن تسأل الفتاة أمها أو طبيبها أو من تثق بها فإنها ستجد الجواب الذى لا يخدع ولا يراوغ وكذلك الفتى عليه أن يسأل من يراه من أصدقائه العارفين الذين قـــد مروا بهذه الليلة واجتازوها بنجاح وثقة كما ينبغى ألا يستقبلا هذه الليلة وهما مرهقان بل يجب أن يمضيا الأيام السابقة لهذه الليلة فى راحة واسترخاء حتى يمكن الجسم أن يحتفظ بنشاطه وحيوته .

ثالثاً : ينبغى على العروسين أن يجعلا ليلة الزفاف بسيطة لا إرهاق فيها بالمظاهر التى اعتادت عليها تقاليدنا الاجتماعية المختلفة والتى تجر علينا كثيراً من المتاعب المادية والنفسية مثل (الزفة) التى تجعل العروسين واقفين بين يدى المحتفلين ساعات وساعات يعانون فيها من الضيق النفسى نتيجة للعوامل الإنسانية والجسدية والنفسية وقد تمتد بعد ذلك السهرة إحتفالا بالزفاف إلى آخر الليل . الأمر الذى يجعل العروسين فى أمس الحاجة إلى الراحة فليس المهم أن يتحدث الناس من الأهل والجيران والأصحاب عن حفل الزفاف ولكن الأهم من ذلك أن يكون العروسان هادئين مرتاحين حتى إذا اختليا كان كل منهما مكتمل النشاط موفور اليقظة .

رابعاً : ينبغى على العروسين أن يعرفا أن العلاقة الزوجية فن له أصول يطبق بكثير من الوعى والذكاء وليس الهدف من هـذه العلاقة هو إظهار الحب وتبادل العواطف فقط وإنما أهم أهدافه هو أن يعطى كل من العروسين الاخر ماهو فى حاجة إليه من الاشباع والرضا وينبغى على الفتاة أن تعرف أن إستجابة الرجل للعلاقات الزوجية تختلف عن إستجابة المرأة لها .

فالرجل أسهل إثارة وهو أسهل إلى الرضا والاشباع وقد يحدث

هذا فى ليلة الزفاف هذه فإذا لم تكن الزوجة على علم بهذه الحقيقة فقد يعتريها شك وقلق واضطراب بل قد تصاب بشىء من خيبة الأمل ولتعلم أن إثارتها تكون فى العادة أكثر بطئا فلابد من مداعبة الزوج لها وإظهار العواطف نحوها وبعد ذلك يصبح من الممكن أن تكون إستجابتها كاملة وأن تعطى الزوجة كل ما يمكن إعطاؤه بملء حريتها وكامل رضاها والتجربة التى سيمارسانها سيتعلمان فيها كيف يرضى كل منهما صاحبه ويدخل السرور إلى نفسه والبهجة فى حياته .

خامساً : عليهما أن يتذكرا فى هذه الليلة أنهما ليسا وحدهما يعانيان القلق والعصبية فكل عروسين تقريباً يقضيان قبيل الزفاف بأيام أو بساعات لحظاتهما فى بكاء وسبب هذا البكاء ليس سوى المخاوف من ليلة الزفاف لما يصاحبها من الارتباك والخجل والحياء .

سادساً : ينبغى أن يفكر كل من الزوجين فى الاخر بدلا من التفكير فى نفسه فإذا فكر كل منهما فى صاحبه وحاول أن يسعده وأدرك أنه هو الاخر قد يقع فى كثير من الاضطراب فى ليلة الزفاف وبعدها سيشعران بالسعادة والجمال معاً وهى لحظات يمكن أن تكون بداية لحياة زوجية سعيدة .

سابعاً : قد يعترى الزوج الفشل الجنسى لأسباب تنشأ من الخوف الكامن فى قلبه وهذا يؤدى إلى العجز الجنسى الذى كان يخشاه وقد ينشأ هذا الضعف نتيجة لتناول الزوج لشىء من المخدر وهو ليس معتاداً عليه فيصاب جسده بالبلادة والكسل وعدم القدرة على الممارسة الزوجية وقد يكون الضعف الجنسى نتيجة ناشئة عن ضعف بدنى أو ضعف فى القدرة الجنسية أصلا وقد يكون أيضاً نتيجة للسحر أو بتأثيره الجسدى وعلاج ذلك يكون بالطب إذا كان الضعف ناتجا عن ضعف بدنى أو مرض جسمانى أو ضعف فى القدرة الجنسية أصلا ، أما إذا كان الضعف

نتيجة الخوف أو نتيجة لتناول المسكر أو حسد أو سحر فإن علاجه فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهى إذا كان يوم الزفاف فاحرص على أن تحافظ على الصلوات الخمس فى مواقيتها وإياك أن تتناول شيئاً من المخدرات أو المسكرات أو الدخان وأحذر أن تترك نفسك فريسة الجوع بشدة ولا تأكل أكثر من طاقتك وأعط بدنك قسطاً واقرا من الراحة قبل يوم الزفاف واحرص قبل دخولك على زوجتك على تلاوة الايات والأدعية التالية :

(ا) آية الكرسى .

(ب) قل هو الله أحد ،

(جـ) قل أعوذ برب الفلق .

(د) قل أعوذ برب الناس .

(هـ) أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد واحذر ،

(و) أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق :

(ز) أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة

(ح) باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم .

فإذا دخلت على أهلك فضع يدك على ناصيتها ثم أدع الدعاء السابق ذكره ثم أبدأ حياتك بصلاة ركعتين شكراً لله تعالى وبعدها لن يقف فى طريقك شىء بإذن الله

٢٠ — شهر العسل

إن مايسمونه (شهر العسل) هو الأيام الأولى للحياة الزوجية يسعد فيها الزوجان بالمتعة الحلال التى نظمتها شرائع الله فينبغى على الزوجين أن يغتنما هذه الأيام ليسعدا بها وهذا شىء لايمكننا إلا أن نفرح به ونستشعر السعادة فيه ولقد زينه الله عزوجل لنا فقال :(زين للناس حب الشهوات من النساء) الآية .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا ألم بأمر من أمور الدنيا ففرح له تلا هذه الآية وقال : اللهم إنا لانستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا ... فلا بأس أن يجد الزوجان فى حياتهما الزوجية الهناءة والسعادة والبهجة والسرور وأن يستمتعا بما أحله الله عز وجل ورعاه .

وينبغى أن نجعل تعاليم الإسلام أمام أبصارنا وتحت أعيننا ونحن فى سعادتنا وفرحتنا فتكون ممارستنا الجسدية بدءاً بالتسمية فكل أمر لايبدأ فيه باسم الله فهو أبتر — أى أقطع لابركة فيه — كذا ينبغى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم .

فلقد روى البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله الرحمن الرحيم اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فإن قدر بينهما أولاد لن يضر ذلك الولد الشيطان أبداً .

كذلك ينبغى المداعبة قبل الأتيان عملا بقول الله عز وجل (نساؤكم حرث لـكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم) والتقديم هو المداعبة والملاطفة قبل المباشرة وهذه حقيقة علمية أكد عليها علماء

الجنس فهم يقولون (تبدأ المرحلة الأولى بالنظرة أو بالكلمة أو الدعوة أو الإيماءة أو الإشارة وخاصة إذا كان ذلك بعد فرقة طويلة فتؤدى تلك الأمور إلى الاستعداد للفعل الجنسى والبدء فى مباشرته .

وقال علماء الجنس أيضا (إن الرجل الذى يتجاهل دور المداعبة لا يكون متصفاً بالخشونة فحسب بل بالقسوة الشديدة كما أن إهماله لهذا الدور لا يضايق المرأة ويثير إشمئزازها فحسب بل يضرها ضرراً كبيرا من الناحية الجسمانية .

ولقد سمى رسول الله ﷺ الرجل الذى يأتى أهله بدون مقدمات بالحمار فنهى أن يعتلى الرجل المرأة كالحمار وأمر صلوات الله وسلامه عليه الرجل إذا أراد أن يأتى زوجته بأن يكرمها أى يقدم لها مايطيب خاطرها ويهيىء حواسها ولو بكلمة ود وعطف ومحبة .

وهذا الاتصال هو حق من حقوق الرجل كما أنه حق من حقوق المرأة تماماً .

وقد بين رسول الله ﷺ ذلك فى الحديث الذى رواه مسلم أن رسول الله ﷺ قال (ولك فى جماع زوجتك أجر قالوا يارسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذا إذا وضعها فى حلال كان له أجر) .

ومن المداعبة . الملاعبة والملاطفة والتقبيل والانتظار عليها حتى تقضى المرأة حاجتها .

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال : إذا جامع أحدكم أهله فليسعدها فإذا قضى حاجته قبل أن تقضى فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها) وبذلك يكون الرجل قد أمكن زوجته وساعدها على الوصول إلى حالة المتعة .

أما إذا لم يصل بها إلى حالة المتعة فإنها تشعر بخيبة أمل قد تفقدها صوابها وتعيش فى قلق واضطرابات ينعكس أثرهما على الحياة الزوجية .

كذلك ينبغى التستر عند اللقاء فلقد أمر الإسلام بستر العورة فى كل حال إلا إذا اقتضى الأمر بكشفها فعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت يارسول الله عوراتنا ماتأتى منها وماتذر؟ قال احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ماملكت يمينك قلت يارسول الله إذا كان القوم بعضهم من بعض ؟ قال إن استطعت ألا يراها أحد فلا يراها قال إذا كان أحـــدنا خاليا ؟ قال فالله أحق أن يستحيا من الناس (رواه الترمذى) .

ومن الحديث جواز كشف العورة عند الجماع ومع ذلك لاينبغى أن يتجرد الزوجان تجرداً كاملا فعن عتبة السلمى قال قال رسول الله ﷺ إياكم والتعرى فإن معكم من لايفارقكم إلا عند الغائط وحين يفضى الرجل إلى أهله فاستحيوهم وأكرموهم رواه الترمذى)

وروت السيدة عائشة رضى الله عنها قالت « كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ فى إناء واحد فما رأيت منه »

فينبغى على العروسين أن ينظرا إلى هذه الأيام الأولى من حياتهما الزوجية على أنها بداية والبداية فى معظم الأحيان تتعرض لبعض الهزات والاضطرابات ولكن لايمكن أن تنهار الحياة مادامها على وعى بخصائص هذه المرحلة ومشاكلها فلا تدعا الحياة تضطرب بكما وتتعثر فى هذه الرحلة الطويلة والله معكما

الزواج

١ — مسئوليات الزوج

عندما يكتمل بناء الأسرة ويصبح فيها الزوج والزوجة ، فإن لكل منهما مركزه فى النظام الإسلامى وتشريعاته وعليه تبعاته ومسئولياته وله حقوقه وسلطاته وفى مقدمة المسئولين عن الأسرة هو الزوج الذى هو رب الأسرة وعائلها .

فلقد كان العالم فى جهالته القديمة ،وقبل أن يشرق عليه نور الأديان السماوية وفى الأطوار الأولى البدائية فإن المولود البشرى كان ينسب إلى أمه حيث كان الشيوع هو السائد وقد اختفى هذا النظام واختفت معه الأسرة الأموية وحل محله نظام الأسرة الأبوية ، التى انقضى فيها سلطان الأم وأصبح الأب هو السيد على أسرته وسلطانه سلطان مطلق غاشم فهو يتصرف فيها كما يتصرف فى أى متاع يبيع ويهب ويؤجر ويعير ويحيى ويميت ولا معقب لحكمه وظل هذا النظام الهمجى فى بعض بلدان أوربا إلى عصر قريب .

فلقد كتب الفيلسوف الإنجليزى « هيربرت سبنسر » فى كتابه « علم الاجتماع » (إن الرجال كانوا يبيعون الزوجات فى انجلترا فيما بين القرن الخامس والحادى عشر الميلادى ولقد وضعت محاكم الكنيسة قانوناً يعطى الزوج الحق فى أن يعطى زوجته لرجل آخر لمدة محدودة بأجر أو بغير أجر وظل هذا القانون مطبقا حتى ألغى ...... وفى عام ١٩٣٢ باع انجليزى زوجته بمبلغ خمسمائة جنيه استرلينى وألغى القضاء هذا البيع ،

ولكن الإسلام قد وضع تهذيبا لهذه الرياسة وقضى على ما كان فيها

من الجبروت والطغيان وأنهى هذه الحقوق الظالمة حتى أصبح الطابع البارز لها هو طابع التكيف والمسؤلية وأن هذه الرياسة لصالح الأسرة أكثر مما هى لصالح رب الأسرة تحقيقا لحديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه (كلكم راع ومسئول عن رعيته . الأمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته) وقال صلوات الله وسلامه عليه (ان الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته) وقال ﷺ (كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول) وقد أقر النظام الإسلامى ما كان قائما عند نزوله من رياسة الرجل وحده لاسرته رياسة لا يشاركه فيها سواه وذلك لأن هذا الوضع هو الوضع الملائم للفطرة ولخلق الرجل وتكوينه كما أن المشاركة فى هذه الرياسة تسبب تنازع الآراء وضياع الاسر وهذا نظام الإسلام فى كل تجمع فقد جاء فى حديث المصطفى صلوات الله وسلامة عليه (إذا كنتم ثلاثة فأمروا واحدا منكم) .

وليس فى رياسة الرجل للأسرة امتهان للمرأة ولا نزول بها عن مكانتها وإنما هو وضع أراد به الإسلام ان يضع كلا منهما فى المكان المناسب له واللائق به لأن كلا الزوجين يكمل بعضه بعضا فالرجل لا يصلح لمهمة المرأة فى انجاب الأطفال ورعاية البيت وتربية الأولاد والعناية بهم ولا المرأة تصلح لأن تسعى فى سبيل الرزق لتوفر لقمة العيش للرجل وليس هذا على مستوى مجتمع الإسلام فقط ولكن القانون السائد الذى وضعه الله سبحانه وتعالى فى الكون كله فلا يوجد رجل يظل فى البيت وامرأته تعوله وهو قادر على الكسب إلا نال احتقار الناس بما فيهم زوجته ولا توجد امرأة إلا وتتمنى أن تعيش فى ظل زوج وحماية رجل يوفر لها كل شىء ويرعاها وليس فى هذا إخلال بحق المساواة التى شرعها الإسلام ولم يحد عنها فى تشريعاته . . إذ أن المساواة الحقة ليست إعطاء كل بقدر ما أعطى الآخر ولا تكليفه بمثل تكليف الآخر

وإنما هى إعطاء كل ذى حق حقه الذى يتقرر بقدر حاجته وتكليف كل بما هو أهل له ويحسن القيام به .

والمسئوليات التى تقع على رب الأسرة منها تبعات مالية وتبعات مادية وتبعات دينية وخلقية :

١ — التبعات المالية : عليه وحده أن يعول أسرته ويقوم بما تحتاجه من مال إن كان ذا مال وعليه أن يسعى ويكد ليحصل لأسرته على الرزق وما يقوم بحاجتها وذلك بالقدر اللائق به يساراً أو إعساراً فى غير إسراف ولا تقتير إعمالا لقول الحق عز وجل (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً) وقال جل شأنه (ولا تجعل يـــدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً) .

والإسلام لم ينظر إلى هذه المسئولية على أنها مسئولية جافة كمسئولية المدين أو الدائن بل أضفى عليها وصف العبادة والطاعة فهى فوق ما فيها من مسايرة الفطرة وما تحققه من اللذة الروحية تحتسب له طاعة وصدقة يثيبه الله عليها فقد جاء فى حديث المصطفى ﷺ (أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله) . وقال عليه الصلاة والسلام . كل معروف صدقة وما أنفق الرجل على أهله كتب له صدقة وما وقى المرء به عرضه كتب له به صدقة . وما أنفق المؤمن من نفقة فإن خلفها على الله والله ضامن) وحقا فإن الزوجة قد فرض الله لها رزقها على زوجها لأنها شريكته فى الحياة عليه العمل والمال وعليها التدبير وهى رهينة بيته مشغولة بشئونه وبتربية أولاده وبمساعدته فى سائر أموره .

٢ — التبعات المادية : أما التبعات المادية وهى صيانة عرض المرأة فقد ضبط الإسلام غريزة الفرج وأمر بغض البصر وحفظ الفرج

والالتزام بحدود الله عز وجل فقال تعالى فى صفات المؤمنين (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) فلكل واحد من الزوجين حق الاستمتاع بصاحبه وهذا أمر تدعو إليه الفطرة ويتوقف عليه التناسل فعلى كل منهما أن يلبي داعى الفطرة البشرية ولا يمتنع على الآخر ما لم يكن هناك ما يمنعه من مرض أو حيض أو غير ذلك من الموانع .

ولقد حكى كثير من العلماء على أن الجماع حق للمرأة كالرجل ولها أن تطالب به ولقد قال علماء الظاهرية ومنهم ابن حزم (إن الرجل قد فرض عليه أن يجامع زوجته فى كل طهر مرة إن قدر على ذلك والا فهو عاص وذلك أخذاً من قول الله عز وجل (فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله) وذهب الشافعى إلى عدم وجوبه لأنه حق للزوج فلا يجب عليه وذهب الإمام الغزالى رضى الله عنه إلى أنه يجب فى كل أربعة ليال مرة لأن عدد النساء اللاتى أباحها الله للرجل أربعة فجاز التأخير إلى هذا الحد .

وعن محمد بن معين الغفارى قال . جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت ياأمير المؤمنين إن زوجى يصوم النهار ويقوم الليل وانا اكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله عز وجل فقال لها نعم الزوج زوجك فجعلت تكرر هذا القول وعمر يكرر لها الجواب وكان يجانبه كعب الاسدى فقال له كعب يا أمير المؤمنين إن هذه المرأة تشكو إليك زوجها فى مباعدته إياها عن فراشه فقال عمر كما فهمت كلامها فاقض لها فقال كعب على بزوجها فأتى به فقال له كعب ان امرأتك هذه تشكوك فقال الرجل أمن طعام أو شراب ؟ فقالت المرأة :

يا أيها القاضى الحكيم رشده   ألهى خليلى عن فراشى مسجده

زهده فى مضجعى تعبده   فاقض القضاء كعب ولا ترده
نهاره وليله ما يرقده   فلست فى أمر النساء أحمده

فقال زوجها :

زهدنى فى أمر النساء وفى الحجل
أنى قد أزهلنى ما نزل
فى سورة النحل وفى السبع الطوال
ومن كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب :

إن لها عليك حقا يارجل   نصيبها فى أربع لمن عقل
فاعطها حقها ذاك   ودع عنك هذه العلل

ثم قال ان الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك فقال عمر والله ما أدرى من أى أمريك اعجب ؟ .

أمر فهمك من أمرهما ؟ أم من حكمك بينهما ؟ إذهب فقد وليتك القضاء على البصرة .

وإذا سافر الرجل عن امرأته فإن لم يكن له عذر يمنعه من الرجوع فان الامام أحمد بن حنبل أوجب عليه ألا يزيد عن ستة أشهر وسئل رضى الله عنه فى ذلك فقالوا له كم يغيب الرجل عن زوجته قال : ستة أشهر يكتب إليه فإن أبى أن يرجع فرق القاضى بينهما ... ومر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات ليلة وهو يتفقد أحوال الرعية فسمع امرأة تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه
وأرقنى ألا خليـــل ألاعبه

لولا مخافة ربى والحيـــاء يعفنى
لحرك من هذا السرير جوانـــبه

ولـكن ربى والحيـــاء يكفنى
وأكره بعـــلى أن توطأ مراتبه

فسأل عمر عنها فقيل له هذه فلانة غاب عنها زوجها مع جند المسلمين فى سبيل الله فأرسل إلى زوجها فأرجعه ثم دخل على حفصة إبنته وزوج رسول الله ﷺ فقال يا بنية كم تصبر المرأة على زوجها ؟ فقالت سبحان الله مثلك يسأل مثلى عن هذا ؟

فقال لولا أنى أريد النظر فى أمر المسلمين ماسألتك قالت خمسة أشهر أو ستة أشهر فوقت للناس فى سفرهم ستة أشهر يسافرون شهراً ويقيمون أربعة أشهر ويعودون شهراً وقد ثبت فى السنة أن جماع الرجل لزوجته من الصدقات التى يثيب الله عليها فلقد روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : «وإولك فى جماع زوجتك أجر قالوا يارسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها فى حلال كان له أجر ومن الأمور المستحسنة شرعا إن يتزين الرجل لزوجته كما تتزين هى له . قال ابن عباس رضى الله عنهما أنى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى وما أحب أن أسقط حقى الذى لى عليها حتى تتوجب حقها الذى لها على »، وقال الإمام القرطبى فى قول ابن عباس هذا « قال العلماء : إن زينة الرجل فعل تتفاوت أحوالها فربما تكون زينة وقت لاتليق فى وقت آخر وزينة تليق بالشباب ولا تليق بغيرهم » ثم قال « كذلك بشأن الكسوة فإنما يعمل اللائق به ليكون عند امرأته فى زينة تسرها ويعفها عن غيره من الرجال وأما الطيب والسواك

وفرق الشعر والتطهر وتقليم الأظافر فهو موافق للجميع والخضاب للشيوخ والخاتم من غير الذهب للجميع من الشباب والشيوخ زينة وهو من حلى الرجال .

كما أن عليه أن يتوخى أوقات حاجتها إلى المواقعة فيواقعها ويغنيها عن التطلع إلى غيره وإن رأى الرجل من نفسه عجزاً عن أداء حقها فى مضجعها أخذ من الأدوية التى تزيد من باءته وتقوى شهوته حتى يعفها ولقد درج كثير من الناس لتعاطى المخدرات كالحشيش والأفيون وغيرهما وهى فى الحقيقة إنما تجر على أنفسهم وعلى عائلاتهم جناية كبرى ومن المؤسف أنهم يعتقدون أنها تعمل على إشباع شهواتهم وقد ذهب العلماء على أن متعاطيها يستحق أن يقام عليه الحد مثل شارب الخمر وأن مستحلها كافر فضلا عن أن تعاطيها يفقد الجسم قوته وحيويته .

٣ — التسوية بين أفراد الأسرة :

ومن مسئوليات الرجل وتبعاته المساواة بين أفراد أسرته لا يفضل واحدا على واحد ولا زوجة على زوجة — إذا كان له زوجات أخريات فبالنسبة لأولاده لا يفرق بينهم حتى لا يضع بذور الكراهية فى نفوسهم ولقد كان رسول الله ﷺ دقيقاً كل الدقة عندما قال « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم حتى فى القبل » وكذلك عندما أراد والد النعمان بن بشير وقد نحل ابنه نحلة وخصه بحديقة دون بقية أولاده فقالت زوجته بنت أبى رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ عليها — على هذه العطية — فلما ذهب إلى رسول الله ﷺ ليقول له نحلت ابنى عطية وقالت أمه بنت أبى رواحة لا أرضى حتى تشهد عليها رسول الله فقال له النبى ألك ولد غيره ؟ قال : نعم قال أأعطيتهم مثله ؟ قال : لا . قال النبى : فإنى لا أشهد على جور » .

وهكذا طالب الإسلام رب الأسرة أن يكون عادلا بين أولاده وطالبه أيضاً أن يسوى بين زوجاته إن كان له زوجات وأن يعدل بينهن

والعـــدل الذى يطالب به الإسلام هو التسوية بين الزوجات فى كل مايستطيعه ويدخل تحت قدرته من الحقوق المالية كالنفقة وإحسان العشرة ولطف المعاملة أما المساواة فى المحبة والميل القلبى فليس ذلك فى مقدوره ولا يطالب منه شرعا يوشدنا إلى ذلك حديث رسول الله ﷺ الذى روته السيدة عائشة رضوان الله عليها فقالت : « كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل فيقول : اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك » ومن العدل الذى يستطيعه الزوج أن يسوى بين زوجاته فى المبيت وذلك بأن يبيت عند كل واحدة منهن بمقدار المدة التى يبيتها عند الأخرى ولا فرق فى هذا بين البكر وبين الثيب ولا بين الجديدة والقديمة ولا بين الشابة والعجوز ولا بين المسلمة والكتابية ولا بين صاحبة العذر وغيرها لأن سبب التسوية بينهن فى المبيت هو الزوجية فيجب التسوية فى كل ما يترتب عليها وهو المبيت إلا إذا أذنت له واحدة منهن وتنازلت عن ليلتها لضرتها والقسمة فى المبيت واجبة فى حال الصحة والمرض فلو مرض وأراد أن يقيم فى بيت إحداهن فلا يجوز ذلك إلا إذا رضى به سائر زوجاته لأن النبى ﷺ كان يقيم بين أزواجه وهو مريض فلما اشتد عليه المرض كان يحمل إلى بيوت أزواجه حتى أذنّ له أن يمرض فى بيت عائشة .

والغرض من ذلك ألا تتأذى واحدة بإيثار واحدة أخرى عليها والأصل فى ذلك قوله صلوات الله وسلامه عليه « من كان له امرأتان فمال إلى إحداهن جاء يوم القيامة وشقه مائل » وقوله ﷺ « إن المقسطين على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا .

٤ — مسئولية التأديب إن الله جعل التأديب فى حق المرأة والأولاد من مسئوليات رب الأسرة لأن التأديب توجيه من العليم الحكيم لتسقيم

أمور الحياة وتستمتع الأسرة بالاستقرار والانتظام وليتخير كل زوج ما يناسب زوجته من أساليب التقويم والتهذيب يرشدنا إلى ذلك قول الحق عزوجل [الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) فلقد بينت هذه الآية الكريمة أن النساء على نوعين.

النوع الأول: الصالحات وهؤلاء لسن فى حاجة إلى تأديب لأنهن بلغن بصلاحهن وخضوعهن لله ولأزواجهن مرتبة سامية لا يحتجن فيها إلى تقويم ولا تأديب.

النوع الثانى: من يخشى نشوزهن وإنحرافهن عن الصراط السوى وهؤلاء فى حاجة إلى تأديب وتقويم وتهذيب وقد شرع الله لنا الوسائل والأساليب التى يتم بها الإصلاح وهى أنواع ثلاثة.

الأول الموعظة الحسنة وهذا يناسب حال المرأة التى تكفيها الأشارة والنصيحة والكلمة الطيبة فالزوج يدرك ما يصلح به زوجته من الكلم الطيب والعمل الصالح والموعظة الحسنة.

الثانى: الهجر فى المضجع وقد قيل إن المراد به المبيت فى حجرة غير الحجرة التى تبيت فيها وقيل فى فراشها ولعل هذا يكون آلم لها ومادام المقصود بذلك التأديب فالأولى أن يترك ذلك للرجل ليفعل ما يلائم حال زوجته وما يراه أدعى إلى كبح جماحها.

الثالث: الضرب ويجب ألا يكون مبرحاً شديد الإيلام.

فلقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما تفسير الضرب بأن يكون

بالسواك ونحوه ومن هنا فإننا نرى أن القصد بالضرب هو الايذاء المعنوى وهو أقوى من الايذاء البدنى .

والخبير بأحوال النساء على اختلاف البيئات يدرك أن بعضهن لاتصلح إلا لهذا النوع من التأديب والأولى من ذلك طبعاً هو أن يعرف الزوج ما يؤلم زوجته وتعرف الزوجة ما يزعج زوجها ويتجنبانه كما ينبغى أن تكون النصيحة من كل منهما هادئة بعيدة عن الانفعال والغضب حتى لا يحرج أى منهما ولا تأخذه العزة بالأثم .

٢ — حقوق الزوج

إن للرجل حق القوامة على أسرته بما فيها زوجته وذلك لما خصه الله من قوة وقدرة وخبرة بالحياة ومعرفة لأحوالها ورجاحة فى العقل والتفكير تؤهله لرئاسة أسرته والقيام بشئونها .

وقد تميزت المرأة عن الرجل بقوة العاطفة وشدة الحنان لترعى شئون البيت والأولاد وذلك تحقيقا للآية الكريمة (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) .

ولقد جاء فى تفسير المنار أى أن من شأن الرجال القيام على النساء بالحماية والرعاية والولاية والكفاية ومن لوازم ذلك أن يفرض عليهم الجهاد دونهن — لأنه ينبغى الحماية لهن وأن يكون حظ الرجل من الميراث أكثر من حظ المرأة لأن على الرجال من النفقة ماليس عليهن وسبب ذلك أن الله فضل الرجال على النساء فى أصل الخلقة وأعطاهم مالم يعطهن من الحول والقوة فكان التفاوت فى التكاليف والأحكام إثر التفاوت فى الفطرة والاستعداد — .

وهناك سبب كسبى آخر يدعم السبب الفطرى وهو ماينفقه الرجال

من أموالهم على النساء. وقال الإمام محمد عبده رضى الله عنـــه (المراد بالقوامة هنا هو الرياسة التى يتصرف فيها المرءوس بإرادته وليس معناها أن يكون المرءوس مقهورا مسلوب الإرادة لا يعمل عملا إلا بما يوجهه إليه رئيسه فإن كون الشخص قيما على آخر هو عبارة عن إرشاده والمراقبة عليه فى تنفيذ ما يرشده إليه).

ولقد شاءت إرادة الله أن تقوم حياة الزوجين على المودة والرحمة وبين القرآن الكريم أن لكل منهما حقوقا على الآخر وعليه واجبات كما بينت الآية الكريمة فى قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) أى أن كل حق الزوج على زوجته هى الأمور المشروعة من طاعة وأمانة وعفة وإخلاص وحسن معاشرة ومودة واحترام وثقة وتكريم وترفيه ومراعاة مزاج ورعاية مصلحة وقضاء حاجات إلى غير ذلك وكذلك يكون حق الزوجة على زوجها وهذا يتأكد فى قول الله تعالى (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) وكلمة (المعروف) بليغة المدى لأن هذه الكلمة عامة تعنى ما هو متعارف عليه أنه حق وهذا لا يقاس بزمن بعينه فيما ليس فيه تحديد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بل يظل يتبدل ويتطور حسب تبدل ظروف الحياة الاجتماعية وتطورها والضابط فيه هو أنه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا — فمن حقوق الزوج على زوجته — .

١ — الطاعة فمن حق الزوج على زوجته أن تطيعه فيما يتعلق بأمور الزوجية ولقد كثرت الأحاديث النبوية التى تحث المرأة على طاعة زوجها منها ما رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما تحث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أطلعت على أهل النار فاذا أكثر أهلها النساء فقلن لم يا رسول الله ؟ قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير) يعنى الزوج المعـــاشر .

وقد جاء فى كتاب المرأة فى القرآن والسنة للأستاذ/محمد عزة دروزة أن هذا الحديث وأمثاله يخص طائفة من النساء يجحدن حق الزوج ولا يقمن بطاعته ويحرضن على الشجار والنزاع ولا تجنح الواحدة منهن إلى الطاعة ولين الجانب والحديث وارد فى مقام الوعيد والتهديد لمن تتكبر على زوجها وتكثر الشجار والنزاع ولا تتحلى بالوداعة والطاعة .

وروى ابن حيان عن أبى هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها) .

وروى الحاكم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال (أتت فتاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إنى فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال(لو كان من فرقه (أى الرأس) إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره) قالت أفلا أتزوج قال ﷺ بلى تزوجى فإنه خير) .

وروى الترمذى وأبو داود وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله عنهم أجمعين أن رسول الله ﷺ قال (لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) وجاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت يانبى الله إنى رسولة النساء إليك وما منهن امرأة — علمت أو لم تعلم — إلا وهى تهوى مخرجى إليك — الله رب الرجال والنساء وإلههم وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء كتب الله الجهاد على الرجال فإن أصابوا أثروا وأن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون فما يعدل ذلك من أعمالهم من الله ؟ فقال ﷺ (طاعة أزواجهن والمعرفة بحقوقهم وقليل منكن من تفعله) .

وفى هذا يقول الإمام على كرم الله وجهه (جهاد المرأة حسن التبعل) أى أن جهاد المرأة فى قيامها بحق زوجها على أحسن وجه وطاعتها له على

أكمل طاعة ولتعلم المرأة أن زوجها بشر فيه صفة الإنسان فتعيش معه على علاته وتقبله على ضعفه وتغفر له سيئاته وتغض الطرف عن هفواته فإن قيام المرأة بحق زوجها وطلبها لمرضاته وحرصها على فعل ما يرضيه يعدله الجهاد فى سبيل الله ويروى الترمذى وابن ماجة عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال (أيما إمرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة) .

ومن هنا ندرك أن السنة النبوية المطهرة قد أوضحت فى الأحاديث السابقة أن طاعة المرأة لزوجها طاعة لله وأن حسن قيامها عليه يعدل الجهاد فى سبيل الله وزيادة .

وهذه الأحاديث قد وردت فى كتاب (إحياء علوم الدين للامام الغزالى وأخرجها الأمام الحافظ العراقى رضى الله عنهم .

إن المرأة المسلمة تبذل جهدها وعنايتها فى تربية أولادها ورعاية زوجها وخدمة بيتها فتشرف على نظامة وتعمل على سعادة من فيه وتعليم الأولاد والبنات وتأديبهم الأدب الإسلامى وهذا يلزم أن تكون المرأة قاعدة فى بيتها لا تبرحه إلا لحاجة قال الإمام الغزالى رضى الله عنه (والقول الجامع فى أدب المرأة أن تكون قاعدة فى بيتها مهتمة بعملها تحفظ بعلها فى بيته وتطلب مسرته فى جميع أموره ولا تخونه فى نفسها وماله ولا تخرج من بيته إلا بإذنه فإن خرجت فمتجية تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق محترزة من أن يسمع الغريب صوتها أو يعرفها بشخصها همها صـــلاح شأنها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها وتكون قانعة من زوجها بما رزقه الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق

يائر أقاربها مشفقة على أولادها حافظة للستر عليه قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج .

وقد أدب الله نساء النبي ﷺ بأدب القرآن فقال سبحانه وتعالى (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وإن المرأة المسلمة الآن أصبحت فى وضع يتنافى مع أدب الإسلام وهديه .

فقد خرجت المرأة إلى الشارع سافرة متبذلة كأنها تعرض مفاتنها لتوجه أنظار الرجال إليها أو تثير إعجابهم بمحاسنها حتى ولو لم تكن حسناء لتتمتع بما يملأ أذنها من عبارات الإعجاب والاستحسان وبما يوجه إليها من نظرات آثمة وكلمات هابطة وربما تكون كاذبة وإلا لماذا تكشف الحرة الشريفة عن عوراتها ومفاتنها وتبدى زينتها لغير زوجها والله عز وجل يقول (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلا بيبهن ذلك أدنى أن يعرفهن فلا يؤذين) وقد أصبح خروج المرأة لداع أو لغير داع بالصورة المخزية عادة مألوفة ومظهراً من مظاهر المدنية الكاذبة وغدت تزاحم الرجل فى الشوارع والأندية والمواصلات والمتاجر والمجتمعات فعمت الفتنة وانتشرت وأصبحنا بحال يرثى لها وقلدنا غيرنا من الأمم الغربية تقليداً أعمى .

إن خروج المرأة للمصلحة فى حد ذاته ليس حراماً إذا كان الهدف أو المقصد مشروعا وإنما يحرم عند إظهار المفاتن والعورات والخلوة بغير المحارم فالخروج من البيت وعدم القرار فيه آفة من الآفات التى تقضى على كيان الأسرة فيتفكك أواصرها وينهار بنيانها فكم من الزوجات أخذ بعقولهن معسول الكلام وطاريهن إلى الهاوية والشقاء وكم من الأزواج أغراه منظر خلاب لعب بعقله وطاش بلبه فترك بيته وهجر زوجته وكان من المعتدين .

وها هى امرأة أعرابية توصى ابنتها ليلة زفافها فتشحذ همتها للعناية بيتها والرعاية لزوجها بكلمات تنم عن الحضارة الفكرية الرائعة التى غزاها نور الايمان فتقول (للمرأة فى كل عصر وزمان (إنك خرجت من العش الذى فيه درجت فصرت إلى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أرضا يكن لك سماء وكونى له مهاداً يكن عمادا وكونى له أمة يكن لك عبداً لا تلحفى به فيقلاك ولا تباعدى عنه فيسلاك إن دنا منك فاقربى منه وإن نأى عنك فابعدى عنه واحفظى أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك إلا طيباً ولا يسمع إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلا ،

وهذه هى حضارتنا وحضارة تراثنا التى تحفظ علينا حياتنا الزوجية وتهبنا السعادة والهناءة اللهم أهد قومى فإنهم لا يعلمون ،

٣ — الاستمتاع :

وقد سبق ذكر آدابه عند الحديث عن شهر العسل وهكذا نكون قد بينا تبعات الرجل وحقوقه .

٣ — مسئوليات الزوجة

إن مسئولية الزوجة تلى مسئولية الزوج — لكنها لاتبلغ مسئولية الزوج إلا أنها مسئوليات لها مكانتها السامية وأثرها الفعال فى حياة الأسرة — فالزوجة شريكة الزوج فى كل أنواع الحياة وضروبها وهى موضع السر والنجوى والمعينة علـى نوائب الدهر وهى الحفيظة على بيته بكل مايقويه والقوامة على شئونه وإدارته وتسيير دفته .

والزوجة هى الأم التى هى مهد الطفولة الناشئة والرائد الأدنى لأطفالها

والمشرفة على تهذيبهم وتأديبهم وتعليمهم وهواياتهم . فإذا قصرت أو أهملت ذهبت جهود الأب وجهود دور التعليم وسائر الجهود الأخرى أدراج الرياح .

وتتنوع مسئوليات الزوجة إلى مسئوليات مالية وعملية ودينية .

١ — المسئولية المالية — الجهاز .

إن الزوجة لا تتجه إليها أى مسئولية مالية من ناحية زوجها وبيته طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية فهى غير ملزمة بتأثيث منزل الزوجية ولا بالاشتراك فيه والزوج هو الملزم لكل مايحتاج منه هذا البيت كبيراً أو صغيراً ، إلا أن العرف قد جرى على أن الزوجة تؤثث بيت الزوجية هى وأهلها ليدخل بها الزوج وهو أسلوب من أساليب إدخال السرور على الزوجة بمناسبة زفافها .

وقد روى النسائى عن على رضى الله عنه قال : جهز رسول الله ﷺ فاطمة رضى الله عنها — ثوب من القطيفة وقربة ووسادة حشوها أذفر — نبات طيب الرائحة تحشى به الوسادة — وهذا بمجرد عرف جرى عليه الناس — إلا أن المالكية قالوا إن المهر ليس حقاً خالصاً للزوجة ولهذا لا يجوز لها أن تنفق منه على نفسها ولا تقضى منه ديناً عليها إلا إذا كانت محتاجة فلها أن تنفق منه بالمعروف وأن تقضى منه الدين القليل كالدينار والدرهم وإن كان المهر كثيراً وقد أخذ قانون الأحوال الشخصية بهذا المذهب فقد جاء فى المادة ٦٦ منه « أن الزوجة تلتزم بتجهيز نفسها بما يتناسب وما تعجل من مهرها قبل الدخول ما لم يتفق على غير ذلك أما إذا لم يعجل شىء من المهر فلا تلتزم بالجهاز إلا بمقتضى الإتفاق أو العرف .

(ص ٢٠٤ أحكام الأحوال الشخصية للدكتور يوسف موسى)

والجهاز إذا اشترته الزوجة بمالها أو اشتراه لها أبوها فهو ملك

خالص لها — لا حق للزوج ولا لغيره فيه ولها أن تمكن زوجها وضيوفه من الإنتفاع به كما أن لها أن تمتنع عن التمكين من الإنتفاع به ولا تجبر عليه .

وقال إمامنا مالك رضى الله عنه . يجوز للزوج أن ينتفع بجهاز زوجته الإنتفاع الذى جرى عليه العرف .

(ب) مسئوليتها المالية نحو زوجها :

لقد ذهب جمهور الفقهاء على أنه لا سبيل للزوج على زوجته من الناحية المالية حتى إن كان معسراً وهى ثرية ولا حق له فى مطالبتها بسد حاجته والإنفاق عليه لا قضاء ولا عرفا وشأنه فى هذا كشأنه مع غيره من سائر المسلمين . أما هى فإن قامت من تلقاء نفسها بالإنفاق عليه فقد أبرأت ذمتها وذمة الآخرين وأدت ما هو واجب عليها وعلى سواها من المياسير .

ولكن الإمام ابن حزم قد ذهب إلى أن هذا واجب عينى للزوج على زوجته وقال : إذا عجز الزوج الحر عن نفقة نفسه وكانت إمرأته غنية كلفت بالنفقة عليه ولا ترجع بشىء من ذلك عليه إن أيسر واستدل على ذلك بقول الله تعالى (وعلى الوارث مثل ذلك) أى مثل ما على المولود له من النفقة وقال :إن الزوجة وارثة لزوجها فعليها نفقته بنص القرآن .

ولقد زكى هذا المذهب فضيلة الشيخ محمد فرج السنهورى العالم الجليل فى كتابه « الأسرة فى التشريع الإسلامى » حيث قال : هذا المذهب — مذهب ابن حزم — وإن لم يكن رأى جمهور الفقهاء وله قيمته وله دليله وحجته — وهو الذى يتفق أتم الاتساق مع الروابط المقدسة التى تربط ما بين الزوجين وهو الذى يتلاءم مع ما للزوج — على زوجته من عظيم

الحقوق التى نبه عليها النبى صلوات الله وسلامه عليه بقوله (لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظيم حقه عليها) ثم هى مأمورة بالإحسان إليه فى آية الإحسان فكل منها صاحب بالجنب للآخر فمن هذا ومن غيره مما ورد فى الكتاب الكريم وفى السنة الصحيحة يستقيم القول بأنها ليست كبقية الأغنياء فالوجوب عليها أكثر من سواها وإنها تكون مقدمة فى ذلك على غيرها من المياسير الأجانب وإنها فى هذا كالورثة الأغنياء من قرابته فحق على الزوجات إن أردن القيام بواجب الإحسان والوفاء بحقوق الأزواج أن يأخذن أنفسهن بحكم المذهب ديانة وأن يعزمن به أنفسهن تدينا وإن لم تلزمهن أحكام القضاء ».

(ج) مسئوليتها المالية نحو أولادها :

إن مسئولية الزوجة المالية نحو أولادها ليست مسئولية مطلقة . فهى لا تكون إلا فى بعض الأحوال فإن كان الزوج قادراً على الكسب ولكن معسرا فالأم هى الأولى بتحمل نفقة أولادها عن سائر الأقارب وذلك إن كانت موسرة ، ولكن قال جمهور الفقهاء فى ذلك (فإن كان الأب معسرا والأم موسرة وللأولاد جد موسر . لا يؤمر الجد بالإنفاق عليهم ولكن تؤمر الأم بالإنفاق عليهم من مال نفسها ثم ترجع بما أنفقت على الأب إن أيسر) .

وإن كان الأب معسرا أو عاجزا أو كان ميتا وكانت الأم موسرة وليس معها موسر آخر من قرابة الأولاد وجبت عليها نفقتهم أما إذا كان معها موسر من قرابتهم فإن النفقة لا تجب جميعها عليها ولكنها تشارك فيها .

٢ — مسئولية الزوجة العملية والدينية :

إن مسئوليات الزوجة — كأم — إرضاع أولادها والقيام بتربيتهم وحضانتهم وهذا أمر واجب عليها ديانة وطاعة من طاعات الله عز وجل وهى الأحق والأولى فى ذلك فلقد روى أن أبا الأسود الدؤلى رضى الله عنه — جاءت زوجته إلى على كرم الله وجهه تشكو إليه زوجها وتطلب ضم أولادها إليها ، فقام أبو الأسود وقال : ياأمير المؤمنين ، لقد حملتهم قبل أن تحملهم ووضعتهم قبل أن تضعهم فأنا أولى بحضانتهم . فقامت زوجته وقالت : يا أمير المؤمنين — لقد حملهم خفا وحملتهم ثقلا ووضعهم شهوة ووضعتهم كرها فأنا أولى بهم منه فحكم لها على بحضانتهم .

ولقد قال الفقهاء إن الزوج لو استأجر زوجته للقيام بهذه الأمور أو بأى شىء منها كانت الإجارة غير صحيحة ولا يجب لها عليه شىء من أجر ذلك إذ الإنسان لا يستحق أجراً على مايجب عليه أن يقوم به ديانة والقيام بشىء من هذه الأمور طاعة والطاعات لايصح الاستئجار عليها ، والأم لها من غريزة الحنان ما يدفعها إلى القيام بهذا الواجب وهى مسلمة تعلم ما يوجبه عليها دينها وهى حريصة على اجتناب المعصية ومتى اجتمع ذلك الوازع الفطرى والوازع الدينى لم تكن فى حاجة إلى شىء آخر مهما . أما إذا تنكرت الأم لأحكام دينها وانسلخت من فطرتها كان فى جبرها وبقاء الأطفال تحت رعايتها أعظم خطر لهم إذ لا ينتظر أن ينالهم من وراء هذا الجبر سوى الإهمال والضياع .

فالزوجة المسلمة ينبغى عليها أن تحرص أشد الحرص على ضرورة إرضاع طفلها عامين كاملين تحقيقاً لقول الحق عز وجل (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) ولقد أصبح من المؤكد للجميع أن العالم قد أدرك هذه الحقيقة وبات يدعو مكرها إلى العودة لإرضاع الأطفال من لبن الأمهات ولمدة عامين كاملين بعد أن بهرتنا الدعايات للألبان الصناعية وبيان مزاياها ... فعلمنا الله

تعالى وأدركنا برحمته وأرشاداته وصدق الله العظيم الذى يقول (ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون).

٣ — مسئولية الزوجة بالنسبه لشئون بيتها :

إن الزوجة مسئولة مسئولية كاملة للقيام بشئون بيتها على الوجه الملائم لطبيعتها ومركزها ومركز زوجها وأسرتها ، وهو مما يجب عليها ديانة إلى جانب أنه تحتمه الروابط الزوجية والأسرية والحرص على التعاون الذى يكفل لها سعادتها وهناءتها واستقرارها وبذلك يكتمل لها وازعان أحدهما دينى والآخر خلقى واجتماعى .

بهذا تكون الزوجة المسلمة قد أدت واجبها على أكمل وجه والتزمت بتعاليم دينها أعظم التزام فأسعدت نفسها وزوجها وأولادها ، وجعلت اسرتها فى رضا وآمان .

٤ — السلوك الأسلامى للزوجين

إن الحياة السليمة تحتاج إلى سلوك سليم . فالله الذى خلق الحياة شرع لها السلوك الذى يناسبها ويستقيم معها . فإذا سار الانسان وفق هذا السلوك نجا فى حياته وسعد وإذا ما حاد عن السلوك الذى شرعه الخالق شقى وشقيت معه الحياة والسلوك القويم لهذه الحياة هو شريعة الله ومنهاجه الذى شمل دقائق الحياة وتناول أحداثها صغيرها وكبيرها فى يسر وتيسير فقد جاء القرآن الكريم مبينا ذلك حيث يقول الحق عز وجل (ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون .

وأيضا يقول الحق عز وجل (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم

العسر) وفى حديث رسول الله ﷺ الذى رواه البخارى (إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا)

ومن القواعد المقررة فى أصول الفقه الاسلامى . أن الأمر إذا ضاق إتسع وأن المشقة تجلب التيسير وأنه لا ضرر ولا ضرار وأنه لا ينكر تغير الاحكام بتغير الأزمان وأينما توجد المصلحة فثم شرع الله .

من هذا يتبين أنه من السهل الميسور أن نأخذ حياتنا بنمط أسلامى بلغ الذروة فى الفكر والرأى والحضارة العظيم . يجعل حياتنا محددة بمنهج إسلامى عظيم أنزله خالق هذا الكون .

وأود هنا أن أضع بعض إشارات للمرور فى سبيل الحياة ومسالكها حتى لا يحدث صدام يبعدنا عن الطريق الصحيح .

١ — يسألونك عن المحيض قل هو أذى

مما ينبغى على الزوجين أن يلما ببعض المسائل الفقهية لأنه لا غنى لهما عنها فى حياتهما فالحيض أمر طبيعى يأتى إلى المرأة فى دورة شهرية دائمة حتى تبلغ سن اليأس .

ويجب على المرأة أن تعرفه وتحدد معالمه لتعرف كيف تتطهر منه فهو دم تعلوه كدرة أى يميل لونه إلى السواد ، وفرق الفقهاء بينه وبين دم الاستحاضة الذى يأتى فى غير أيام الدورة .

فليعلم الرجال والنساء أن المواقعة أثناء وجود هذا الطمث محرم لقوله عز وجل .

فى ختام هذه الآية التى معنا (فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) .

إلا أنهم —أى الفقهاء — أجازوا للرجل إذا احتاج إلى زوجته أثناء طمثها أن تتزر بإزار من السرة إلى الركبة وليستمتع الرجل بما دون ذلك ولا حرج عليه .

والطهر من الحيض يكون بالقصة وهو ماء أبيض ينزل عقب الدم وبذلك تكون المرأة قد انتهت دورتها وعليها أن تغتسل وتبادر بهذا الغسل حتى تقضى فرضها ، فإن طهرت قبيل المغرب فعليها أن تصلى الظهر والعصر وإن طهرت قبيل الفجر فعليها أن تصلى المغرب والعشاء .

وإما بالجفوف وهو الجفاف بمعنى أن تقوم المرأة بتسويك نفسها بقطعة من الصوف الناعم أو غيرها لتتبع أثر الدم . فإن لم يكن بالقطعة دم فقد طهرت أيضا .

فلقد روى أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت يارسول الله كيف أتطهر فقال لها صلوات الله وسلامه عليه (خذى قطعة من مسك أى مبلولة بالمسك فتتبغى بها أثر الدم) .

والرسول بهذا يريد أن تكون المرأة طاهرة نظيفة ذات رائحة طيبة وحتى لا يتقزز منها الرجل عند لقائه بها وكانت نساء أسلافنا الصالحين رضوان الله عليهن لا يتحرجن من السؤال فى أمور دينهن فلقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قال « نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين » .

وجاءت المرأة إلى الإمام أبى حنيفة فى حلقة درسه بالعراق. ووضعت بين يديه تفاحة نصفها أحمر ونصفها أصفر يعلوه احمرار خفيف فشقها الامام نصفين واعطاها لها ثانية . وذهبت المرأة إلى حال سبيلها وتعجب تلاميذ الإمام فسألوه عما صنعت المرأة فقال لهم رضوان الله عليه إنها سألت بأنها ترى الدم أحمر ثم تراه أصفر تعلوه حمرة خفيفة فمتى تطهر؟

فأجبتها بأنها تطهر عندما ترى الماء الأبيض وشققت لها التفاحة لترى بياضها .

أما الدم الذى يأتى فى غير أيام الدورة فهو دم إستحاضة ويعتبر دم مرض وفساد تصوم به المرأة وتصلى وتفعل كل النسك والعبادات إلا أنها تتحفظ حتى لاتلوث ثيابها ولا مكانها .

وإذا نزل دم يعلوه سواد وقد تجمد فإما أن يكون دم حيض وإما يكون قطعة لحم نتيجة لحمل فاسد .

فلها أن تعرف ذلك بصب الماء الساخن عليه فإن ذاب فهو دم حيض وتطهر منه بإحدى العلامتين إما أن ترى عقبه ماء أبيض أو تتبع أثر الدم فلا تجده وإن لم يذب فهو نفاس تطهر منه بانقطاع الدم .

ولا يأتى الرجل زوجته إلا بعد أن تغتسل وتطهر لقول الله عز وجل ولا تقربوهن حتى يطهرن .

٢ — فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله:

ينبغى على الزوجين أن يعرفا حكم الله فى آداب النساء . فلا يأتى الرجل زوجته فى غير المكان المعد لذلك والذى أشار إليه الحق عز وجل فى قوله تعالى (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) .

والحرث هنا هو محل الولد فالأمر بالاتيان فى الحرث أمر بالاتيان فى الفرج خاصة وسبب نزول هذه الآية ما رواه البخارى ومسلم أن اليهود كانت على عهد رسول الله ﷺ تزعم أن الرجل إذا أتى إمرأة من دبرها فى قبلها جاء الولد أحول وكانت الأنصار تتبع اليهود فى هذا فأنزل الله عز وجل هذه الآيات .

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة صريحة فى النهى عن إتيان المرأة فى دبرها فروى أحمد والترمذى وابن ماجة أن النبى ﷺ قال (لا تأتوا النساء فى أعجازهن أو قال فى أدبارهن) .

وروى عن بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال فى الذى يأتى امرأته فى دبرها هى اللواطة الصغرى « وعن أحمد وأصحاب السنة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ملعون من أتى امرأته فى دبرها » وفى مذهب ابن تيمية وإذا وطئها فى الدبر وطاوعته عزرا جميعا وإلا فرق بينهما كما يفرق بين الفاجر ومن يفجر به .

٣ — العزل وتحديد النسل :

إن من أسباب مشروعية الزواج النسل والذرية إلا أن الأسلام فى تشريعاته لا يمنع فى الظروف الخاصة من تحديد النسل باتخاذ أدوية تمنع الحمل أو بأى وسيلة أخرى يباح التحديد فى حالة ما إذا كان الرجل كثير العيال لا يستطيع القيام على تربية أولاده تربية صحيحة سليمة ، وكذلك إذا كانت المرأة ضعيفة أو خافت من الحمل ففى مثل هذه الحالة يباح التحديد بل أن بعض العلماء رأى أن التحديد فى مثل هذه الحالات لا يكون مباحاً فقط بل يكون واجبا وألحق الإمام الغزالى بهذه الحالات حالة ما إذا خافت المرأة على جمالها فمن حق الزوجين فى هذه الحالة أن يمنعا النسل بل ذهب كثير من العلماء إلى أباحته مطلقا واستدلوا على ذلك. بما رواه البخارى ومسلم عن جابر قال كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل « والعزل هــــو أن ينزل الرجل ماءه خارج الفرج بعد الايلاج ، ومعنى ذلك أن النبى ﷺ لم ينههم عن ذلك .

وقال الشافعى رحمه الله « ونحن نروى عن عدد من أصحاب رسول ﷺ أنهم لم يروا بأسا فى ذلك ، وروى القاضى رضى الله عنه وغيره باسناده قال : جلس عمر وعلى والزبير وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم

فى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وتذاكروا العزل فقالوا لا بأس به فقال رجل إنهم يزعمون أنها الموؤدة الصغرى فقال على كرم الله وجهه لا تكون موؤدة حتى تمر عليها المراحل السبع وهى أن تكون سلالة من طين ثم تكون نطفة ثم تكون علقة ثم تكون مضغة ثم تكون عظاما ثم تكون لحماً ثم تكون خلقا أخر فقال عمر صدقت أطال الله بقاءك .

٤ — إسقاط الجنين : بعد أن تستقر النطفة فى الرحم لا يحل اسقاط الجنين وذلك بعد مضى مائة وعشرين يوماً فإنه يكون حينئذ اعتداء على نفس يستوجب العقوبة فى الدنيا والآخرة . أما الأسقاط أو إفساد اللقاح قبل مضى هذه المدة فإنه يباح إذا كان هناك سبب لذلك كخطورة الحمل أو الوضع ويرى الإمام الغزالى رضى الله عنه أن الأجهاض جناية على موجود حاصل . ولها مراتب أن تقع النطفة فى الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة فإفساد ذلك جناية فإذا صارت العلقة مضغة كانت الجناية أفحش وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة زادت الجناية تفاحشا .

٥ — أمور تكثر الحاجة إلى معرفة أحكامها

أولا : أنواع النجاسات ، لتتوقاها ربة المنزل :

(أ) الميتة . وهى ماماتت حتف أنفه من غير ذبح ويلحق به ماقطع من الحيوان وهو لقول رسول الله ﷺ ما قطع من البهيمة وهى حية فهو ميتة .

يستثنى من ذلك — ميتة السمك والجراد فإنها طاهرة لقول رسول ﷺ «أحل لنا ميتتان ودمان أما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال» وكذا ميتة من لادم له سائل كالنمل والنحل وغيرهما فإنها طاهرة فإذا وقعت فى شىء وماتت فيه لا تنجسه .

وعظم الميتة وقرنها وظفرها وشعرها وريشها وجلدها وكل ما هو من جنس ذلك طاهر لأن الأصل فى هذه كلها الطهارة .

٢ — الدم — سواء كان وما مسفوحاً كالدم الذى يجرى من المذبوح = أو دم حيض أو دم نفاس إلا أنه يعفى عن اليسير منه . مثل القطرة والقطرتين وأمادم البراغيث والدمامل والقيح فإنه يعفى عنه والأولى تنقيتها .

٣ — لحم الخنزير . قال الله تعالى (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس) أى نجس ولأن ذلك كله خبيث تعافه الطباع السليمة .

٤ ، ٥ ، ٦ — قىء الآدمى ورجعه وغائطه .

وهذه الأشياء جميعاً متفق على نجاستها ، إلا أنه يعفى عن يسير القىء ويخفف بول الصبى الذى لم يأكل الطعام فيكتفى فى تطهيره بالنضح لحديث أم قيس رضى الله عنها . أنها أتت النبى ﷺ بإبن لم يبلغ أن يأكل الطعام وأن ابنها ذاك قد بال فى حجر النبى ﷺ فدعا رسول الله ﷺ بماء فنضحه على ثوبه ولم يغسله غسلا ، والنضح أن يغمر المكان بالماء أما إذا أكل الطعام على سبيل التغذية فإنه يجب غسله بلا خلاف والغسل هو جريان الماء على مكان النجاسة وتتبع آثارها .

٧ — الودى وهو ماء أبيض ثخين يخرج بعد البول وهو نجس من غير خلاف فلو أصاب ثوباً أو بدناً وجب غسلها .

٨ — المذى : وهو ماء أبيض لزج يخرج من الرجل أو المرأة عند التفكير فى الجماع . أو عند المداعبة وقد لا يشعر به الإنسان عند خروجه وهو نجس باتفاق العلماء إلا أنه إذا أصاب البدن وجب غسله وإذا أصاب الثوب فانه يكتفى برشه .

٩ — المنى : ذهب بعض العلماء إلى القول بنجاسته وذهب بعضهم إلى أنه طاهر ولكن يستحب غسله إذا كان رطباً وفركه إذا كان يابساً .

١٠ — بول وروث ما لا يؤكل لحمه وهما نجسان .

١١ — الخمر وهي نجسة عند جمهور العلماء لقول الله تعالى (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) والرجس معناه النجس .

١٢ — الكلب : وهو نجس ويجب غسل ما ولغ فيه سبع مرات : إحداهن بالتراب لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ « طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسل سبع مرات أولاهن بالتراب » فلو ولغ في إناء فيه طعام جامد ألقى ما أصابه وما حوله وينتفع بالباقي على طهارته السابقة .

ثانياً : تطهير البدن والثوب من هذه النجاسات .

(١) الثوب والبدن إذا أصابتهما نجاسة يجب غسلها بالماء حتى تزول عنهما إن كانت مرئية كالدم فإن بقي شيء بعد الغسل يصعب زواله فهو معفو عنه فان لم تكن مرئية كالبول فانه يكتفي بغسله ولو مرة واحدة لحديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت إن إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيض كيف نصنع به؟ فقال تحته ثم تقرضه بالماء ثم تنضحه ثم تصلي عليه . أي تدلكه بأطراف أصابعها — وإذا أصاب ذيل ثوب المرأة نجاسة فان الأرض تطهره لما روى أن امرأة قالت لأم سلمة رضي الله عنها : إني أطيل ذيلي وأخشى الطرقات يعني القذر ؟ فقالت لها قال رسول الله ﷺ « يطهره ما بعده » .

٢ — تطهير المكان : تطهر الأرض إذا أصابتها نجاسة بصب الماء عليها وتطهر أيضاً بالجفاف هي وما يتصل بها كالآثار وكالشجر والنبات إذا كانت النجاسة سائلة أما إن كان لها جرم فلا تطهر إلا بزواله عنها .

٣ — تطهير الطعام : إذا كان الطعام جامداً ووقعت فيه ميتة طرحت وطرح ما حولها وانتفع بالباقي لحديث إبن عباس رضي الله عنهما أن النبي

ﷺ سئل عن فأرة سقطت فى سمن فقال ألقوها وما حولها فاطرحوه وكلوا سمنكم أما إن كان سائلا فذهب الجمهور إلى أنه نجس كله .

٤ — تطهير جلد الميتة : يطهر جلد الميتة ظاهراً وباطناً بالدبغ لحديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال «إذا دبغ الإهاب فقد طهر» .

٥ — تطهير الأدوات التى ليس لها مسام :

مثل المرآة والسكين والسيف والظفر والعظم والزجاج والأوانى الصينية والخزفية وكل مصقول ليس له مسام بالمسح الذى يزيل آثار النجاسة فلقد ثبت أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يصلون بسيوفهم وقد أصابها الدم فكانوا يمسحونها ويحدثون » ويرون المسح كافياً لإزالة النجاسة .

٦ — حبل الغسيل الذى ينشر عليه الثوب النجس ثم تجففه الشمس أو الرياح لا بأس بنشر الثوب الطاهر عليه بعد ذلك .

٧ — تطهير الحذاء : يطهر الحذاء المتنجس بالدلك بالأرض إذا ذهب أثر النجاسة .

لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إذا وطىء أحدكم بنعله الأذى فان التراب له طهور » .

أحكام السؤر :

السؤر : هى ما بقى فى الإناء بعد الشرب وهو أنواع :

١ — سؤر الآدمى : وهو طاهر من المسلم والكافر والجنب والحائض وأما قوله تعالى (إنما المشركون نجس فالمراد به نجاستهم المعنوية لاعتقادهم الباطل وعدم تحرزهم من الأقذار والنجاسات .

٢ — سؤر ما يؤكل لحمه : طاهر لأن لعابه متولد من لحم طاهر فأخذ حكمه وقد أجمع أهل العلم على ذلك .

٣ — سؤر البغل والحمار والسباع وجوارح الطير . طاهر لحديث

جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ سئل أن يتوضأ مما أفضلت الحمر ؟ قال نعم وبما أفضلت السبع كلها .

٤ — سؤر الهرة طاهر لماروى أن كبشة بنت كعب وكانت زوجة أبى قتادة دخل عليها فسكبت له الماء فجاءت هرة تشرب منه فأمال لها الإناء حتى شربت منه قالت كبشة، فرآنى أنظر فقال أتعجبين؟ فقالت نعم فقال إن رسول الله ﷺ قال : إنها ليست بنجس إنها من الطوافين عليكم ومن الطوافات .

٥ — سؤر الكلب والخنزير : وهو نجس يجب اجتنابه فبالنسبة للكلب لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إذا شرب الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعاً .

أما سؤر الخنزير فلخبثه وقذارته .

٦ — إرشادات تكثر الحاجة إليها ؟

١ — عند ذبح الدجاج وغيره يراعى الشروط الشرعية الآتية :

(ا) أن يكون الذابح عاقلا سواء كان ذكراً أو أنثى — مسلماً أو كتابياً — نصرانياً أو يهودياً .

فإذا فقد الأهلية بأن كان سكراناً أو مجنوناً أو صبياً غير مميز فإن ذبيحته لاتحل وكذا لاتحل ذبيحة المشركين والزنادقة والملحدين والذين لايؤمنون بدين مثل الشيوعيين ونحوهم .

٢ — أن تكون الآلة التى يذبح بها محددة ينهمر بها الدم وتقطع الحلقوم مثل السكين ونحوها إلا السن والظفر فإنهما لا يحلان .

٣ — التسمية قبل الذبح قال إمامنا مالك رضى الله عنه «كل ما ذبح ولم يذكر اسم الله عليه فهو حرام سواء ترك ذلك عمداً أو نسياناً .

٣ — قطع الحلقوم والمرىء ولايشترط إبانتهما لأن النبى ﷺ نهى عن شريطة الشيطان وهى التى تذبح فتقطع الجلد ولا تفرى إلى الودجين .

ويكره منها :

(ا) أن يكون الذبح بآلة كالة لحديث عمر رضى الله عنه أن الرسول ﷺ أمر أن تحد الشفرة وأن توارى عن البهائم .

(ب) يكره كسر عنق الحيوان أو سلخه قبل زهوق روحه لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول ﷺ قال لا تعجلوا الأنفس قبل أن تزهق .

أمور تعرض للنساء فقط :

من الأمور التى تأتى النساء دم غير دم الحيض يختلف عن لونه وفى غير أيامه وهو دم أحمر يعلوه صفرة ويسمى دم الاستحاضة وهو النزيف وهو لا يجب فيه الغسل على المــــرأة بل تصلى به وتصوم وتؤدى كل المناسك إلا أنه يجب عليها :

١ ـــ الوضوء لكل صلاة وعن مالك رضى الله عنه يستحب لها الوضوء لكل صلاة ولا يجب الوضوء إلا بحدث آخر .

٢ ـــ أن تغسل فرجها قبل الوضوء وتحشوه بخرقة أو قطنة دفعاً للنجاسة وتقليلا لها .

٣ ـــ ألا تتوضأ قبل دخول وقت الصلاة عند جمهور العلماء لأن طهارتها ضرورية فليس لها تقديمها قبل وقت الحاجة وأنه يجوز لزوجها أن يجامعها فى حال جريان الدم لأنه لم يرد دليل لتحريم جماعها إلا إذا ثبت الضرر لهأولها بإخبار طبيب مسلم ثقة .

٤ ـــ المستحاضة لها حكم المرأة الطاهرة تصوم وتصلى وتعتكف وتقرأ القرآن وتمس المصحف وتحمله وتفعل كل العبادات وهذا مجمع عليه .

٧ ـ لا : للتوتر العصبي

من العجيب الذى نراه أن هذه الرفاهية التى تعيشها معظم المجتمعات الحديثة وأن شيوع الكماليات لدى الكثير من الناس حتى أصبحت ظاهرة فريدة لم يحدث لها مثيل فى التاريخ — كانت سببا فى كثير من المشكلات التى أدت إلى حدوث ضغوط نفسية وأخرى عصبية أدت إلى أن يعيش الإنسان فى حالة سيئة لا يهنأ بالحياة ولا يسعد بها ... !

ولا أدل على ذلك من التوتر العصبي الذى زادت نسبته فى المجتمعات الراقية مثل مجتمع السويد الذى يجد فيه كل مواطن حاجاته وكمالياته وكل ما يخطر على باله ومع ذلك فقد أثبتت الأبحاث العلمية والإحصائيات بأن نسبة الانتحار قد بلغت أكبر معدل لها وأن الأمراض العصبية والنفسية بلغت مداها فى مثل هذه المجتمعات ولا شك أن ذلك يكون له أثره على الحياة الأسرية فيتهددها ويكون سبباً فى القضاء على بنيانها وينبغى أن نلقى نظرة على بعض الحالات التى تنتاب الزوجين وتتسلط على كل منهما والتى قام يحصرها علماء النفس :

أولا : التوتر العصبي :

وهم الذين يعانون ضيقاً مستمراً وتوترا نفسيا وبدنيا دائمين تراهم لا ينقطعون عن القلق ولا تفارقهم التعاسة فهم دائما ممتعضون ويتوجسون خوفاً من بلاء قد ينزل بهم . وهذا القلق وذلك التوتر يظهران على التعابير التى يرسمها هؤلاء على وجوههم ، فالحاجبان متقوسان والفم مشدود والأنامل ترتعش وتكون حركاتهم عصبية سريعة كما أن أذهانهم ضعيفة فى التركيز على أى موضوع إلى جانب ما يعانون من إحساس دائم بضغط الرأس الذى هو الصداع .

وهذه الحالة من التوتر تحدث حينما يجد المرء نفسه مشتتا بين عدة رغبات وتطلعات متناقضة وهو يبحث فى الوقت نفسه عن توفير أسباب الطمأنينة له ولأسرته وبسبب هـــذه الرغبة فى توفير الأمن يبالغ فى الاستعداد لمواجهة الكثير من المنغصات فى حياتهم اليومية .

ولقد أكد علماء الاجتماع على أن هذا التوتر لا علاج له إلا لفتة إيمانية تدعم بذكر الله والتفويض له تصديقاً لقول الله عز وجل (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

ثانيا : الذعر :

وهذه حالة من الخوف تنشأ عن توتر طال أمد الإحساس به ثم اقسم بالفزع الشديد من تهديد مفاجىء ، وهذه حار تحتاج إلى حالة إيمانية تقوى الثقة بالله وحسن التوكل عليه تصديقا لقوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) .

ثالثا : الوسواس

وهو حالة تتسم بالإهتمام المفرط بالصحة البدنية والاستقرار النفسى وكثيرا ما نرى أناساً تستولى على قلوبهم مخاوف شديدة من الإصابة بالأمراض المستعصية الرهيبة ، وغالبا ما يسيطر عليهم إحساس قاطع باليأس من الشفاء فتراهم ينتقلون من طبيب إلى طبيب ، وهذا الوسواس سببه كما قال علماء النفس أن صاحبه كان يتذرع بالمرض وهو صغير من أجل أن يستدر العطف والاهتمام من والديه ، حتى يتسنى له الهرب من المسئولية كالدراسة وواجباتها .

ولا علاج لهذه الحالة إلا الاستمساك بقول الله تبارك وتعالى (أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) اقتداء بما قال سيدنا أيوب عليه السلام

عند إصابته بالمرض (أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) وكانت الإجابة من الله تعالى له (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) مع كثرة الإستعاذة من الوسواس الخناس كما قال الله سبحانه وتعالى (قل أعوذ برب الناس ملك الناس ... إلخ السورة) .

رابعاً : الأوهام :

وهى خواطر تقحم نفسها دائماً فى حياة صاحبها وتفرض وجودها عليه مثيرة بذلك صراعات من الرغبات المكبوتة — إن الأوهام والخواطر التى تستحوذ على أفكار الناس وتداهمهم بلا مقدمات إنما تتجلى بقوة فى القلب الغافل حتى يستحيل إنتزاعها بالفكر والعقل والمنطق وهذه تحتاج إلى تدبر آيات الله واختلاف الليل والنهار وفى خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر وصدق الله القائل (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) وهذا يجعلهم يذكرون الله دائما (الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) .

خامساً : المخاوف :

وهذه تنتمى إلى الخواطر السابقة ومنها الخوف من القذارة أو إنتقال الجراثيم والخوف من الأماكن المزدحمة أو ركوب المصاعد وقيادة السيارات وركوب الطائرات وغير هذا وذاك وهذه حالة تحتاج إلى حالة إيمانية تؤكد التفويض إلى الله كما كان يلجأ الصالحون إلى ربهم وحكى عنهم القرآن الكريم قولهم (وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد) .

سادساً : الكآبة :

تشير الإحصاءات إلى أن المصابين بهذه الحالة هم من الشيوخ بحيث يشكلون ١٠٪ من الذين يحيطـــون بنا فى حياتنا وإن كانت إصابتهم متفاوتة وفى حالات الكآبة البسيطة يبدو المصاب بها ساكنا منكمشا ووجلا تعسا ومتشائما تكثر إنتقاداته ، ومرهقا غير قادر على حل مشكلاته الشخصية وغالبا ما يجد الحياة عقيمة خالية من المعنى فتراه لا يقوى على إتخاذ قرار أو التركيز على مسألة وأمثال هؤلاء ينشغلون أشد الإنشغال بالمشكلات الخاصة بهم ويرون أن الحياة تعاملهم على غير ما يستحقون وتكيل لهم الضربات التى تفسد عليهم مجريات حياتهم اليومية وهؤلاء لا علاج لهم إلا أنه ينبغى على من يصاحبهم ويعيش معهم أن يترفق بهم ويوقر سنهم ويحترم شيخوختهم وعليهم هم أن يستوثقوا بربهم وينشغلوا بطاعة خالقهم ويكثروا من الأتجاه إلى الله عز وجل .

سابعاً : الضيق :

وهو إحساس يقترن بالخوف الشديد كالذعر من كارثة محققة ستنزل بصاحبه وغالباً ما ترافق هـــذا الإحساس أمراض عضوية وتبدل فسيولوجى ولكن لابد من إدراك حقيقة واحدة وهى أنه لابد للمرء من أن يتحمل قدراً معيناً من هذا الإحساس بالضيق فى حياته العادية الحافلة بالأحداث بل إن مثل هذا القدر كفيل بشحن قدرات المرء بطاقة إضافية لتحقيق طموحاته غير أن هذا القلق قد يتحول إلى علة مرضية إذا استمر طويلا بدون سبب منطقى ولا أرى علاجاً لمثل هذه الحالة إلا بالإيمان بالقضاء خيره وشره والرضا بحلوه ومره وهذا من أسس الإيمان كما جاء فى حديث رسول الله ﷺ عندما سئل عن الايمان فقال صلوات الله وسلامه عليه فيما قال (أن تؤمن بالقضاء خيره وشره حلوه ومره) .

ثامنا : الضغط النفسى .

وهو استجابة انسانية لمختلف أنواع الحرمان الشديد سواء كان حرمانا جنسيا أو إحساسا بدنو الاجل او افلاسا إلى غير ذلك من الإسباب ولقد كشفت الدراسات التى أجريت على الذين نجوا من البواخر الغارقة وغيرهم ممن تعرضوا لضغط نفسى أولأمور شأنها شأن الضغط النفسى المستمر أنه يلحق ضرراً برأس الأنسان وقـدراته العقلية فيتحول إلى شخص آخر غير الذى عرفناه وقد يبلغ هذا الضغط من الحدة بحيث يدفعهم إلى الانهيار — وإنى قد وضعت هـذه الحالات بين يدى الزوجين ليعرفا حقيقتها وليبتعدا عن أسبابها ويتجنبا الطريق الذى يؤدى إلى الأنزلاق فيها .

وكلها تحدث عندما يبتعد الأنسان فيها عن ربه تحقيقا لقول الله عز وجل (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا) وضنك العيش هو الشدة فى الحياة على أى شكل كان .

ولو تأملنا فى هذا الكون لوجدنا هذه الآية الكريمة تؤكد حقيقة قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فهذه مجتمعات تحظى بالمال والجاه والرفاهيات لكنها تفقد الأطمئنان وصلاح البال الذى وصف الله به عباده المؤمنين فقال عنهم (كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) وأمتن الله على نبيه بشرح الصدر فقال تعالى (ألم نشرح لك صدرك) ولو نظرنا إلى هـذه المجتمعات نجد أنهم قدأ فتقدوا الأمن والأمان الذى إمتن الله به على عباده فقال (وآمنهم من خوف) فالعصابات وانتهاك الأعراض يجعل هذه المجتمعات فى قلق واضطراب وخوف وضغط نفسى وضيق بالحياة .

٨ – لاتكثرى من المساءلات لزوجك

ولا تسلبيه حريته

كثيرا مايقع بين يدى من المشاكل الزوجية التى أجد أساسها الغيرة الشديدة من الزوجة على زوجها وهى غيرة قاتلة فإذا تأخر عن ميعاده حاصرته بالأسئلة المحمومة الأمر الذى يجعل الزوج يضيق بزوجته ويتبرم بأسئلتها وربما لاتحمد عقباها والزوجة التى تفعل ذلك إما غيورة على زوجها إلى حد الشك وإما متسلطة تريدأن تفرض نفسها على تحركاته وتصرفاته . أما المرأة الذكية فينبغى أن تكون حذرة فى معاملة زوجها فلاتحاصره بأسئلتها ولا تضايقه بتحقيقاتها لأن الرجل يعتز بحريته واستقلال إرادته فلايحب أن يقيدها أحد ولو كان ذلك من أحب الناس إليه .

وعلى النقيض من ذلك المرأة التى تهمل زوجها فلاتسأله عن سر تأخره وغيابه أو تخلفه عن عاداته .

فإن هذا الأهمال يضيق به صدر الرجل أيضا فهو يريد أن يشعر بأهميته لدى زوجته فالمطلوب أن يكون السؤال بهدوء أعصاب وبلاتوتر تصحبه الأبتسامة ولايشعره بأنه أمام محقق يستجوبه .

فكل رجل له هوايته فلا تحرميه منها . ولاتغارى عليه عند مزاولته لها فكثير من الزوجات تغار من الهواية مثل القراءة أو الكتابة أو التصوير أو الرياضة إلى غير ذلك من الهوايات وتعتبرها كأنها ضرة لها .

وتعتبر ذلك إهمالا لشأنها وهذا خطأ كبير تقع فيه بعض الزوجات .

ويختلف الأمر من زوجة تحاول أن تحرم زوجها من أصدقائه

وأقاربه الذين يسعدبهم ويسر للقائهم لأنه يرتبط بهم ويرتبطون به . فهو لايشعر بالسعادة إلا وسط هؤلاء جميعا فهو قد عاش عمره معهم .

وإذا حدث أن استجاب لك وقطع علاقته بأصدقائه أو أقاربه ارضاء لمشاعرك فان هذا لن يدوم طويلا وسرعان مايتمرد عليك وربما تحول حبه عنك ويتبدل بالكراهية لك لأنك حرمتيه من أسباب سعادته وروابطه الانسانية التى لاوجود له بدونها . ولايتذوق لحياته طعما ولايعرف لها معنى من غيرها .

وأعلمى أيتها الزوجة أن الرجل ليس وحده هو الذى يعتز بإرادته . المستقلة وإنما كذلك المرأة أيضا تعتز بحريتها وارادتها فالانسان سواء كان رجلا أو امرأة لاحياة له إذا فقد حريته أوإرادته . غير أن الرجل أكثر عنفا وتعصبا فى تمسكه بحريته وإرادته . ولهذا لاتحولى حياتك مع زوجك إلى محضر تحقيق تسجلين فيه كل صغيرة وكبيرة ولاتجعلى من نفسك محققاً يستجوبه عن كل خطوة أوكل كلمة يقولها أويدلى لك بالاسباب التى جعلته يلتقى بصديقه أو قريبه كل ذلك عوامل تهدم الثقة بينكما وتزلزل أركانها وتنذر بشر مستطير .

إن اسعد الازواج هم هؤلاء الذين يجعلون الثقة المتبادلة بينهما أساساً لحياتهما معا وإذا وجدت الثقة فلاشىء يمنع أن يكون لكل منهما هوايته الخاصة فيما أحل الله وأباح .

وقد تظن بعض الزوجات أن ملاحقة الازواج بالاسئلة ومتابعة حركاته وسكناته عاملا من عوامل المحافظة عليه وسببا من أسباب الاحتفاظ بالزوج وهذا خطأ فادح . فليس من المهم أن تحتفظى بزوجك ولكن الأهم أن يكون هو سعيدا بهذا الاحتفاظ فقد يبقى الرجل مع الزوجة وتدوم العشرة بينهما ولايشعر بسعادة فقد تربطه أسباب آخرى

للبقاء معها غير المحبة والمودة فقد يستمر من أجل أولاده منها مثلا أو من أجل الحفاظ على المظهر العام أمام الناس فيبدو وكأنك تحتفظين به ولكنه فى أعماقه ومشاعره بعيد عنك تماماً فهل هذه هى الحياة الزوجيـــة التى تريدينها مع زوجك ؟

إن كثيراً من المشاكل التى تحدث بين الزوجات والأزواج بسبب إهتمام الزوج بعمله إلى درجة الاستغراق فيجعل كل وقته فى مسئوليات عمله وخاصة الناجحين ومن العجب أن هذا النجاح يكون سببا فى تعاستهم الزوجية وعدم استقرارهم العائلى مع أسرهم ، وإنى أهمس فى أذن هؤلاء الأزواج بحديث رسول الله ﷺ « إن لبدنك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقا وإن لولدك عليك حقا فاعط كل ذى حق حقه » .

كما أهمس فى أذن الزوجات بأن الرجل يسعد عندما يجد زوجته تشاركه المشاعر تجاه مجهوداته فى عمله وتبدى سعادتها بنجاحه فعليك أن تباركى إشتغاله بعمله ومحافظته على مستواه المادى والأدبى فكل ذلك لك ولأولادك ولا يمنع أن تبدى رغبتك فى حنان وهدوء مشوب بالحذر فى أنكما فى حاجة إلى مؤانسة تتبادلان فيها المشاعر والعواطف وإلى لحظات تتركان فيها المسئوليات التى تثقل الكواهل وأى راحة تستظلان فيها بواحة الهدوء والسكون ، بعيداً عن معترك الحياة بهذه المشاعر وبهذه الروح الطيبة تعيشان وتنعمان بلذة الحياة الصافية الهادئة ،

٩ ـ نعم : للغيرة المحمودة

لا : للشك الممقوت

إن الغيرة من الفضائل الدينية الخلقية لا يشك فى ذلك أحد لكنها كغيرها من الفضائل إذا تجاوزت حدها أنقلبت إلى ضدها وأصبحت رذيلة ممقوتة فهى لا تعد من الفضائل إلا إذا التزم بها صاحبها حد الاعتدال ولم يبالغ فيها بحيث لا يكون تفريط ولا إفراط .

والاعتدال فى الغيرة يكون بإجتناب إثم الظن وترك التجسس فيما خفى وفى بواطن الأمور من غير أسباب وتكون بالابتعاد عن الجرى وراء الأخبار المدسوسة من ذوى الأغراض السيئة فى غير تثبيت وتكون أيضا بعدم التغافل عن الأمور التى تخشى غوائلها وتكون سبباً فى الانزلاق الأخلاقى وذريعة من ذرائع الفساد التى يجب المبادرة بإحكام سدها مع معالجة الأمر كله فى روية وإتزان فإذا اكتملت لها هذه المعانى كانت فضيلة حقاً أما إذا أختل شىء من ذلك فإنها تكون خصلة بغيضة وغيرة لم تصب مكانها أو غيرة طائشة وذلك عملا بقول الله تبارك وتعالى (يا أيها الذين أمنوا أجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا) ويقوله عليه الصلاة والسلام (إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة) .

ويقول الإمام على رضى الله عنه (لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك) وجملة القول بأن هذه الغيرة يبتعد بها الرجل عن الشبهات ومقالة السوء فلا يجعل زوجته أو بناته يتعرضن للأذى أو تمتد إليهن يد السوء فلا يكون اختلاط بغير وجود محرم أى اختلاط

مشبوه وهو الذى يكون بين الرجل والمرأة وحدهما كما أخبرنا بذلك النبي ﷺ (ما أجتمع رجل وإمرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما) .

وفى حديث آخر (لا يخلون رجل مع إمرأة إلا ومعه ذو محرم) فلا يجعل زوجته وبناته يتبذلن فى المظهر لدرجة السفور الفاضح الذى يظهر مفا تنهن عملا بقول الله عـز وجل (وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن) هذه هى الغيرة التى يحبها الله وأما الغيرة التى يمقتها الله هى غيرة الرجل على أهله فى غير ريبة وهى الشك من غير سبب وهى التى تسمى الوسواس .

ولقد بين علماء النفس أسباب الشك فى كثير من الأمور منها سوء سلوك الرجل فهو يتصور بسلوكه أن اقتراف الرذيلة أمر سهل ميسور كما كان ميسوراً له فهو يفرط فى الشك ويصل به الأمر إلى أنه يعتريه الشك فى كل إمرأة لا فرق عنده بين عفيفة وخبيثة وبين حافظة وساقطة فكل إمرأة عنده سهلة الوقوع فى المحظور فهذا الرجل ومن على شاكلته شر على نفسه وشر على أسرته وشر على من حوله بل وشر على أمته وقد اختلت فى يده موازين الأخلاق وموازين الحياة الكريمة فعقد رجولته وقعدت به الهمة عن مواجهة الحياة الشريفة ، فهو زوج أنعم الله عليه بزوجة صالحة حافظة للغيب حصينة رذينة لا ترقى إليها ريبة لكنه مصاب بالغيرة المحمومة فيغار عليها من الناس جميعاً ويمنعها أن تزور أو تزار ولا يطيق أن تكون فى بيته نافذة مفتوحة ولا يأمن أن يزورها أحد فى غيبته وهذا ليس من الغيرة الدينية ولا من غيرة الرجولة وليس إلا وسواس شقى به وشقيت به أسرته بسبب مسلكه الشائن ومنها أن يكون قد ارتكب خطيئة مع المرأة التى قد تزوجها — قبل الزواج — فعاش فى شك منها ويصور له وسواسه أن إمرأته سهلة الاصطياد وسريعة الوقوع كما حدث له معها .

فهو قد يصل به الشك أن يطوف بحجرات المنزل عند عودة إليه وينظر فى كل زاوية حتى فيما تحت الأثاث والفراش خشية أن يكون أحد قد تمكن بحيلة من الدخول إلى مسكنه فى غيبته .

ولقد شقى وشقيت معه زوجته بعد أن قتل فى نفسها العزة والكرامة وتعرضت سمعتها للقيل والقال ومنها أن يكون زوجها من الذين تجرفهم مباهج الحضارة والترف فيغشى بزوجته الأندية والمشارب والمراقص ويدفعها إلى التعارف بالكريم واللئيم ويدعها تجامل هذا أو ذاك وتأتى ما لا سبيل إلى إجتنابه ثم تأ كل الغيرة قلبه فإذا ما عادا إلى مأواهما أخذ يحاسبها على هذه النظرة وتلك الحادثة وهاتيك الابتسامة وما إلى ذلك ثم تقوم بينهما قائمة الشقاق الذى قد لا ينتهى ثم يعود إلى ما كان عليه وهكذا دواليك .

ومنها أن يفتح الزوج باب بيته على مصراعيــــه لأصدقائه ومعارفه ولا يتحرز من اجترائهم على منزله فى غيبته حتى إذا ساءت السمعة وأنتنت الرائحة أفاق من غفوته وأخذ يغار ويحتد ويشاقق ويغاضب ومنها أن الزوج يترك الحبل على الغارب فلا يغار على أهله ويدع زوجته الشابة تخالط شباباً مثلها ليلا ونهاراً بحجة التعاون على الأعمال المشتركة حتى إذا وقعت الواقعة قامت قيامته وعصفت بالزوجة وأتت على بنيان الأسرة وكيانها :

ومنها أن تكون الزوجة سبباً فى إثارة شكوكه فتهتم بمظهرها عند خروجها من البيت إلى العمل إلى درجة تجاوز كل حد ولا تهتم بمظهرها أمامه فيوحى ذلك إلى الشك من تصرفاتها وربما تزيد على ذلك بأن تمتنع عنه وتأبى قربه منها وربما أبدت الإعجاب بمظهر بعض زملائها أو معارفها فى المندى والمجتمعات بصورة تستفذ مشاعره فتثير شكوكه .

وقد يظن البعض أن هذه الحالات إفتراضية لم تقع وإنى لأعذر من

تخطر له هذه الخطواطر وأوثق كدله أنها وقعت وحدثت بالفعل ووقف أصحابها بين يدى أكثر من مرة ووقعت من أزواج مثقفين ثقافة عالية وحدثت لزوجات مهذبات كريمات .

وإنى أرى أن علاج هذه الآفة ومانشا عنها أن من أبتليت بزوج مصاب بهذا الداء أن تروضه وأن تسوسه بالحكمة والموعظة الحسنة وألا تنزل إلى مانزل إليه وعليها أن تتحمل وتصبر مادامت ترى أن هذا قد يؤدى إلى الأصلاح والابقاء على كيان الاسرة وإذا كانت ذات ولد فعليها أن تصبر وتصطبر وتصابر ما أستطاعت إلى الصبر سبيلا . فان أقوى الدعائم التى يجب أن تقدم عليها الاسرة هى التضحية بكل شىء فى سبيل خير النسل والولد .

١٠ — حرمة البيوت فى الأسلام

ووجوب الاستئذان قبل الدخول فيها

من الإمور التى تحفظ للأسرة كيانها

لقد انفرد الأسلام دون غيره من سائر ماعرفت البشرية ويعرفون من أديان ومذاهب بشموله وعمقه واستغراقه لكل مواطن الكمال والجمال والجلال ومايدفع بها ويقود إليها ثم حرصه الدوب لجمع الناس على تلك الفضائل فى كل آفاقهم وآنماط حياتهم ومختلف سلوكهم .

وما أهتم الإسلام بشىء قدر اهتمامه ببناء النفس وتربية الحس وتنمية الشعور وما استهدف الإسلام من شىء بعد العقيدة قدر استهدافه صيانة المجتمع وسلامة بنيانه ورعاية لبناته وصيانة حرماته واحترام حدوده والنظر بعين القداسة والاهتمام إلى كل واجباته وحقوقه .

والمتتبع لكل تعاليم الأسلام وتوجيهاته يجدها ترمى إلى هذه الغاية

وتؤكد على تحقيقها لأنه دين فطرى وخالد يعالج الأمور من جوانبها الطبيعية وأسبابها الأساسية التى لايكون العلاج إلا منها . ومن هنا فإنه قد جعل لكل جانب من جوانب الحياة آداباه ولكل أنماطها سياجا ولكل سلوك حدوداً .

ولقد كانت البيوت والمنازل فى طليعة ما أولاه الأسلام عنايته واهتمامه لأنه أراد لهذه البيوت المسلمة أن تكون لها حرمتها وأن تحاط بسياج من الأحـــترام وأن يترفع بها عن كل مايمتهنها أو يسقط حرمتها فأوجب على الداخل إليها أن يلتزم متأ معينا فى دخولها وأن يستحضر الحشمة والوقار فى طرقها وحرم اقتحامها على أهلها أو يتسور جدرانها أو طرق نوافذها مراعاة لظروف ساكنيها واحتراما لأحوالهم التى ربما يدعو تجاهلها لأحراجهم .

ولقد أدب الله أقواما لم يراعوا لبيت رسول الله ﷺ حرمته ونادوا رسول الله من وراء حجراته فى وقت غير مناسب وهو وقت القيلولة ووصفهم بأنهم لايعقلون ، فقال تعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون) وجاء فى التفسير الواضح . ماروى عن زيد ابن الأرقم أنه جاء أناس من العرب إلى النبي ﷺ فقال بعضهم لبعض إنطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وإن يكن ملكا عشنا فى جناحه ثم جاءوا إلى حجرات النبي ﷺ ينادونه . يا محمد . وقد تأذى من ندائهم على هذه الصفة فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقد حكم الله على أكثرهم بعدم العقل لأن بعضهم لم يكن موافقاً على هذه الغلظة والجافاة للأدب .

ولاشك ان هؤلاء يستحقون هذا الوصف لجهلهم بقانون الأدب العام ومايبنغى أن يكون عليه الزائر من آدب الحديث وأختيار الزمان والمكان المناسبين للزيارة ولو أن هؤلاء صبروا حتى يخرج النبي ﷺ

وقد كان فى قيلولة مستريحا — لكان خيرا لهم وأتم لأنه ﷺ ماكان يحتجب عن أصحابه إلا فى أوقات خاصة قليلة ليستريح بعض الوقت ليلا أو فى الظهيرة ...

وهكذا فإن القرآن الكريم لايترك صغيرة ولا كبيرة فى سلوك الإنسان وقضاياه إلا وتناولها بالأجمال أو التفصيل حتى يرسم لنا الطريق الصحيح للسلوك .

ولقد كان أهل يثرب — المدينة المنورة — إذا أراد أحدهم سفراً وخرج من بيته يريد سفره الذى خرج له ثم بدا له بعد خروجه أن يقيم ويدع سفره لايدخل البيت من بابه ولكن يتسوره من قبل ظهره . فنهاهم القرآن عن ذلك فقال تعالى (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) .

وعندما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش رضى الله عنها دعا أصحابه إلى الطعام فطعموا ثم جلسوا يتحدثون وطال جلوسهم عما جعل النبي ﷺ يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك منهم قام فلما قام . قام بعض منهم إلا ثلاثة نفر فتركهم وخرج فلما عاد ﷺ فإذا هم جلوس ثم إنهم قاموا فانطلقوا فلما أخبر النبي ﷺ بقيامهم دخل بيته فأنزل الله تعالى عليه قوله (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبي فيستحى منكم والله لايستحى من الحق ، قال صاحب الظلال فى تفسيره «الآية تتضمن آدابا لم تكن تعرفها الجاهلية فى دخول البيوت حتى بيت رسول ﷺ فقد كان الناس يدخلون البيوت بغير إذن من أصحابها وربما كان هذا الحال أظهر فى بيوت النبي ﷺ بعد أن أصبحت هذه البيوت مهبط الوحى والحكمة وكان بعضهم يجلس بعد الطعام سواء كان قد دعى إليه أو هجم عليه هو دون دعوة ويأخذ فى الحديث والسمر غير شاعر بما يسببه

هذا من إزعاج للنبي ﷺ وأهله — وفى رواية — أن هؤلاء الثلاثة الذين كانوا يسمرون كانوا يفعلون هذا — وعروس النبي ﷺ السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها جالسة ووجهها إلى الحائط .

والنبي صلوات الله وسلامه عليه يستحى أن ينبههم إلى ثقل أفعالهم عنده حياء منه ورغبة فى ألا يؤذى زواره بما يخجلهم حتى تولى الله سبحانه وتعالى الجهر بالحق والله لا يستحى من الحق » ا.هـ.

لقد جاءت هذه الآية بتعاليمها ترشد الناس ألا يدخلوا بيوت بغير إذن فإذا دعوا إلى الطعام أجابوا أما إذا لم يدعوا فلا يدخلون يرتقبون نضجه وفى هذا يقول النبي ﷺ « من دعى فليجب ومن لم يدع فليتجنب » ثم إذا ما اطعموا خرجوا ولا يمكثون بعد الطعام للسمر والأخذ باطراف الحديث .

وبيت الإنسان ربما كان هو المكان الذى يرفع فيه الإنسان عن نفسه الحرج وينشد فيه الراحة فيجد الإنسان نفسه داخل بيته فى حل من أن يفعل مالا يفعله فى مكان عام ...

وربما احتوى البيت على عورات وأسرار لا ينبغى أن يراها أحد . ومن ثم أوجب الإسلام على أتباعه أن يحترموا كل ذلك فلا يتطلع أحد إلى ما بداخل البيت ولا يترك عينه تنظر ولا أذنه تسمع وإنما أعطى الإسلام لأهل البيت الحق فى معاقبة من يتجرد من هذا الادب ليعلم أن بيوت المسلمين مصونة الحرمة وأن التفكير فى اقتحامها تعرض للخطر ومجاوزة تورث الخسران .

فمن أنس رضى الله عنه أن رجلا إطلع على النبي ﷺ ومع النبي ﷺ عود فقال (لو أعلم أنك تنظر لطعنت به فى عينيك أو نحو ذلك) رواه البزار .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ أيما رجل كشف سترا فأدخل بصره قبل أن يؤذن له فقد أتى حداً لا يحل له أن يأتيه ولو أن رجلا فقأ عينه لهدرت ولو أن رجلا مر على باب لا ستر له فرأى عورة فلا خطيئة عليه إنما الخطيئة على أهل البيت رواه أحمد .

وهكذا نجد أن الأسلام نقل الناس من حياة الفوضى والبداوة إلى حياة النظام والحضارة ومن عادات التبذل إلى التألق واعظم من ذلك سرعة إستجابة المسلمين لهـــدى الله وتعاليم رسوله وانسلاخهم من جاهليتهم كلها .

لهذا وغيره فقد أوجب الإسلام على كل مسلم أن يستأذن قبل دخول أى بيت غير بيته وهذا الاستئذان مسبوقا بالسلام ملحوقا بالتلطف الذى من شأنه أن يجعل أهل البيت فى أمن وأمان وتبقى أسرارهم وعوراتهم مستورة فقال تعالى « ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلك خير لكم لعلكم تذكرون »

ومعنى تستأنسوا ماجاء فى سنن ابن ماجة عن أبى أيوب الأنصارى قال قلنا يارسول الله — هذا السلام — فما الاستئناس ؟ قال يتكلم الرجل بتسمية أو تكبيرة أو تحميدة أو يتنحنح ويأذن أهل البيت له .

ومن السنة فى الاستئذان أن يكرر ثلاث مرات ولا يزيد عليها إلا من علم أنه لم يسمع أهل البيت فلا بأس أن يزيد .

وإنما قلنا إن السنة فى الاستئذان ثلاث مرات لايزاد عليها لحديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عندما جاء ليستأذن فى الدخول على عمر فلم يؤذن له فذهب ، فأرسل إليه عمر وقال له مامنعك أن تأتينا ؟

فقال أبو موسى : أتيت . فسلمت على بابك ثلاث مرات فلم ترد على

فرجعت وقد قال رسول الله ﷺ إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » .

وصورة الاستئذان أن يقول : السلام عليكم أأدخل ؟ فإن أذن له دخل وإن أمر بالرجوع إنصرف وإن سكت عنه إستأذن ثلاثاً ثم ينصرف من بعد الثلاث . هذا إن كان الباب مفتوحا أما إن كان مردوداً فله أن يقف منه حيث يشاء ويستأذن وإن شاء دق الباب وصفة الدق أن يكون خفيفاً بحيث يسمع ولا يعنف فى ذلك .

فقد روى أنس بن مالك — رضى الله عنه — قال : كانت أبواب النبى — ﷺ — تقرع بالأظافر ثم لكل قوم فى الاستئذان عرفهم .. فلا بأس أن تكون الأجراس التى تتخذ على البيوت حاليا وسيلة من وسائل الاستئذان وهكذا فإن وقعت العين على العين فالسلام قد تعين ولا تعد الرؤية لصاحب البيت إذناً فى الدخول عليه فإذا قضيت حق السلام لأنك الوارد عليه تقول : أأدخل ؟ فإن أذن لك وإلا رجعت .

وهذه الأحكام كلها إنما هى فى بيت غير بيتك ، أما فى بيتك الذى تسكنه فإن كان فيه أهلك فلا إذن عليهما إلا أنك تسلم إذا دخلت وقال قتاده إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت فإن كان فيه معك أمك أو أختك فقالوا تنحنح أو اضرب برجلك حتى يتنبها لدخولك . فإن الأهل لا حشمة بينك وبينهم أما الأم والأخت فقد تكونان على حالة لا تحب أن تراهما فيها

فقد روى عطاء بن يسار أن رجلا قال للنبى — ﷺ — أأستأذن على أمى ؟ قال نعم ، قال إنى أخدمها ؟ قال استأذن عليها فعاوده ثلاثا قال أتحب أن تراها عريانة ؟ قال لا . قال فاستأذن عليها ، ذكره الطبرانى :

وإن دخل بيت نفسه وليس فيه أحد قال علماؤنا : يقول السلام علينا من ربنا التحيات الطيبات المباركات علينا السلام :

ولقد جاء فى ظلال القرآن تعليقاً على هذه الأحكام « لقد جعل الله البيوت سكناً يفيء إليها الناس وتطمئن نفوسهم على عوراتهم وحرماتهم ويلقون أسباب الحذر والحرص المرهقة للأعصاب والبيوت لاتكون كذلك إلا حين تكون حرما آمناً لايستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم وفى الوقت الذى يريدون وعلى الحالة التى يحبون أن يلقوا عليها الناس ثم قال من أجل هـــذا أدب الله المسلمين بهذا الأدب العالى . أدب الاستئذان على البيوت والسلام على أهلها لإيناسهم وإزالة الوحشة من نفوسهم قبل الدخول عليهم ويعبر عن الاستئذان بالاستئناس وهو تعبير يوحى بلطف الاستئذان ولطف الطريقة التى يجىء بها الطارق فتحدث فى نفوس أهل البيت إنتباها واستعدادا لاستقباله وهى تحية رقيقة لطيفة لرعاية أحوال النفوس وتقدير ظروف الناس فى بيوتهم ومايلابسها من ضرورات لايجوز أن يشق بها أهلها ويحرجوا أمام الطارقين فى ليل أو نهار .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

١١ — الاستئذان من داخل الأسرة — يدعم بناءها

لقد حفظ الله سبحانه وتعالى على البيوت حرمتها وحفظ على الأسرة أسرارها وخصائصها وحرم على من هم خارجون عنها أن يدخلوا عليهم بغير أذنهم .

وشرع الله للأسرة فى داخل بيتها أسمى الخصال وسن لها أدبا عاليا هو أعظم الآداب فليس لكائن من كان من أفراد الأسرة البالغين أن يقطع على الآخر خلوته ولا أن يقف على شيء من خاصة أموره التى يحرص على سترها ولو كان هذا الشخص هو أباه أو امه أو ابنه أو أخته

إلا أن يكون ذلك بإذنه لأن الإسلام يحرص على أن يعمق فى النفوس المعانى السامية فلكل إنسان مايخفيه ولكل امرىء مايخصه ومن حقه أن ينال مايحتاجه من الراحة والهدوء وألا يحول بينه وبين ذلك إنسان مهما قويت الروابط به :

ولذا أوجب على المسئولين فى هذه الأسر أن يؤاخذوا الأطفال وأن يعمقوا فى نفوسهم هذه المعانى فلا يقتحمون على ذويهم الخلوات والحجرات حتى تكون تربيتهم تربية كاملة مهذبة منذ النشأة الأولى وهاهو قول الله تبارك وتعالى يرشدنا إلى ذلك (ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) .

ولعلنا ندرك أن الله عز وجل وجه خطابه فى هذه الآيات للمؤمنين والمؤمنات معاً إلا أن القرآن الكريم ظاهره يخاطب الرجال على علة التغليب كذلك نجد الأمر فى قوله (ليستأذنكم فى ظاهره موجه إلى المملوكين والأطفال وهم غير مكلفين ولكنه فى الحقيقة موجه إلى أرباب الأسر ومن عليهم الرعاية والعناية والمسئولية ، ليرتفعوا بالمستوى الأخلاقى والتربوى للناشئة حتى يشبوا وقد تعلقت فى نفوسهم المعانى الحضارية التربية الإسلامية .

فالله سبحانه وتعالى قد أمرهم بأن يأخذوا الأطفال الصغار والكبار وكذلك المملوكين من العبيد والإماء الذين يقومون بخدمتهم فى بيوتهم

سواء كانوا صغاراً أو كباراً على خصلة الاستئذان على ذويهم وأرباب أسرهم .

وقد بين الله لعباده فيما بين مرات الاستئذان الثلاثة :

الأولى : من قبل صلاة الفجر أى من وقت القيام من المضاجع إلى الشروع فى أداء صلاة الفجر وهى فى العادة وقت التطهر واستبدال ثياب اليقظة بدلا من ثياب النوم إلى غير ذلك من الأمور التى هى من خصائص الإنسان .

والثانى : هو وقت الظهيرة أى القائلة واشتداد الحر وهى فيما جرت به العادة وقت الخلود إلى الراحة والهدوء يخلع فيها المرء ثيابه ويرتدى فيها ثياب النوم .

والثالث : هو مابعد صلاة العشاء حتى القيام من المضاجع والمراد بصلاة العشاء — العشاء الآخرة — التى يلتمس المرء بعدها مكان خلوته ومنامه ولذا بين الله جامت حكمته السر فى هذا الأدب العظيم الذى شرعه لعباده بقوله (ثلاث عورات لكم) والعورة تطلق على كل شىء لاتحب أن ترى عليه وأكد هذا المعنى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى قوله (الطعام والنوم عورتان فاستروهما) ويلحق هذه الأوقات الثلاثة كل وقت يحرص صاحبه على ألا يفاجئه فيه أحد أو يقف من شئونه على مايحرص على كتمانه .

ولو قدر لأى مصلح أومفكر أن يدرس هذه المعانى لأدرك مدى الإحباط الذى يصاب به الطفل عندما يرى أمراً خاصا من أمور أبيه أو أمور أمه الشخصية التى أوجب الله فيها الستر والكتمان وأنها سترسخ فى ذهنه دوما وأبداً وهذا الرسوخ يجعل الصورة المقدسة التى يحتفظ بها الابن لأبويه

مهزوزة غير مستقيمة وهذا من أخطر الأمور التى تؤثر على حسن التربية وحسن المعاملة مستقبلا .

ولقد أعفى الله الصغار من الخدم والاطفال من الاستئذان فى غير هذه الأوقات فرفع الحرج بقوله (بعضكم على بعض) أما البالغون من الأولاد رجالا ونساء ليس لهم أن يدخلوا بغير استئذان سواء كان هذا الدخول فى الاوقات الثلاثة . أو فى غيرها من الاوقات .

والله سبحانه وتعالى لم يشرع هذا الاستئذان إلا لتعميق هذه المعانى حماية للآداب والأخلاق وقد سوى الله عز وجل فى هذه الآداب السامية بين جميع أفراد الأسرة رجالا ونساء سادة ومسودين فقال جل شأنه (بعضكم على بعض) فليس لسيد أن يقتحم على خادمه مكان خلوته وموطن راحته ومستودع سره إلا باذنه وكذلك شأن السيدة مع من تقوم بخدمتها .

هذه هى الآداب العالية السامية التى أمرت شريعة الله باتباعها فى غير إفراط ولا تفريط حتى تكون (أى نحن المسلمين)من أرقى الأمم آدابا وسلوكا ومن خير خلق الله أخلاقا وبهذا تكون الاسرة محتشمة فى سلوكها حضارية فى فكرها إسلامية فى مسيرتها ونشأتها .

١٢ — لا : لانشغال المرأة بالكسب خارج المنزل

لانها من الامور التى تدمر الحياة الزوجية

إن العمل فى مجال إكتساب الرزق يعتبر من الأمور التى لاحرج فيها وهو من المباحات التى لايفرق فيها بين الرجل والمرأة ولكن يأخذ بعد ذلك حكم الحرمة لأنه يترتب عليه أمور محرمة فالمرأة التى تعتاد الخروج للتكسب تفقد قدرتها على التحجب عن الرجال بالقدر الذى يأمر به الشرع الشريف وتشيع بينها وبين الرجال الخلطة الفاحشة .

كما أنه يترتب على ذلك اضطراب واختلال فى الموازين الإجتماعية بسبب مزاحمتها للرجال الأمر الذى يجعل المباح محرما لأن العبرة بالنتائج القريبة أو البعيدة لا بالمظهر ولا بالشكل .

ومن هنا فإن الأديان السماوية وتاريخ البشرية قد أشار إلى تقسيم العمل بين الرجل والمرأة فى الأسرة الواحدة إلى أن الرجل يقوم بإعالة الأسرة ورعايتها وحمايتها والقيام بكل شىء هو شاق وعسير من الخدمات والمطالب التى تحتاج إليها وأناط بالمرأة تربية الأولاد وواجبات البيت والعمل على أن يكون المنزل واحة وارفة الظلال يهنأ فيها الزوج والأولاد بالسعادة والرفاهية فلقد ورد عن أصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال (الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة — إن نظر إليها زوجها سرته وإن أمرها أطاعته وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله) ولاشك أن قرار المرأة فى بيتها فيه إرضاء لربها والتزام بروح دينها وراحة لنفس زوجها واستجابة لأمر خالقها الذى يقول (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) ولذا يجد بنا أن تدرس تفاصيل هذه القضية دراسة موضوعية تزيل عنا الزيغ وتصل بنا إلى الحق المبين .

أولا : طبيعة المرأة التى خلقت من أجلها :

إن الإسلام عندما أشرق فجره على الدنيا رفع من مكانة المرأة بالنسبة للاحوال التى كانت سائدة فى العالم حينذاك وأنه أعطاها حريتها وكفل لها شخصيتها المستقلة وحفظ لها كرامتها وجعل الرجل والمرأة فى الحياة يكمل كل منهما الآخر وأنهما ليسا متضادان وإنما هما متساندان ومتعاونان وإن أى خلل فى هذا التعاون والتساند هو الذى يوجد الشقاء للمجتمع والتعاسة للأسر وإذا نظرنا إلى تكوين المرأة نجدها أنها تختلف عن الرجل تكوينا وخلقا لان لكل منهما رسالة تختلف فى أدائها عن الآخر فالرجل خلق قويا مفتول الزراعيين يتحمل مشاق الحياة بما أودع الله فيه من قوة بأس وبما وصفه الله من تحمل الاعباء قال الله تعالى فى قصة آدم عليه السلام (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أى أنه جعل الشقاء فى الحياة على آدم دون حواء .

ولقد حدد الله المهمة الأساسية للمرأة فى قوله تعالى (هو الذى جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) فبين سبحانه وتعالى أن السكن هو المهمة الأساسية للمرأة فى الحياة فإذا فقدت المرأة مهمتها ضاع السكن الذى هو الأمن والأمان للرجل وفقدت الاسرة معه الاستقرار والسلام ثم هى بعد ذلك مستعدة للقيام بأعباء الحمل والولادة التى عبر عنها القرآن الكريم بقوله (حملته أمه وهنا على وهن) توضيحا وبيانا : للمشقة البالغة والمتاعب التى تعانيها أثناء حملها فهى فى مراحل عدة من المشقة لانها تتدرج من مرحلة الوحم فى البداية أثناء الحمل إلى مرحلة أخرى من مراحله وفى كل مرحلة تمر بعوارض ومشقات متباينة بالإضافة إلى ماتعانيه عند الولادة من أخطار جسيمة قد تودى بحياتها (ووضعته كرها) ثم ماتقوم به من رعاية وحنان لطفلها الذى قد يؤرقها ليلا ويقلل من راحتها نهارا وهى سعيدة بذلك كل السعادة

ذلك لانها بطبيعة تغلب عليها العاطفة وهذه ميزة تناسبها وتناسب مهمتها فى الحياة لأنه ينبغى عليها أن تعطى من الحنان لطفلها جرعة أكثر من التفكير العقلى فهى التى تمسح الدموع وتضع الابتسامة فوق الشفاه وهى التى تزيل تعب زوجها وشقاءه طوال اليوم وتبعث الأمل فى نفوس أولادها ولا يتم هذا إلا بالعاطفة والحنان ثم هى مرضعة لأطفالها ليكون لها الحنو الكامل على رضيعها ولقد أوضحت آيات القرآن الكريم هـــذه المهمة فى قوله عز وجل (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) ولقد ادرك العالم مكرها الفائدة العظيمة التى تعود على الطفل إذا رضع لبن أمه بعدان بهرتنا ابواق الدعاية عن ألبان الاطفال التى تنتجها الشركات الصناعية وأدركنا الحقيقة الإلهية التى دعانا إليها القرآن الكريم وأيدتها الأبحاث الطبية والحقائق العلمية التى تقرر أن الطفل لا ينشأ سويا إلا إذا رضع من لبن أمه حولين كاملين كما أشار الله إلى ذلك . وقد يكابر مكابر ويقول إن دور الحضانة المنشرة قد حلت هذه المشكلة وأن المرأة يمكنها أن تترك أطفالها فى رعاية المشرفات فى دور الحضانة وهن متفقات وعلى وعى كبير بتربية الأطفال — وهنا ننقل — ردا لفضيلة الشيخ الشعراوى إذ يقول (ان هذا الكلام لا يتفق مع الواقع فلا توجد امرأة تستطيع أن تعطى حنانها واهتمامها لمائة طفل وذلك أنها إذا أعطت هذا الحنان والاهتمام لطفلين أو ثلاثة فإنها ستهمل بقية الأطفال فضلا عن أن للأم عاطفة طبيعية وضع الله سبحانه وتعالى فيها من مقومات الرعاية والحب والاهتمام ما يحتاجه الطفل .

ولا يمكن لأى إمرأة أن تعطى لأطفال غيرها نفس الحنان الذى تعطيه لاولادها ومن هنا فإنه مهما ارتقت مشرفة الحضانة فإنها لا تستطيع أن تعطى الطفل حنان أمه فهو ينشأ قاسيا عليها فاقد الاحساس بالانتماء ، إليها — ثم هى بعد ذلك راعية لشئون بيتها من إعداد لفرشه وتهيئة

لأسباب الراحة فيه من نظافته وترتيب قواعده وإعداد الطعام لأفراده فى كل وقت وإعداد الملابس من غسل ونظافة إلى غير ذلك من الأعباء الجسام لانها راعية ومسئولة فى بيتها كما جاء فى الحديث الشريف (المرأة راعية ومسئولة فى بيتها) ولذا فإن رسالة المرأة فى بيتها لا تقل أهمية وخطورة عن عملها خارج منزلها .

ولا ينبغى أن تعتبر المرأة المتفرغة لشئون المنزل ولشئون زوجها وأسرتها بعيدة عن العمل وخالية منه بل هى الجندى المجهول الذى يعطى ويحمل ويلد ويربى ويضحى لرعيل قادم للحياة السعادة البشرية وخيرها وحتى تبقى البشرية ما شاء الله لها أن تبقى .

يقول صاحب الظلال الإمام سيد قطب رحمه الله (ولكى يهيء الأسلام للبيت جوه ويهيء للفرخ الناشئة فيه رعايتها أوجب على الرجل النفقة وجعلها فريضة كى يتاح للأم من الجهد ومن الوقت ومن هدوء البال ما تشرف به على الفراخ الزغب وما تهيء به للمملكة المنزلية نظامها وعطرها وبشاشتها حتى أن الأم المرهقة بالعمل والمكدودة بمقتضياته والمقيدة بمواعيده والتى تشتت طاقتها وتبعثر قدرتها لا يمكنها أن تحقق للبيت هدوءه ولا يمكنها أن تمنح الطفولة الناشئة فيه حقها ورعايتها ا . ه .

ولقد قال إمامنا الشعراوى رضى الله عنه فى هذا السبيل(وفضلا عن هذا كله نكون قد حملنا المرأة فوق طاقتها لأنها مكلفة بأعباء البيت من طعام ورعاية وغير ذلك) واخيرا فإنى أقول إن خروج المرأة للعمل من العوامل الأساسية فى تدمير الحياة الأسرية وهو كارثة على البيت تصيبه فى مقتل فإذا كانت الضروريات قد تبيحه فى بعض الأحيان فإنه لا ينبغى أن يجعله الناس عادة مألوفة لا يمكن أن يتجنبوها فتلك طامة كبرى قد إصابت القلوب والعقول وضل الناس بذلك سواء السبيل .

١٣ — نعم : للعمل المناسب للمرأة :

يقول الله تعالى (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها . وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا .) .

يقول صاحب الظلال فى تفسير هذه الآية (فمثل من ينقض العهد مثل امرأة حمقاء ملتاثة ضعيفة العزم والرأى تفتل غزلها ثم تنقضه وتتركه مرة أخرى نطاا مفكوكة ومحلولة وكل جزئية من جزئيات التشبيه تشير بالتحقير والتعجيب وتشوه الامر فى النفوس وتقبحه فى القلوب وهو المقصود .

والعلماء يستنبطون من هذا النص جواز عمل المرأة فى الغزل وقياسا عليه لكل عمل شريف مناسب للمرأة كخياطة الثياب وأعمال الإبرة والتريكو والعمل على ماكينة الخياطة وتفصيل الملابس الجاهزة وأعمال التمريض والطب فيما يخص النساء والانشغال بالتعليم والتدريس والقيام بأى حرفة أو مهنة أو أى عمل مشروع مادام ذلك مناسبا للمرأة — وإذا كان الأشتغال فى هذه الأعمال خارج منزلها لضرورة فيجب أن تخرج إلى العمل فى ثياب سائرة ملتزمة الجد والحياء والادب الإسلامى وأن تعود إلى بيتها فور انتهاء العمل وأن تضع فى اعتبارها أن خروجها هذا للضرورة الملحه وأنه عند إنتهاء هذه الضرورة عادت للقرار إلى بيتها ولقد بين الله سبحانه وتعالى أن خروج إبنتى شعيب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام — لسقى الغنم كان لضرورة ملحة وأنهما راعيا الآداب الدينية فحكى الله عنهما فى قوله (قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير) فأوضحتا علة الخروج وهى كبر والدهما وبلوغه سن الشيخوخة التى لا يستطيع معها أن يقوى عــــلى غنمه بالسقى والرعى ثم بينتا أنهما لا يزاحمان الرجال

فى السقى وإنما ينتظران حتى ينتهى الرجال من سقى أغنامهم ثم هما يقومان بعد ذلك بسقى أغنامهما وقدراعيا الضرورة للخروج للعمل وراعيا آداب الخروج بعدم المزاحمة للرجال .

ولقد جاء فى كتاب المرأة بين البيت والمجتمع) للأستاذ البهى الخولى (إن الدين لايحرم على المرأة أن تعمل ولكن يحرم عليها أن تهجرميدانها الطبيعى بدون عذر وهو ميدان لايجدى فيه سواها إلى ميدان يعمره الرجل بكل كفاءة ومقدرة حيث لاحاجة إليها فلا تغشى المرأة ميدان العمل العام — ولكن عند الضرورات التى يكون عملها فيه أجدى على الأمة من بقائها فى ميدانها الطبيعى — أما التقاليد السخيف دون مراعاة الطبائع الموجودة للأشياء فتفاهة ونكسة لا ترضاه للمرأة أيا كانت مسلمة أو غير مسلمة ، وقد عدد الأستاذ البهى الخولى الأخطار الناتجة من عمل المرأة سكرتيرة وبائعة وجالسة إلى كيس النقود وتعرض جمالها كسلعة إلى جانب السلع لقاء اللقمة التى تقيم أودها ثم تعمل عارضة أزياء بشرط أن تكون المسكينة بارعة القوام رشيقة القد رائعة الحسن فاتنة الملامح لتفيض من جمالها على ما ألبسوها من الملابس ولتعرضه أحسن العرض أمام زائرى المتجر على مايريدون مقبلة ومدبرة غادية أو رائحة أهذا خلق الإنسان أو هذه هى قيمته فى حضارة المادة ووثنية المال ؟ أو هذا هو مايراد لنا أن نقلده ؟ ا . هـ .

إن المرأة فى بيتها تضع للطفل رجولته وخلقه للعمل الناجح فمن يمنحه ذلك إذا تركته للخدم أولسواهم ومضت إلى عملها فى الخارج ؟ وأقول إن المرأة العائدة من عملها فى وقت القيلولة وزوجها قد عاد فى ذات الميعاد فمن الذى يسكن إلى الآخر ؟ أيحق للزوج المكدود أن يطلب من زوجته المكدودة والمنهكة أن تناوله كوبا من الماء ؟ ليس من حقه ذلك لأنها منهوكة مثله ، وهل تستطيع الزوجة التى هذا حالها أن تقوم على إعداد الطعام [illegible] من الزوجين أن يستأنس

بصاحبه استئناسا يشيع السعادة فى نفس كل منهما؟ إن المرأة فى بيتها مصدر روحى وإشعاع الرحمة والمودة على زوجها كما جاء فى القرآن الكريم (وهو الذى جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وهى بهذه المكانة المهاد الذى يلقى فيه الحنان والسكينة واللطف والدعة، فمن له إذا خرجت أول النهار وعادت آخره مثله متعبة مهدودة القوى ضعيفة النفس بما لقيت من عناء يومها .

١٤ — نعم للدعوة إلى عودة المرأة إلى بيتها

لقد ارتفعت أصوات حرة شريفة تدعو المجتمعات إلى تصحيح أخطائها وتصويب مسارها فيما يتعلق بقضية عمل المرأة ونادت بعودة المرأة إلى بيتها ولقد أشار كتاب المرأة فى الإسلام بين الماضى والحاضر) للدكتور عبد الله شحاته إلى كثير من هذه النداءات استناداً إلى مصادر كثيرة منها ماجاء فى كتاب الحركة النسائية فى الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية للأستاذ محمد فهمى عبد الوهاب تقول الباحثة الأمريكية المشهورة الدكتورة إيدلين «إن تدهور الأخلاق فى أمريكا راجع إلى ترك المرأة بيتها واشتغالها بالحياة العامة .

وإن عودة المرأة إلى نظام الحريم هى الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الخلقى الذى يسير فيه» .

وجاء فى الكتاب أيضاً «وقد نشرت أخبار اليوم بعددها الصادر فى ١٩٧٧/٥/٢ عن مراسلها فى جنيف الأستاذ جلال عيسى ما يأتى «أكد خبراء طب الصناعات أن العمل يضعف من أنوثة المرأة وقالوا إنه لايشترط أن يكون العمل شاقا بل إن الأعمال المكتبية والذهنية وتحمل المسئولية لها نفس التأثير .

وقد ثبت علميا أن الرجل أشد تحملا من المرأة بالنسبة لبعض الأعمال خصوصاً الثقيلة منها مثل الوقوف أمام الأفران الساخنة وصهر المعادن

كما ثبت أن ذبذبات الأطراف الناتجة عن عمليات تخريم المعادن قد تؤدى إلى كثير من الأمراض المفصلية للمرأة »

« إن ماتعانيه المرأة العاملة من متاعب نفسية أثناء العمل ينعكس على حياة الأسرة والعمل يؤثر على الرغبة الجنسية لدى المرأة وأن هناك شيئا أهم هو الخصوبة التى تعد حقا للمرأة العاملة من سن الخامسة عشر إلى سن الخامسة والأربعين من مسخ للأجنة والتى تزداد المعرفة لها عاما بعد عام .

وجاء فى الكتاب (المرأة فى الإسلام) أنه فى عام ١٩٧٧ اقترح السيد/ سعد الدين الشريف عضو مجلس الشعب المصرى - آنذاك - إعطاء أجازة للمرأة العاملة بنصف المرتب حتى تتفرغ لتربية أبنائها وأحدث هذا الاقتراح دوياً وصدى فى كل بيت وفى كل موقع عمل فى مصر وتقدمت مجلة آخر ساعة الصادرة فى القاهرة بتاريخ ١٩٧٧/٦/٩ إلى صاحب الاقتراح تطلب منه توضيح فكرته فأطلع المجلة على خطابات التأييد التى وصلت من جميع أنحاء الجمهورية وقال الأستاذ سعد الدين الشريف إن رسالة المرأة هى الأمومة والأمومة معناها شامل واسع ولا يعنى بها الإنجاب فقط إنها التربية الشاملة التى تحقق المواطن الصالح وكيف يكتسب الولد القيم والمبادىء فى ظل ما تلاقيه الأم من معاناتها ؟ وعدم تواجدها بصفة مستمرة أمامه .

وإذا تواجدت معه فهل هى بطاقتها ؟ - أى قدرتها - أم أن الأعباء الملقاة على كاهلها تفوت فرصتها فى التربية .

وذكر الكتاب أن جريدة الأخبار المصرية نشرت بتاريخ ١٩٧٧/٦/١٩ مقالا تحت عنوان (وظيفة المرأة بين نظرة الإسلام ونظرة الغرب) جاء فيه: بين المرأة والرجل فروق واضحة فى التكوين البيولوجى والنفسى مما يدل على أن لكل منهما وظيفة فى الحياة وإن كانت وظيفة كل منها متممة للآخر .

ولذلك فلا مناص من أن تحسب هذه الاختلافات فى عالمنا المتمدين .

أليس من العجب أن برامج تعلم الفتيات لا تشتمل بصفة أساسية على أى دراسة مستفيضة للصغار والأطفال وصفاتهم الفسيولوجية والعقلية .

وقد أثبتت التجارب العلمية أن أى جهاز غير جهاز الاسرة لا يعوض عنها ولا يخدم أفراده وخاصة المحاضن الجماعية التى أصبحت بديلا عن نظام الاسرة بسبب عمل الامهات ، ففى هذه تضحية بالصحة النفسية لأغلى زخيرة على وجه الارض وهم الاطفال .

كذلك ذكر صاحب الكتاب الدكتور عبد الله شحاتة أن إحدى المجلات فى باريس قامت باستفتاء لفتيات فرنسيات من جميع الاعمار والمستويات الاجتماعية والثقافية شمل نحو مليون فتاة تسألهم عن رأيهم فى الزواج ولزوم البيت .

وكانت الإجابة لـ ٩٠٪ منهن بنعم وكان عنوان المجلة لهذا الاستفتاء « وداعا ياعصر الحرية والمساواة وأهلا بعصر الحريم .... » .

ويقول الدكتور محمد البوطى فى كتابه (إلى كل فتاة تؤمن بالله) ويتلاقى المصلحون على أن الضمانة الكبرى لبقاء الأمور على منهجها السوى هى ألا تنزل المرأة إلى ميدان العمل من أجل الرزق إلا فى أضيق الظروف والحالات الضرورية لأن المرأة عندما تشترك مع الرجل وتنافسه فى كسب المال وجمعه إنما تضيق على الرجل فتضطرب بذلك الصلة بين التزاماته المادية ومجالاته الكسبية بسبب ضيق الثانيه وبقاء الأولى على ماهى عليه» .

وبعد فإنى أضم صوتى مع تلك الأصوات الغيورة على مستقبل مجتمعها والحريصة على سلامة أمتها وأطالب بوضع خطة إعلامية توضح للمرأة أن مهمتها الأساسية فى الحفاظ على بيتها وسلامة أسرتها فتحسن تبعل زوجها وتعطى الأمومة كاملة لأطفالها شباب الغد وحماة المستقبل ، وأن تتضافر جميع الأجهزة الأعلامية فى القيام بهذا العمل الشريف لتعود الأم إلى أولادها والزوجة إلى زوجها لتعمر البيوت وترفرف فيها السعادة وتظهر فيها حركة الحياة .

١٥ ـ الأعلام المصرى عامل من عوامل هدم كيان الأسرة المسلمة

إن تاريخ المرأة المسلمة مرتبط بتاريخ الاسلام فكلما عظم شأن الأسلام عظم شأن المرأة وكلما هان شأن الأسلام هان شأن المرأة فلقد كان للمرأة فى صدر الأسلام، رأى وفكر ومشاركة وإذا قلبنا صفحات تاريخنا نجد الصفحات الناصعة فى تاريخ المــرأة المسلمةمن سلوك مهذب وقدوة حسنة وتربية للبطولات التى اهتزت لها الدنيا مما يجعلها نموذجا حيا يحتذى به ومظهراً محتشما ومخبرا نظيفا .

ولما وقعت الأمة الأسلامية تحت قبضة الأستعمار الغربى الذى يستهدف قطع الصلة بين حاضر الأمة الإسلامية وماضيها ، فنشطت حملات التبشير فى محاولة لجذب المرأة المسلمة واستمالتها إلى تقليد أوربا لتتخلى عن سلوكها الإسلامى .

فكان للسينما دور بارز فى رسم الطــريق إلى الأنزلاق نحو تقليد الأبطال والبطلات فى الروايات والأفلام السينمائية .

وأصبح الأعلام الذى يقدم عن طريق الإذاعة والصحافة والسينما والمسرح يشد انتباه الجمهور ويفتح عين الفتاة على السفور والسيطرة على فكرها حتى يستطيع أن يحول الأفكار إلى فكر الغرب وتقاليده .

ولقد حدث فى هذه الفترة التى كانت فى النصف الأول من القرن الماضى أن عرض كثير من الأفلام والمسرحيات المخلة بالآداب والشرف لكنها كانت توضع فى قالب يأخذ بالألباب والقلوب .

وذلك تحت دعوى التحرر ونبذ التقاليد البالية والتى تسير فى مخططها إلى الآن .

فما زلنا نرى فتاة شابة فى سن المراهقة تغامر بشرفها تحت دعوى الحب ودائما ينتصر المؤلف والمخرج لقضية الحب ، الأمر الذى يجعل التهاون فى أمر الشرف والعرض سهـــلا وميسورا لأن فى النهاية سينتصر الحب .

وتحدث مهزلة أخرى فى تصوير امرأة راقصة ساقطة بدعوى الفن وتقدم رقصاتها المخلة للآداب وتصفها أجهزة الأعلام مطربة وترفعها إلى مصاف الكبار من أرباب الفن حتى أنهم يعتبرون إحداهن ثروة قومية عندما تقرر علاج إحدى الراقصات على نفقة الدولة المنهوكة بديونها .

وتصور أجهزة الأعلام فى أفلامها صورة المرأة العصرية التى تأبى الخضوع لأوامر زوجها وإعلان العصيان عليه لترضى غرورها وكبرياءها وتكون بذلك خدمت قضية المرأة المصرية إلى غير ذلك من المآسى التى تأتى على كل قيم الأسرة المسلمة .

وإذا نظرت إلى الصحافة النسائية قديما وحديثا فلا تجد لها اهتماما إلا بالأزياء وأنواع العطور وأنواع التسريحات والمكياج الصباحى والمسائى وملابس البلاج دون أن تجد فى العرض زيا اسلاميا .

ثم تجد أبوابا لجراح القلوب فهذه تحب فلانا وهذه لاتحب زوجها وأخرى متزوجة وقعت فى حب صديق العائلة .

ثم نجد مجالا آخر للقصة وهى لاتخرج عن قضية الحب فنجد امرأة أحبت رجلا كان قد أحب شابة أحبت شابا غيره .

ونجد فى الصحافة النسائية عرضا لأحدث البضائع المستوردة فهذه الشنطة ثمنها كذا فى محل كذا ، وهذا الحذاء فى محل كذا ثم قسم آخر

فى الصحافة النسائية للتجميل وكيف تطلى الأظافر وكيف يسرح الشعر وكيف يدهن الوجه وكيف وكيف ... إلخ .

وهكذا نجد المرأة المسلمة قد انشغلت بمثل هذه الأمور وأخذت تلهث وراء الثياب والتجميل وتصفيف الشعر واستعراض المظهر .

ومن هذه النافذة زين للمرأة المسلمة فيما زين أن تزاحم المرأة الغربية فى كل ميدان بدعوى المساواة وأن تشارك الرجل فى كل جهد بدعوى وحدة الطاقة والقدرة وأن تلج كل ركن بدعوى الحرية والتقدم والانطلاق .

وهكذا فإننا نجد الإعلام المصرى من سينما وتلفزيون وإذاعة وصحافة قد ساهم مساهمة كبيرة فى تفتيت أواصر الأسرة بما تصور لها من أعمال زائفة هى فى الحقيقة ضالة مضلة على أمور فاضلة .

فالأب الذى يحافظ على تقاليده ويتمسك بآداب دينه يصور على أنه رجل غليظ القلب ومتسلط متعجرف لانه وقف ضد رغبة إبنته فى الحب بشكل يجعل المتفرج متعاطفا مع البنت الشاردة.

وتصور المرأة التى تخون زوجها فى غفلة منه لتلتقى بحبيبها بأنها مظلومة فى نصيبها الذى أعطاه لها القدر حيث أنها لاتحبه، وتصور الشاب الذى يغرر بصديقته التى وثقت به وأحبته فيسلبها شرفها ثم تجرى الاحداث لصالح الحب .

وهكذا تشير الأحداث وتجرى الامور لصالح التحرر والإباحية بدعوى التحضر والتمدين وتكون النتيجة إنهيار كامل للمفاهيم الاسلامية والتقاليد الشرقية وانغماس فى أفكار هدامة لاتبقى ولا تذر للقيم والسلوك الإسلامى أى أثر .

١٦ ـ لا للتبرج لأنه سبب من أسباب إنهيار الأسرة

التبرج هو تكشف المرأة للرجال بإظهار زينتها ومحاسنها لتلفت الأنظار إليها والزينة هو ما تتخذه المرأة لتحسين خلقها ومواضع فتنتها الظاهرة والباطنة، أما مواضع الزينة الظاهرة فهى الوجه واليدان إلى نصف الذراع وهذه، لاحرج فى إبدائها وإظهار ما فيها من الزينة سواء كان ذلك داخل البيت أو خارجه مالم يكن ذلك على سبيل التبرج ولفت الأنظار وأما مواضع الزينة الباطنة فهى ماعدا ذلك كالرؤوس والأعناق والصدور وهذه لايجوز إبداؤها ولا إبداء الزينة فيها لا من الشابة ولا من المسنة إلا للمحارم كما قرر ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى (وقل للمؤمنات يغضض من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخوانهن أو بنى أخوانهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن الآية).

وقد قيل لعائشة رضى الله عنها يا أم المؤمنين ما تقولين فى الخضاب والصباغ والقرطين والخلفان وخاتم الذهب ورقاق الثياب فقالت يامعشر النساء قصتكن قصة أمراة واحدة أحل الله لكن الزينة غير متبرجات لمن لا يحل لكن أن يروا منكن محرما).

ولقد ضل كثير من الذين يجعلون من أنفسهم رجال فكر ومعاصرة عندما يخلطون بين الحرية وبين التبرج ويطلقون عليه اسم الحرية الشخصية ولا يصل إلى تفكيرهم بأنه لا يوجد فى أى مجتمع من المجتمعات حرية شخصية مطلقة لأن الإنسان الذى يؤذى جيرانه بدعوى الحرية ويتعدى على أفراد أمته ومجتمعه فهو أخرق لا عقل له ولا فكر لأنه لا يستطيع إنسان أن يخلع ملابسه فى الطريق العام بدعوى الحرية ولأنه

يستمع إلى المذياع بصوت مرتفع يزعج جيرانه ولا يستطيع أن يصلح من شأن بيته فى وقت يرتاح فيه الناس إلى غير ذلك من آلاف الأمثلة فإذا كان ذلك غير ممكن فى منهج البشر فكيف بمنهج الله فى الأرض .

فالتبرج نوع من الفوضى والخلط بين الحرية المطلقة التى لا يمكن تحقيقها فى عالم الإنسان وبين الحرية النسبية المنظمة لحياة الناس ولا تتعارض مع مصالحهم .

إن الهدف من الحشمة هو صيانة المجتمع كله من الفتنه وصيانة لاستقراره وأمنه وحفظ للمرأة من التبذل والاستهتار الأمر الذى يؤدى بزوجها وقد خرج من بيته ولا نعلم إن كان سيعود إليها أو يتعلق بامرأة أخرى متبرجة فيتزوجها فالله عز وجل قد وضع من القواعد والضوابط مايحافظ على المرأة وعلى الرجل ويمنعهما من الوقوع فى الفتنة حتى تستقر الأسرة وتسعد بالأمن والأمان وحرم كل شيء يمكن أن يكون فيه فتنة من إمرأة لرجل غريب عنها .

وليس هذا تقييداً للحرية الشخصية للمرأة كما يدعى البعض ولكنه فى الحقيقة حماية لها ولقد قال إمامنا الشعراوى رضى الله عنه فى هذا المجال ، لو أن الله سبحانه وتعالى لم يفرض الحجاب لكان على المرأة أن تطالب به لأنه أكبر تأمين لها ولحياتها ذلك أن نضارة المرأة موقوتة وفترة جمالها لو حسبناها فان تزيد على خمسة عشر عاما ثم بعد ذلك تبدأ فى الذبول ، ثم يقول رضى الله عنه هب أن أمرأة بدأت فى الذبول وزوجها ما زال محتفظا بنضارته قادراً على الزواج وخرج إلى الشارع ووجد فتاة فى مقتبل العمر وفى أتم نضارة وقد كشفت عن زينتها ، ماذا سيحدث ؟

إما أن يفتتن بهذه الفتاة ويترك زوجته ويتزوجها وإما أنه عندما يعود إلى المنزل يلحظ الفرق الكبير بين أمرأته وهذه الفتاة فيزهد فى زوجته ويبدأ فى الانصراف عنها » .

ومع هـــذه الوقائع التى نراها رأى العين والتى تجرها جريمة التبرج والسفور من هدم لكيان الأسرة وتشتيت لأفرادها وكثيرا ما يعصف الشك القاتل الذى يسببه الابتذال فى أظهار الزينة والمفاتن بالبيوت العامرة ، ويبدل أمنها فزعا ورعبا وسعادتها شقاء وبؤسا .

وللأسف فان كثيرا من النساء إستجابت لدعوى الشيطان وتبرجت بزينتها فى الأندية وفى المتاجر والمكاتب والملاهى وفى الطرقات وأصبح السفور والتبرج من أفتك الآفات الاجتماعية بل هو جرثومة الفساد وأوسع أبواب الشر التى يندفع منها الشباب وهم ثائروا الغرائز وينزلقون فيها نحو مزالق الفتنة والأغراء وإلى هـــذه المفاسد والشرور يشير قول المصطفى ﷺ (ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء) وأعجب أكثر عندما نجد الواحدة منهن قد أحاطت بها الأقاويل ولاكتها الألسن فى السر وفى العلن وتحيط بها الشكوك والتهم ولا أجر لها لحديث رسول الله ﷺ (من وضع نفسه فى موضع التهمة أتهم ولا أجر له) ولقد ذكر رسول الله ﷺ (صنفين من أهل النار ، فبعد أن بين أحدهما قال (ونساء عاريات كاسيات مميلات مائلات على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها) .

وانما جعلهن عليه الصلاة والسلام كاسيات لانهن يلبسنى ما يسمى بالثياب ووصفهن بأنهن عاريات لأن ثيابهن رقت والتصقت حتى وصفت أجسامهن وبدت مفاتنهن المثيرة فهن كالعاريات وهن أيضا عاريات من لباس التقوى ، ولا يتقين الله فى دين ولا فى خلق ولا يتقين الله فى أسرة ولا فى قوم ولا فى عشيرة فبئست العاريات مربيات ومصلحات وبئس القوامون عليهن رجالا لا يتذوقون طعما للمروءه ولا يقيمون وزنا للشهامة والكرامة .

١٧ — الأصابع الآثمة التي جعلت المرأة تتمرد على تعاليم دينها :

لقد كانت هناك مؤامرات حاكتها يد الآثم والبغي وراء الحركات النسائية فى مجتمع الإسلام حاولت أن تبتعد بالمـــرأة المسلمة عن الزى الإسلامى العف وأن ترفع عنها الحجاب وتدعوها إلى التبرج والسفور بدعوى التحرر من سلطان الرجال والخروج من القيود التى وضعها التشريع الإسلامى محافظة على المرأة وصيانة لها كالشىء الثمين الذى يخشى عليه من الغبار والتلوث وزينت لها الاستقلال فى العمل لتكون نداً للرجل وحتى لا تكون فى حاجة إليه .

ففى أثناء الحرب العالمية الأولى صدرت فى مصر أول مجلة نسائية صاحبها « عبد الحميد حمدى » تسمى « السفور » .

وقد قامت هذه المجلة بالدعوة الصريحة إلى نبذ الحجاب وترك النقاب التى كانت تتحلى به المرأة المسلمة وأخذت هذه المجلة على عاتقها الدعوة إلى ترك الآداب الإسلامية ونبذ التقاليد التى نشأت فيها المرأة المسلمة وتربت بين أحضانها .

وكانت هذه المجلة هى أول معول يهدم بنيان الفضيلة فى مجتمع الشرق الإسلامى ثم نشأ بعد ذلك أول تنظيم نسائى كان هدفه هو غرس تقاليد الغرب فى نفوس النساء حتى يأخذن بالتقاليد الأوربية تحت دعوى المدنية والتجديد .

ومن خلال هذا الاتحاد نشأ حزب بنت النيل سنة ١٩٤٩ الذى كان من أهدافه التى أعلنتها الدكتورة درية شفيق منح المرأة حق الاقتراع وحق دخول البرلمان وإلغاء تعدد الزوجات وإدخال قوانين الطلاق الأوربية فى مصر والمساواة بين الرجل والمرأة فى الميراث وفى الشهادة .

ولقد ظهر فى هذه الآونة كتاب (المرأة والعمل) للسيدة نبوية موسى تحض على عمل المرأة وتقول فيه :

« إن الإنسان حيوان يجب أن ينطبق عليه ما ينطبق على الحيوانات الأخرى من قوانين الطبيعة العامة كالتناسل ثم الحياة ثم الذبول فالفناء ولم يختلف الذكر فى كل الحيوانات عن أنثاه إلا فى مسألة التناسل . فإن صح أن القط يختلف فى مواهبه الفطرية عن القطة يصح أن يكون هناك إختلاف بين الرجل والمرأة من جهة المواهب الفعلية والعادات على أنه لم يقرر أحد من علماء الطبيعة أن القط يحب اللعب والقفز ويفترس الفئران وأن القطة عاقلة رزينة لا تؤذى فأراً ولا تسرق لحما بل القطط اتصفت بصفات واحدة .

كما لم يقل أحد من الناس إن الكلب أمين وإن الكلبة خائنة غبية مع أن كلا من القط والكلب أقوى عضلا وأكبر جسما من أنثاه ولكنه لم يختلف عنها فى الواجب والعادات ولست أريد أن أقرر فيها كالرجال بل أريد أن أقول إن المرأة والرجل شىء واحد كباقى الحيوانات التى اعترف بها علماء الطبيعة إنها يتساوى فيها الذكر بالأنثى .

ولم يقل أحد منهم إن الفأر لشدة قوته عن الفأرة قد خلق لأن يكون القيم عليها فى معاشها .

بل الحقيقة أنها تعيش مثله وهى متساوية معه كذلك الحال فى الرجل والمرأة . فالقول بأن الطبيعة أعدت المرأة للمنزل لضعفها عن الرجل قول لا صحة له . وإلا فماذا تقول عن النعجة وهى مع ضعفها عن الخروف وتعيش مثله .

ويقول الدكتور عبد الله شحاته فى كتابه المـــرأة فى الإسلام ، رداً على إفتراءات هذه الكاتبة الماجنة .

«إن الإنسان كرمه الله وفضله على خلقه وسخر له الكون كله بكل ما فيه ووضع نظاماً خاصاً به ووزع الأدوار وهو الحكيم العليم وفى نصوص القرآن الكريم (الرجال قوامون عـــلى النساء) وأيضا قوله تعالى (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) فإذا كرم الله الإنسان فمن المغالطة أن توزع أدوار الرجل والأنثى بين بنى الإنسان قياسا على الحيوان لأن الله كرم الإنسان بالعقل والاختيار والمسئولية والجزاء وكلف كل فرد من أفراده بمقدار ما آتاه قال تعالى [ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا] وقال عز شأنه (لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها) ... ا . هـ .

من هذا الرد ندرك فساد التشبيه التى ذكرته هذه المرأة حيث شبهت الإنسان بالحيوان دون إدراك للتربية النوعيـة حيث أن الله كرم الإنسان وحباه بنعمة العقل والتكليف والمؤاخذة والمحاسبة والثواب والعقاب . ومن هنا يظهر فساد أدلتها وفساد قضيتها بالتالى . وما هى إلا لعنة شيطان أراد أن يفسد فى الأرض حتى يختل توازن المجتمعات الأسلامية ويفسد على الناس حياتهم العفة .

١٨ — لا . للروابط الأسرية الزائفة :

إن التشريع الأسلامى قد إستقر على ألا يعترف بأى رابطة أسرية تقوم على غير أساس شرعى واقعى .

فهو لا يعترف بالروابط التى يبتدعها بعض الناس ويصطنعونها ، فهو يأمر بعدم إطلاق اسم الرابطة على من لا يستحقها ولو فى ظاهر من القول فالأسلام لا يعترف بأى رابطة بين المرأة والرجل إلا إذا كانت هذه الرابطة تقوم على أساس شرعى وهى الرابطة الزوجية الصحيحة فلا يعترف

بهذه الرابطة إذا كانت عن طريق المخادنة والمصادقة مهما كانت صلة الرجل بتلك المرأة وهو مايسميه المخادعون باسم صديق الأسرة أو صديق العائلة أو أى اسم من الأسماء الزائفة ، ويعرف الجميع أن صديق العائلة هو عشيق الزوجة ولا شيء غير ذلك ولو كان المجال يتسع لذكرت الكثير والكثير من المآسى والأحداث التى ترتبت على هــــذه العلاقة المحرمة الآثمة .

فكم من بيوت خربت وكم من أطفال شردت وانقطعت بينها وبين أبائها أواصر المحبة والمودة وخمدت فيها عاطفة الأبوة للشك القاتل الذى أصاب رب هذه الأسرة وعدم تيقنه بأبوته لهذا الطفل . ومنعا لهذه الجرائم وحفظاً على كيان الأسر فقد أبطل الله حكم المؤاخاة التى حدثت عقب هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وقد كانت أخوة تعاقدية لا تعتمد على النسب فقد قدم المهاجرون إلى المدينة ولا مال لهم ووجدوا من الأنصار نعم الأخوان فآخى النبى ﷺ بين الفريقين فتآخى المهاجرون مع الأنصار ليكونوا أخوة ينصر كل منهما الآخر ويقاسمه ماله ويرث كل منهما الآخر إذا مات وقد أستمرت هذه الرابطة المؤقتة التى دعت إليها الضروة فترة من الزمن حتى أبطلها الأسلام بقول الله تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطوراً) فلم تبق بعد ذلك أخوة تعاقدية وبطل حكمها وليست هناك أخوة النسب وأخوة الرضاع ، والأخوة العامة أخوة الأسلام والايمان (إنما المؤمنون إخوة) .

بعض العائلات التى تعتبر نفسها عائلات أرستقراطية ومن يسير على منوالها التى تقوم نساؤها بترك الأنتساب إلى عائلاتها والانتساب إلى أسرة زوجها لا شك أن هذا التقليد فيه من الأثم والحرج لأنه ادعاء

منهن إلى غير أبائهن عمداً فهذا قول زائف لا أساس له من العدل والحق فالله يقول (ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل) .

فالأسلام يريد للمرأة أن تحتفظ بشخصيتها وأستقلالها ومن هذا الاستقلال أن تدعى باسم أسرتها . من باب الحق والعدل فالله تعالى يقول (إدعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله) أما أن يبتدع الأنسان فى الانتساب فإنه ابتداع مردود عليه وقوله غير مطابق للحق وللواقع ويكون ضلالا وابتعاداً عن هداية الله والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

وكما أبطل الأسلام الروابط التعاقدية حرم كذلك السعى إلى خلق الروابط الزائفة التى لا حقيقه لها .

فمن اكبر الكبائر التى أطلق عليها اسم الكفر أن يسعى المرء إلى أن ينتسب إلى من ليس له اليه نسب وإلى أن يلصق نفسه بقوم ليس منهم فعن سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال« من دعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن النبى عليه الصلاة والسلام قال (من ادعى نسبا لا يعرفه كفر بالله أو انتفى من نسب يعرفه كفر بالله) .

فمن الأمور التى نسمع عنها كثيرا وتحدث منها شرورا كثيرة أنه يقوم الرجل الذى حرمه الله من نعمة الولد بأن يتخذ من أبن خادمه ابنا له ثم لم يلبث أن يعمل على أن يلصق هذا الولد بنسبه فيدعيه ويستخرج الوثائق التى تدعم ذلك ويقيد الوليد على أنه ابن شرعى له... فهذا هو التبنى الذى أبطله الله عز وجل والذى كان معروفاً فى الجاهلية — وقد تبنى رسول الله ﷺ — زيد بن حارثة — وكان غلاماً رقيقا أهدته إليه زوجته السيدة خديجة رضى الله عنها ولما عرف قومه مكانه قدم إلى مكة، أبوه وعمه يرغبان فى اعادته بعد إفتدائه فأشار النبى ﷺ إلى تخييره بين أن يختار البقاء مع محمد ﷺ أو أنه يذهب مع أهله (أبيه وعمه — فأختار المقام

مع محمد ﷺ عند ذلك كافأه النبى ﷺ وأعتقه وتبناه وذهب به النبى صلوات الله وسلامه عليه إلى الكعبة وآشهد قريشا على زيداً إبنا له فقال صلوات الله وسلامه عليه يامعشر قريش إشهدوا على أن زيداً ابن لى يرثنى وآرثه وكان يطوف به على حلق قريش يشهدهم على ذلك وكان ذلك بمثابة التوثيق وكان ذلك قبل البعثة النبوية وظل زيد بعد ذلك يدعى زيد بن محمد وليس زيد بن حارثة إلى أن أبطل الله نظام التبنى ابطالا عاما ونزل قول الله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) وقوله تعالى (وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلك قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل إدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم) وبهذا أصبح التبنى رابطة غير معترف بها فى الشريعة الإسلامية وليس له أى أثر ولا يترتب عليه حق ولا واجب ومن فعله كان آثما أما من ضم إليه طفلا لآخر بقوته ويرعاه فليس ذلك من التبنى لأنه لا يكون له شىء من الحقوق التى تكون للأبناء ولا يمنع من أن تعتز به وتقربه وذلك كما كان شأنه ﷺ مع على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه فهو الذى رعاه ورباه وأشرف على شئونه واعزه واعتز به كأنه إبنه .

فالإسلام لا يعترف برابطة الولادة إلا إذا كانت على فراش الزوجية الصحيحة المعروفة أو على فراش الزوجية الصحيحة المحتملة ولا يعترف بقرابة ولد السفاح الذى يأتى عن طريق الزنا وإن أقر المسافح بنسبه منه وأصر على اقراره .

وإنما يثبت النسب بإقرار الرجل ببنوة مجهولة النسب إن لم يكذبه الواقع أو العقل أو العادة . مثل أن يكون الابن المتبنى معروف للنسب إلى شخص آخر فهذا يكذبه الواقع ومثل أن يتبنى الرجل الذى سنه يكون ثلاثين عاماً ابنا يكون سنه عشرين عاماً فهذا يكذبه العقل ومثل أن يتبنى

الرجل إبناً وقد ثبت أنه غير صالح للإنجاب فهذا تكذبه العادة، وإنما يقبل الأقرار بالنسب إذا ثبت أن المقر سبق أن تزوج بأم المقر له زواجاً صحيحاً يمكنه أن يجيء منه هذا الولد فاللقيط الذى لا تعرفه أمه لا يثبت نسبه بالأقرار إلا إذا تحققت فيه هذه الشروط وأيدت القرائن صدقه (يراجع كتابنا أحكام قضائية).

أما أن ما يقع فيه الناس الآن من التبنى القائم على ضم أولاد من الملاجيء والمؤسسات والصاق نسبهم بهم وقيدهم فى سجلات المواليد بأسمائهم وإعطائهم من الحقوق ما ليس لهم وتحريم ما أحل الله تعالى وحل ماحرم مثل أن يكون الدعى والمولود المتبنى سبباً فى حجب ميراث من له الحق فيه واطلاعه على عورة أمه وليست بأمه ولا يتصل بها من قريب أو بعيد وكذلك يطلع على عورات أخواته ولسن بأخواته ويحرم الزواج منهن وهن حليلات له — وتحريم الزواج منهن بحكم هذا القيد فهو تحريم ما أحل الله. فكان ذلك تشريعا يخالف تشريعات الحق عز وجل.

١٩ — لا : لنظر الرجل إلى المرأة الأجنبية.

لا : لنظر المرأة إلى الرجل الأجنبي.

إن الغاية التى يهدف إليها الإسلام من غض البصر هو إقامة مجتمع نظيف لا تباح فيه الشهوات فى كل لحظة ولا تستثار فيه الغرائز فى كل حين فعمليات الأستثارة المستمرة تنتهى بالأنسان إلى سعار شهوانى لا ينطفيء ولا يرتوى، وأترك لصاحب الظلال رضى الله عنه يتم حديثه عن النظرة فيقول : النظرة الخائنة والحركة المثيرة والزينة المتبهرجة والجسم العارى كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الشهوانى المجنون.

ولقد جعل الاسلام من وسائله لأقامة مجتمع عف عفيف الحيلولة

دون وقوع هذه النظرة وصدق الله العظيم الذى يقول : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أذكى لهم » ويقول بعدها : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها » ثم يقول صاحب الظلال رضوان الله عليه .

«لقد شاع فى وقت من الأوقات أن النظرة البريئة والحديث الطلق والإختلاط الميسور والدعابة المرحة بين الجنسين والإضطلاع على مواضع الفتنة المحبوسة شاع أن هذا تنفيس وترويح وأطلاق للرغبات الجنسية ووقاية من الكبت ومن العقد النفسية وتخفيف من حدة الضغط الجنسى وما وراءه من اندفاع غير مأمون ، ولكن نسى هؤلاء الذين يتمسكون بمثل هذه النظريات والأفكار أن الميل الفطرى بين الرجل والمرأة ميل عميق فى التكوين الحيوى لأن الله سبحانه قد ناط به إمتداد الحياة على هذه الأرض وتحقيق الخلافة لهذا الإنسان فيها فهو ميل دائم يسكن فترة ثم يعود . ثم يقول رضى الله عنه (فالنظرة تثير . والحركة تثير والضحكة تثير والدعابة تثير والنبرة المعبرة عن هذا الميل تثير والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات بحيث يبقى هذا الميل فى حدوده الطبيعية ثم يلبى تلبية طبيعية عن طريق الزواج المشروع وهذا هو المنهاج الذى إختاره الإسلام وارتضاه للجنس البشرى ليتم له هدوءه النفسى واستقراره الفكرى وراحته العصبية ورباطه السليم الذى يربط بين سائر أبناء الإنسان ا . هـ .

ولقد أصاب الشاعر العربى كبد الحقيقة إذ يقول :

كل الحوادث مبدؤها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم من نظرة فعلت في قلب صاحبها
فعل السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء مادام ذا عين يقلبها
فى أعين الغير موقوف على خطر
يسر فعلته ما هز مهجته
لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: (النظرة سهم من سهام إبليس) وعلى هذا الأساس فإنه لا يجوز للرجل الأجنبي وهو الذى يحل له أن يتزوج بتلك المرأة كابن عمها وابن عمتها وابن خالها وابن خالتها وزوج أختها وزوج خالتها وزوج عمتها وكذلك الصبي إن كان مراهقاً أو مميزاً يفرق بين القبيحة والجميلة أن ينظر إلى المرأة الأجنبية وهى التى تحل للرجل أن يتزوج بها كابنة عمه وابنة عمته وإبنة خالته وأبنة خاله وزوجة أخيه وزوجة عمه وزوجة خاله وأخت زوجته وخالتها وعمتها والأصل فى ذلك الآية الكريمة التى أشرنا إليها منذ قليل وما رواه مسلم فى صحيحه عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال (ما من مسلم ينظر إلى محاسن إمرأة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها فى قلبه) وروى إبن داود والترمذى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت ، كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة فأقبل إبن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فقال النبي ﷺ (إحتجبا عنه فقلنا يارسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال النبي ﷺ أفعميوان أنتما ألستما تنظرانه ؟) .

فهذه النصوص كلها تؤكد تأكيداً قاطعاً بما لا يقبل الشك أن نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية نظر اشتهاء حرام ، وكذلك نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي حرام أيضاً وذلك إذا ترتب على هذه النظرة فتنة .

ومن هنا نفهم أنه يحرم على المرأة المسلمة أن تكشف شيئاً من مفاتنها إلا ما يبدو منها عند الخدمة كاليدين والوجه والرجلين حتى بالنسبة للنساء المسلمات غير الصالحات أو الكافرات حتى لا تصف محاسنها عند الرجال الآخرين .

ولقد أنتهى بعض الفقهاء إلى أن نظر الرجل إلى المرأة أو نظر المرأة إلى الرجال يجوز بشرطين أساسين .

أولها : أن لايترتب على النظر ما يخشى منه الفتنة .

ثانيهما : أن لايكون فيه تحديق وألا يكون مواجهة فى مواجهة أو مقابلة فى مقابلة فى مجلس واحد .

وإذا كان التشريع الإسلامى ينهى عن نظر الرجل الأجنبى إلى المرأة الأجنبية والعكس ولو كان الرجل دميا أو المرأة غير مشتهاة لعموم قول الله تعالى : «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم...» ولعموم قول رسول الله ﷺ (أصرف بصرك) إلا أنه قد استثنى بعض الحالات التى يجوز فيها النظر إلى عورات النساء فى الضروريات التى سنذكرها فى الموضوع الآتى :

٢٠ — الحالات الضرورية التى يجوز النظر فيها :

لقد أجاز التشريع الإسلامى فى حالات ضرورية وأمور طارئة النظر فيها وذلك عند :

١ — النظر بقصد الخطبة للزواج . (يراجع كتابنا الدليل الفقهى للمأذون الشرعى) .

٢ — المعلم الذى يقوم بتعليم النساء بشرط أن يكون التعليم معتبراً شرعاً

وأن يكون فى حدود ما ينبغى للمرأة تعليمه مثل التمريض وفن الولادة والطب وغيره من الأمور التى تخص النساء ولا غنى لهن عنها وألا تخشى من النظر أية فتنة وألا يترتب على التعليم خلوة وألا يوجد نساء يقمن بهذا التعليم غير الرجال ولاشك أن الإسلام عندما يضع هذه القيود إنما يريد أن ينأى بالمرأة عما يحط من قدرها، ويمتهن كرامتها حتى تبقى المرأة مصونة طاهرة لا يمتد إليها يد عابث ولا تنظر إليها عين بخيانة تصديقاً لقوله تعالى : (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) .

ويجوز أن ينظر الطبيب من الأجنبية إلى المواضع التى يقوم على علاجها لما روى مسلم عن أم سلمة رضى الله عنها أنها استأذنت النبى ﷺ فى الحجامة فأمر النبى ﷺ أباطيبة أن يحجمها ويجوز معالجة الطبيب للمرأة الأجنبية بشرط أن يكون الطبيب تقياً أميناً عدلا ذا أختصاص وعلم وألا يكشف عن أعضاء المرأة إلا قدر الحاجة — وألا تكون هناك طبيبة مختصة تقوم بهذه المعالجة، وأن تكون المعالجة بحضور محرم أو زوج أو امرأة ثقه كأمها أو أختها أو خالتها أو نحو ذلك وألا يكون الطبيب كافراً مع وجود طبيب مسلم .

فإذا ما توافرت هذه الشروط فإنه يجوز للطبيب أن ينظر أو يتلمس موضع للعورة بالنسبة للمرأة لأن الإسلام دين يرفع عن الناس الحرج لأن الله يقول (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ويقول (ما جعل عليكم فى الدين من حرج) .

كما أجاز التشريع الإسلامى القاضى والشاهد أن ينظر من المرأة إلى الوجه والكفين حتى وإن خيفت الفتنة لما يترتب على هذا النظر إحقاق الحق ورفع الظلم، وإنما جاز النظر لكون المتنقبة غير معروفة

لدى القاضى ولدى الشاهد فكشف وجهها فى هذه الحالة ليتعرف عليها بأنها هى المعينة حتى لا تلتبس الأمور وتضيع فى المجتمع الحقوق .

٢١ — نعم للزى الإسلامى للمرأة :

إن المرأة المسلمة ينبغى عليها أن تتخير زيا يجعلها فى تمام الحشمة ويدعو من يراها إلى احترامها وتوقيرها ويتجلى ذلك بسلوكها الاسلامى فى اللباس السابغ الساتر الذى من شأنه أن يجعل صاحبته ذات فضيلة واستقامة .

وقد أمر الله عز وجل زوجات النبى ﷺ وبناته ونساء المؤمنين بتخير اللباس السابل السابغ الساتر حتى يعرف من يراهن فى هذا الزى بأنهن من المتعففات فلا يؤذين وأنهن من الحرائر فلا يقترب منهن أحد لأن اللباس الذى لا يستر هو لباس الإماء (غير الحرة) .

فيقول الله عز وجل (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) .

ولقد قال علماء التفسير فى هذه الآية الكريمة من أن الفساق كانوا يتعرضون للنساء فى الليل حين يذهبن لحاجتهن فى الخلاء بدون تفريق بين الحرائر والإماء ولا بين العفيفات والعاهرات وأن الآية نزلت لتفرق بين زى الحرائر المؤمنات لتميزهن عن غيرهن حتى يسلمن من التعرض والأذى ... وبعضهم قال : إن الفساق كانوا إذا رأوا المرأة متجلببة كفوا عنها وقالوا إنها حرة أو عفيفة فأمرت الآية الكريمة بالحرص على الجلباب الساتر .

ولقد تعددت الأقوال فى الجلباب ومفهوم قوله (يدنين عليهن من جلابيبهن) فقد قال الدكتور / عبد الله شحاتة . فى كتابه المرأة فى القرآن إن أوجه الأقوال فى الجلباب أنه هو الملاءة أو العباءة) التى تشتمل بها المرأة فوق الذراع والأزرار .

أما الأدناء فمن المفسرين من قال إنه تغطية الرأس والوجه ومنهم من قال إنه ليس تغطية تامة للوجه وإنما هو تغطية جزئية بحيث يكشف عن العيون أو عن عين واحدة أو يغطى شقا من الوجه ، ثم يقول رضى الله عنه ((وعلى كل حال فالجملة تفيـــد أن إرتداء الجلباب تعليم بزى خاص تعرف به المؤمنات ويفرق بين الحرائر والعواهر فيمتنع بذلك أذى الفجار والفساق عنهن ا . ه .

وروح الآية الكريمة يوجب على المؤمنات زيا أو مظهراً خاصا يميزهن من العواهر ويمنع عنهن أذى الفساق دون التقيد بنفس الشكل الذى كان جارياً وقت نزول الآية (من كتاب المرأة فى القرآن والسنة للأستاذ محمد عزة دروزة) .

ومن هنا فإنه يجب على كل مكلف سواء كان إمرأة أو رجلا أن يستر عورته عن نفسه وعن غيره ممن لا يحل له النظر إلى عورته إلا لضرورة سبق ذكرها .

ويشترط فيما يستر العورة من ثوب ونحوه أن يكون كثيفا فلا يجزىء الساتر الرقيق الذى يصف لون البشرة التى تحته ولا يجزىء الثوب الضيق الذى يلتصق بالجسد بحيث يحدد أجزاء الجسم وحجمه بل ينبغى أن يكون فضفاضا واسعاً .

٢٢ — حدود العورات للذكر والأنثى :

لقد جاء فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة تحديد العورة . عند الشافعية والحنفية والحنابلة والمالكية .

فذهب الشافعى إلى أن حد العورة من الرجل والأمة (غير الحرة) هو ما بين السرة والركبة والسرة والركبة ليستا من العورة وإنما العورة ما بينهما ولكن لابد من ستر جزء منهما ليتم التحقق من ستر الجزء المجاور لهما من العورة .

وحد العورة من المرأة جميع بدنها حتى شعرها النازل على أذنها ويستثنى من ذلك الوجه والكفان ظاهرهما وباطنهما .

وذهب الحنفية إلى أن حد عورة الرجل بالنسبة للصلاة هى من السرة إلى الركبة والركبة عندهم من العورة بخلاف السرة وحد عورة المرأة الحرة هو جميع بدنها حتى شعرها النازل على أذنيها لقوله ﷺ (المرأة عورة) ويستثنى من ذلك باطن الكفين فإنهما ليسا بعورة بخلاف ظاهرهما وكذلك يستثنى ظاهر القدمين فإنهما ليسا بعورة بخلاف باطنهما فإنهما عورة (عكس الكفين) .

أما الحنابلة فقد قالوا فى حد العورة كما قال الشافعى إلا أنهم استثنوا من الحرة الوجه فقط وما عداه منها فهو عورة .

وذهب المالكية إلى أن العورة فى الرجل والمرأة بالنسبة إلى الصلاة فإنها تنقسم إلى قسمين مغلظة ومخففة ولكل منهما حكم . فالمغلظة للرجل السوأتان وهما القبل والخصيتان وحلقة الدبر لا غير والمخففة له ما زاد على السوأتين مما بين السرة والركبة وما حاذ ذلك من الخلف .

والمغلظة للمرأة الحرة جميع بدنها ما عدا الأطراف والصدر وماحاذاه من الظهر والذراعين والعنق والرأس ومن الركبة إلى أطراف القدم — أما الوجه والكفان ظاهرهما وباطنهما فإنهما ليسا من العورة مطلقاً فمن صلى مكشوف العورة المغلظة فإن كشفها كلها أو بعضها بطلت صـــلاته وأعادها وجوبا .

أما كشف العورة المخففة فإن كشفها كلها أو بعضها لا تبطل صلاته وإن كان كشفها حراما أومكروها حسب اختلاف آراء الفقهاء فى المذهب ويحرم النظر إليها ولكن يستحب لمن صلى مكشوف العورة المخففة أن يعيد الصلاة فى الوقت مستوراً وهذه العورات كاحددها علماء الفقه يجب سترها من كل ناظر إليها ولا يجوز كشفها إلا لضرورة ذكرناها فيما سبق .

٢٣ — السلوك الجنسى بين الزوجين :

١ — كلمة على استحياء :

إن المسائل الجنسية والتناسلية ينظر إليها بشىء من التخفى والكتمان ويتم الحديث فيها بخجل وحياء وهذه النظرة لا شك تشجع على استغلالها لإذاعة الأدب الرخيص وفى الحقيقة أنها ما هى إلا فرع من فروع العلوم الطبية والاجتماعية والنفسية بل إنها قد أصبحت علما مستقلا مستمدا من عدة علوم يقال له (علم الجنس) وقد أخذوه من علوم التشريح ووظائف الأعضاء وعلم النفس وغيره من العلوم وعلم الجنس والتناسليات علم يشترك مع كل العلوم فى وسائل البحث والمعرفة ولقد عنيت الشريعة الإسلامية عناية فائقة بهذه العلاقة بين الزوجين ووضعت المنهاج الواضح الناجح للقاء الزوجين جنسيا فجاء فى قول الله تبارك وتعالى (والله لا يستحى من الحق) وفى قول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه (لاحياء فى الدين) ولقد قال أيضاً صلوات الله وسلامه عليه فى العلاقة الجنسية بين الزوجين وأجاب على

كثير من مسائلها مع أنه صلوات الله وسلامه عليه كان أشد حياء من البنت فى خدرها ولكنه لم يغلق هذا الباب وإنما كان يقف به حياؤه إذا كان الحديث لا يحتمل الكناية ولا التورية عندئذ كان يحيل السائل إذا كانت امرأة إلى واحدة من نسائه — أمهات المؤمنين رضى الله عنهن — مثل ما حدث عندما جاءته السائلة تسأل كيف تغتسل بعد طهرها من الحيض فقال لها صلوات الله وسلامه عليه (خذى قطعة من مسك فتطهرى بهـا فلما أعادت عليه ما قالت قال ﷺ سبحان الله قالت عائشة رضى الله عنها فاجتذبتها إلى وقلت لها خذى قطعة من مسك أو قطعة من صوف مبللة بالمسك فتتبعى بها أثر الدم ثم أوضحت لها كيف تغتسل بعد طهرها من الحيض.

وعند ما نعرف أن معظم الأزمات التى تشتد وتحتدم بين الزوجين إنما هى تكمن غالباً وراء مشكلات عاطفية أو جنسية أو وراءهما معاً إلا أن الحياء يغلب على الزوجين وخاصة المرأة أن يعلن أى منهما الحقيقة وخاصة ما يغلب علينا — نحن الشرقيين فى طباعنا وعاداتنا وتقاليدنا فلا نستطيع أن نعلن مثل هذه الحقائق ويصطنع كل من الزوجين أسباباً غير الأسباب مما لا يصلح معه أن يكون سبباً لهدم العلاقة الزوجية المقدسة ثم تتعقد النفوس وتستعصى المشكلات ويحاول المصلحون علاجها ظاهرياً ويبقى أصل الداء ينخر فى كيان تلك الأسرة — وكثيرا من المشكلات الزوجية كان سببها مشكلات جنسية تحتاج إلى طب وتطبيب جاءت لإجراء طلاق بينهما دون نظر إلى علاجها مثل (سرعة القذف عند الرجل ومثل برودة الجنس عند المرأة ومثل الإكسال وغيرها من المشاكل الجنسية العديدة التى تحتاج إلى علاج طبى).

من هنا عزمت على أن أتحدث فى هذه المسائل من غير حرج ولا تهيب قاصدا بذلك إصلاح ذات البين وجمعت من آراء المتخصصين فى الطب وعلم النفس وعلم الجنس ما يستعان به فى معرفة أصل الداء وطريقة علاجها بوضع الدواء.

(ب) النظافة باب المحبة :

إن النظافة والزينة للمرأة داخل بيتها من أعظم وأجدى عوامل النجاح فى العلاقة الزوجية المثالية .

فالنظافة للجسد ونظافة الثوب وجماله من أقوى ما يشد الزوج نحو زوجته فهى تضفى على النفس بهجة وصفاء وعلى العكس من ذلك فإن القذارة والدرن يضفى على النفس الكآبة والانطواء ولهذا فإن الرسول ﷺ يقول (النظافة من الإيمان) وكثير من النساء لا يعتنين بنظافة أجزاء من الجسم تحتاج إلى عناية خاصة مثل الأفواه والأسنان مما يسبب فزعا وجزعا واشمئزازا وانغلاقاً للنفس والقلب ولعل الكثير منا قد لاحظ اشمئزازا من الحديث مع بعض النساء أو الرجال نتيجة لرائحة أفواههم العفنة مما يحملنا على تجنب الاقتراب منهم للحديث العادى . فما بال الزوج الذى يريد الاقتراب من زوجته لمحاولة المتعة بقبلة أو المداعبة أو اللقاء وتحدث المشاكل عند استياء الزوج من هذه الرائحة وتتأصل فيه عقدة نفسية لا تزول أبدا ولو زال سببها .

والحمق والغباء والعناد من الزوجة أو الزوج هو الذى يبقى على أصل الداء .

وليعلم الزوجان أنه لا شىء يهدد العلاقة الزوجية بالفشل الكامل قدر بخر الفم وعفن اللثة . والأسنان عند الزوجين — ولقد أرشدت السنة المطهرة إلى السواك الذى يزيل أسباب العفن ويحصل به الإنسان على ثواب الدنيا والآخرة فلقد أخرج النسائى أنه ﷺ قال (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) وعند ما كان صلوات الله وسلامه عليه يرى فى أسنان بعض أصحابه صفرة كان يقول ما لى أراكم قلحا (أى صفر الأسنان) إستاكوا وقال ﷺ : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة »

وكان ﷺ يقصد بذلك أن يكون مجتمع الإسلام مجتمعا راقيا نظيفا وينبه على ذلك الخطر الذى يهدد العلاقات الزوجية تهديداً قاتلا دون أن يشعر به أحد .

ويلى هذا فى الأهمية والخطورة خبث رائحة الفرج وما بين الفخذين وبين الإليتين وتحت الإبطين وتحت الثديين وما بينهما هكذا على الترتيب — ولاحياء فى الدين ثم رائحة العرق على عمومه وعلى كل حال فإن معاجين الأسنان ومساحيق التنظيف والدش المهبلى كل ذلك يعين على التخلص من هذه المنفرات ولقد أخرج الشيخان .

عن عائشة رضى الله عنها أن امرأة سألت النبى ﷺ عن غسلها من الحيض فقال لها خذى فرصة من مسك فتطهرى بها قالت كيف أتطهر ؟ قال تطهرى قالت كيف أتطهر ؟ قال سبحان الله تطهرى قالت عائشة رضى الله عنها فاجتذبتها إلى فقلت لها تتبعى بها أثر الدم .

ولقد جاء فى كتاب اللقاء بين الزوجين فى ضوء الكتاب والسنة للإستاذ عبد القادر أحمد عطا هذا الحديث ، وقال فيه والذى يبدو والله أعلم .

أن المرأة كانت تريد بالتطهر هنا إزالة الرائحة الكريهة من الفرج ولهذا أشار عليها الرسول ﷺ بالمسك ولو كان الأمر مجرد تطهر من الحيض لأشار عليها بغسل الموضع بالماء لأن تتبع أثر الدم يزيل الرائحة الكريهة فقط ولا يزيل أثر الدم من المكان فضلا عن أنه غير مطهر . انتهى .

(جـ) الزينة — للزوجة باب اللقاء — مع الزوج

لقد حث الإسلام المرأة على أن تتزين لزوجها حتى تكون مصدر سرور وانشراح فلقد أخرج النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن

رسول الله صلى الله ﷺ قال (خير النساء من إذا نظر إليها — زوجها — سرته وإن أمرها أطاعته وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله) والسرور يشع من كيان الزوجة على الزوج عند الإبتسامة الحلوة وعند عنايتها بمظهرها فى ملبسها ونظافتها وزينتها وتجديد هيئة ملابسها وثيابها وتسرح شعرها على هيئة يجدد شبابها وعند لين حديثها وجمال وجهها مما يشكل حافزا للزوج على الارتباط ببيته والعودة إليه سريعاً بعد الانتهاء من عمله ..... فسرور الزوج من أعظم البواعث التى تدعوه إلى مضاعفة عمله لإسعاد زوجته وهو عامل قوى على استمرار الحب بينهما ويحيله إلى حب نابض فى نفس كل منهما دون ملل أو كلل كما أن السرور هو الباعث الأول للزوج على الأقبال على زوجته بفيض غامر من عواطفه تعبيرا عن سروره بها وحبه لها .

ولهذا فإن الرسول ﷺ قد دعا النساء إلى التزين لأزواجهن فقد جاء فى السنة المطهرة فيما أخرجه أبو داود أن النبى ﷺ قال لامرأة أهملت زينة يديها (يد امرأة هذه أم كفا سبع إذهبي فغيرى) أى زينيهما بالحناء أو بما تزين به يد النساء عادة .

وجاء فى كتاب الله تدعيما لهذا المعنى قوله تعالى : (ولايبدين زينتهن الا لبعولتهن) وأوصى عبد الله بن جعفر زوج السيدة زينب رضى الله عنهم ابنته عند زواجها فقال (.... وعليك بالكحل فإنه أزين زينة وأطيب الطيب الماء) وأوصت أعرابية ابنتها ترشدها إلى الاستمساك بالزينة أمام زوجها فتقول (وعليك بالكحل فإنه أحسن الحسن والماء أطيب الطيب) .

وقال الأستاذ عبد القادر أحمد عطا فى كتابه اللقاء بين الزوجين تعليقا على هذه الوصايا (ما زال للكحل فى العينين سحر لايدانيه سحر لاسيما إذا شمل مساحة من الجفون تبرز العين بين ظلال الكحل فترى

أوضح اتساعاً وأشد بياضا لبياضها وأكثر سواداً لسوادها ففى هـــذه العيون هامت الشعراء وتسامت مواجيد الصوفية حتى قال قائلهم :

عيـونى كالعيون من العيون
ومن نامى الهوى منحت عيونى

وما زالت علوم العصر ومخترعاته تمـد الزوجات بالجديد من زينة العيون وزينة الوجوه ما يهيء لهن التجديد الدائم والخلاص من الملل ، ا . هـ .

ولقد جاء فى كتاب الإيضاح فى علم النكاح للإمام السيوطى رضى الله عنه « إن الفقهاء قد أكثروا من نصح النساء استكمال زينتهن داخل المنازل وذلك بتسريح الشعر وتزينه والتطيب بالطيب أمام الزوج حتى يطيب قلبه » .

كما ذكر الإمام ابن الحاج فى كتابه (المدخل) « إن الفقهاء أخذوا على النساء عنايتهن بالزينة عند الخروج من المنزل وإهمال زينتهن أمام الأزواج) .

٢٤ — لا : للواصلة والمستوصلة

لا — للواشمة والمستوشمة .

لا — للنامصة والمتنمصة .

لا — للمتفلجة للحسن .

لا — للمتشبهة بالرجال .

إن القرآن الكريم أطلق حرية المرأة فى زينتها ولم يحدد لها نوعا معينا من أنواع الزينة ولم يضيق عليها فى شىء منها بشرط ألا يظهر ذلك إلا للزوج والمحارم (الذين لايحلون لهـا والذين .

جاء ذكرهم فى الآية الكريمة (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) إلا أن الإسلام قد حد من غلواء المرأة فى زينتها التى قد تصل بها إلى أن تغير خلق الله فتغير من طبيعتها باسم الزينة والتجميل فأخبرنا الحق عز وجل بأن أى تغيير لطبيعة خلق الله فهو عمل شيطانى لأن الله يبين لنا أنه جاء على لسان الشيطان كما ذكر لنا القرآن الكريم (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) وقد وضع رسول الله ﷺ الأعمال المحرمة على المرأة أن تقوم بها فى مجال الزينة والتجميل لأنها تغييرات لخلق الله فلقد أخرج الشيخان أن رسول الله ﷺ قال (لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله) والواصلة هى التى تصنع الباروكة والمستوصلة هى التى تشتريها أو تستقرضها لتضعها على رأسها والواشمة هى التى تلون جلدها بكون أسود أو أزرق والنامصة هى التى تزيل شعر الحاجبين أو ترفعهما وتزيل ما بينهما إذا كانا مقرونين.

والمتفلجة هى التى تبرد أسنانها لتبدو متباعدة.

وهذا الحديث الشريف من معجزات الرسول ﷺ لأنه لم يكن من النساء من تفعل ذلك فى عصر النبوة ولكنه إخبار بالغيب لما سيحدث من النساء فى العصور التالية — ولقد جاءت امرأة إلى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه تقول له عندما سمعته يذكر ما جاء فى هذا الحديث الذى يحرم ما تفعله الواصلة وغيرها فقالت له كيف تحرم ما لم يحرمه الله فى كتابه؟ قال وماذاك؟ قالت: النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة إلخ قال: بل هو فى كتاب الله قالت كيف؟ قال قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وانى سمعت رسول الله ﷺ

يقول : وذكرلها الحديث قالت فلعل أهلك يفعلنه قال أدخلى عليهن فدخلت وخرجت وقالت مارأيت إلاخيراً وجاء فى مسند الإمام أحمد أن أمرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت إن شعر إبنتى يتمرط وأن زوجها يحبه أفأصله لها ؟ فقال لا .

ويقول الإستاذ عبد القادر أحمد عطا فى كتابه اللقاء بين الزوجين تحليلا لأحكام الشريعة الإسلامية الواردة فى هذا الحديث الذى رواه الشيخان (ونحن الآن أمام قضية خلاصتها أن كل مافيه تغيير فى أصل الخلقة فهو محرم وكل مالا تغيير فيه فهو مباح ولو نظرنا فى تدبر إلى الشابات المسلمات من أهل الحجاب فى مصر — وهن يكثرن بحمد الله كثرة تبعث على الفخر لوجدناهن ملتزمات غاية الإلتزام بهذه التعاليم النبوية وغيرها) ثم يقول لوتأملنا هؤلاء الصالحات من بناتنا لوجدنا أن الحجاب مع الطبيعة يبعث القلوب على احترامهن ولايدفع النفوس الدنيئة نحوهن بسوء ولو زججن حواجبهن لامتدت إليهن العيون الآثمه على الفور .

إذا فالتعاليم النبوية تحد من عبث العيون وخبث النفوس ثم يقول .

١ —(إن الفتاة الملتزمة بهذه التعاليم تبدو حقيقة أصغر من عمرها بكثير فلو نظرت إلى فتاتين فى العشرين من عمرهما واحداهن مزججة الحاجبين والأخرى غير مزججة لوجدت الأولى تكبر الثانية بعشر ستين نتيجة لهذا التغيير ومن المسلم به أن فى حداثة السن إغراء أجمل من الإغراء المصنوع الذى يتقدم بالسن بعيدا عن حقيقتها ثم يقول الكتاب (على أن فى اقتران الحاجبين جمـــالا واغراء لايقاوم عند كل صاحب ذوق ا . هـ .

وفى المبالغة فى ترقيق الحواجب قبح لايعدله قبح عند كل صاحب وجدان ولو علم الله فى مسخ الطبيعة خيراً لأمرنا به وحيثما كانت الشريعة فيها مصلحة العباد وحاجاتهم الزوجية والوجدانية على السواء ثم يستمر الكاتب — جزاه الله خيرا فى التحليل والبيان فيقول (والخلاصة أن الحافز الجنسى الناشىء عن الجمال الطبيعى المزين بما لايخرجه عن أصل الخلقة حافز راق سام عميق أما الحافز الناشىء عن جمال ناشىء من تغيير خلق الله فهو حافز شيطانى نارى لايلبث أن يفتر ويشيخ اهـ .

ولقد أباح الفقهاء تحفيف الوجه بإزالة الشعر الناشىء به وكذلك إزالته فى أى جزء آخر من أجزاء الجسم ترى المرأة فى وجوده قبحا .

ثم هاهى قضية أخرى من قضايا التغيير لخلق الله التى شاعت فى هذا العصر وانتشرت فى جميع المجتمعات وهى تشبه النساء بالرجال بقصد التجميل والزينة وكذلك تشبه الرجال بالنساء فى أزيائهن ووضع القلائد على صدورهم ولبس الاساور ووضع الاصباغ — ولقد نهى المصطفى ﷺ عن ذلك ووضع حكما حاسما لهذه القضية فقال فى حديثه الشريف (لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ولعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء) ويقول كاتبنا (أشر أنواع التغير فى خلق الله بقصد التجميل لحافز الجنس بين الزوجين بدعة تشبه المرأة بالرجل فى اللباس وقص الشعر والحركة والسكنة والتدخين فى الطرقات وارتياد أماكن الرجال إلى غير ذلك مما هو شائع معروف ومشهور .

وتذكرنا هذه البدعة بمثلها تماما فى عصر بنى العباس إذ كان فى قصر الخلافة فتيات يلبسن ملابس الرجال سموهن (الغلاميات) كن يخدمن الخليفة وقد نشأت عنهن بدعة اللواط بالذكر والإنثى جميعا حتى قال بعض الشيعة بحل لواط الرجل لزوجته وبعبده الذكر - المملوك له -

وهى فتوى تمتد جذورها إلى أصل فكرة (الغلاميات) الوافدة من ايران التى كانت تعرف آنذاك بفارس ا . هـ .

ولا شك أنها فتوى ضالة مضلة لاستدلها ولاحجة ... أخزاهم الله ولعنهم أينما كانوا .

٢٥ — اللقاء الجنسى بين الزوجين

(ا) مقدمات للقاء :

إن المداعبة بين الزوجين أمر واجب ومشروع ومقصود أشار إليه النبي ﷺ عندما تزوج جابر بن عبد الله من امرأة ثيب فسأله المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فقال له ياجابر تزوجت بكراً أم ثيبا ؟ فقال بل ثيبا . قال عليه الصلاة والسلام (فهـلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك .. ؟ — رواه الشيخان .

والمداعبة والملاعبة والمضاحكة بين الزوجين أمر محبب إلى النفس يحقق الأمتاع بينهما فقد روى الترمذى أنه ﷺ قال (لايقع أحدكم على أهله كما تقع البهيمة وليكن بينكما رسول القبلة والكلام » وروى عن عائشة رضى الله عنها أنه ﷺ كان يقبل نساءه) وعنه أنه كان يمص لسان عائشة ولقدورد ذلك فى القرآن الكريم فى قوله تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء) .

قال الأستاذ عبد القادر أحمد عطا فى كتابه اللقاء بين الزوجين تعليقا على هذه الآية الكريمة (فجعل المرأة بكل جسدها وروحها وانفعالاتها شهوة حببها الله للناس بحكم الفطرة فلا عار ولا عيب فى إعلان الرجال حبهم للنساء جملتهن وتفاصيلهن بل المسايرة للفطرة والتورع عن اعلانه مصادمة لها بل هو مصادرة لحكم الله على عباده بهذا الحب ا . هـ .

والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول فى الملاعبة أنهـا القبلة والكلام وهذا الترتيب النبوى مقصود تماماً لأنه كما ورد فى بعض الأحاديث السابقة أن النبى ﷺ يبدأ نساءه بالقبلة أما كيف تكون فقد ترك هذا لكل زوجين حسبما تؤدى إليه قدرتهما وتقتضيه طبيعتهما ويقول صاحب كتاب اللقاء بين الزوجين (ولكننا نؤكد أن القبلة الحالمة الطويلة التى تستهدف الشفتين مع التزام بعضهما البعض جسدياً وتبـادل الأنفاس والنظرات المعبرة وتحسس أماكن الإثارة هى أول عمل ناجح يريح الزوجة نفسياً ويؤنسها عاطفياً ويشجعها على الإستجابة ويمكن الزوجين من ارواء عاطفى عميق ... والقبلة لا تقتصر على الشفتين والوجه بحكم عمومها وعموم النصوص فيها بل يمكن أن تتعدى إلى أى موضع من الجسد يكون العاطفة نحوه اهتزاز وميل ويأتى أثناء ذلك وبعده الكلام .اهـ.

والمقصود بالكلام هنا هو كل كلام يثير الرجل ويحب أن يسمعه فى هذا الموضع وكذا المرأة يلذها بكلام فاحش وصريح يوجهه إليها فى موضوع اللقاء الجنسى مما لا يجوز أن يقال فى غير هذا اللقاء وهو أيضاً استجابة من المرأة لزوجها بالتدلل والإعراب مما يقصد به الإثارة والمتعة .

فالكلام الفاحش والصريح فى مقام اللقاء الجنسى بين الزوجين والصادر من الزوج إلى زوجته وإجابة الزوجة بمثله عمل مشروع لا عيب فيه ولا حرج لأن الله قد وصف نساء الجنة بقوله (عربا أترابا) وقد فسر المفسرون العرابة بمثل هذا المعنى أى أنه يصدر منهن أقوال وكلام فيه فحش يرضى الرجل ويمتعه .

كما أن الإسلام حث على مقدمات اللقاء فأباح لكل من الزوجين حرية كاملة الوضع الجسدى الذى يريدانه حتى يستمتع كل منهما بأى وضع جسدى يريده ولهذا فإن علماء الجنس ينصحون دائماً بتغيير الأوضاع

الجسدية عند اللقاء وتنويعها لأنهم يمثلون اللقاء الجنسي بالطعام الذي يمله الإنسان عند تكراره فلا بد من تنوعه ولا حرج فيه لأن الله يقول في كتابه العزيز (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم) الآية .

قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما أخرجه الحاكم والبيهقي وأبو داود (كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من اليهود وهم أهل كتاب وكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من أمر أهل الكتاب ألا يأتوا النساء إلا على حرف (أي على جنوبهن) وذلك أستر ما تكون المرأة فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذ بذلك من فعلهم وكان هـــذا الحي من قريش (وهم المهاجرون) يشرحون النساء شرحاً منكراً ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت إنما نحن نؤتى على حرف فاصنع ذلك وإلا فا جنبني فبلغ أمرها رسول الله ﷺ فنزل قوله تعالى : (نساؤكم حرث لكم) الآية (يعني مقبلات ومدبرات ومستلقيات في موضع الولد) وروت أم سلمة زوجة النبي ﷺ مثل هذا الحديث فقالت : لما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل من المهاجرين امرأة من الأنصار وكان المهاجرون يجبيون نساءهم بمعنى أن تضع المرأة يديها على الأرض وتنكب على وجهها وتقوم على ركبتيها وكانت الأنصار لا تجبي فأراد رجل من المهاجرين امرأته على ذلك وهي من الأنصار فأبت عليه حتى تسأل رسول الله ﷺ — قالت أم سلمة — فأتته فاستحيت أن تسأله فسألته فنزلت (نساؤكم حرث لكم) الآية وقال ﷺ لا إلا في صمام واحد أي في مكان واحد هو الفرج وقال : صلوات الله وسلامه عليه لعمر فيما أخرجه النسائي (أقبل وأدبر واتق الله في الدبر والحيض) .

ويقول كاتبنا الأستاذ عبد القادر أحمد عطا(وما يقال من أن أردأ أشكال الجماع هو أن تعلو الزوجة الزوج فإنما ذلك إذا أنزل الزوج وهو على تلك الحالة فقط أما الوضع الجسدى ذاته فهو من الأوضاع المرغوبة للزوجة لأنه وضع يكفل لها حرية الحركة على المواضع المثيرة لها والتى تصل بها إلى قمةلذتها سريعاًدون جهد كبير من الزوج فإذا قارب الإنزال عاد الى وضعهما الطبيعى ا.هـ.

وهكذا فإنالتشريع الإسلامى قدأوضح الطريق الصحيح ليتم الإمتاع والإستمتاع بين الزوجين وليهنأ كل منهما بالآخر وبالتالى يسعد بحياته ويصل كل منهما إلى قمة المتعة واللذة.

٢٦ — اللقاء الجنسى بين الزوجين

إن العلاقة الجنسية لدى الزوجين جانب معنوى ألا وهو الحنان وكما قلنا لابد أن يسبقها عادة نوع من المداعبة والمباسطة والكلام كالتقبيل والعناق وغيرها فالله عز وجل يقول(وقدموا لأنفسكم) فالتقديم هو ماشرحناه من مقدمات فى الموضوع السابق واترك لعلماء الجنس الكلام لتوضيح المباشرةالجنسيةعلمياًفقد قال أحدهم(إن المرأة أحوج إلى المداعبة من الرجل لبطء حدوث استيفاء لذتها ولا يشار بحال من الأحوال إلى أن المرأة سلبية فى أثناء عملية الإخصاب، ولكن لا ينصح، إطلاقاً بأن تصل المداعبة إلى حد التعب أو الإرهاق وإن كان التعب حدوثه طبيعا بعد العملية وخير مداعبةهى التى تكون بالحديث الظريف وعبارات التدليل والإعزاز ويكون ذلك بغير تكلف فيظهر آثاره فى الأعين وعلى تقاطيع الوجه ومن أنواع المداعبة اللمس وتحتاج الأنثى لوقت أطول الوصول إلىهذه الحالة متوسطها عشر دقائق وقد تصل إلى عشرين دقيقة.

ويقول الباحث إن المرأة التى لا تستوفى لذتها الجنسية تكون عرضة

لأمراض عصبية ونفسية وقد تكره زوجها وتنفر من معاشرته وقد تحتقره أو تصاب بنوبات تهيج أو غم أو كدر أو غضب شديد أو تستغنى عن استيفاء لذتها بإقامة الحفلات والولائم أو الأسراف فى الطعام والشراب أو التعلق بالأصدقاء والصديقات والأقرباء والقريبات أو الإندماج فى أعمال إجتماعية ، وقد يقيها ذلك شر الزلل ، وإذا زلت فقد لا تستوفى لذتها لبرودها أو لبطء تلذذها فتزداد قدمها إنزلاقا فيتفاقم كراهيتها لزوجها بل ولكل الرجال . وهذا عين ما يحصل للرجل الذى لا تمكنه زوجته من استيفاء لذته فيكرهها ويسرع إلى غيرها ويقضى لذته مع سواها .

وأعود فأقول إن التنبيهات السابقة للحث على المداعبة وحرية الوضع الجنسى وحرية الكلام ما هى إلا وسائل لتحقيق هذه النتيجة وهى أن يستوفيا الزوجان لذتهما والإهمال فى تحقيق هذه النتيجة يصل بالحياة الزوجية إلى أوخم العواقب بل إن الإهمال فى اتخاذ هذه الوسائل هو الذى يصل بالعلاقة الجنسية إلى أسوأ حال لأنه قد ترتوى الزوجة عاطفياً ولا ترتوى جنسياً والعكس صحيح وكلاهما يودى بالحياة الزوجية — ولذا أكد رسول الله ﷺ على الرجال فى مقدمات الجماع كما أكد عليهم أن يصلوا بالمرأة إلى قمة نشوتها استناداً إلى قول المصطفى ﷺ (إذا جامع أحدكم زوجته فليصدقها ، يعنى (فليجامعها بصدق) فإن قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فليصبر حتى تقضى حاجتها .

ويقول صاحب كتاب (اللقاء بين الزوجين) ومن أخطر ما يفعله الأزواج أن يفارقوا الزوجات عقب الإنتهاء من الممارسة وكأنهم أراحوا أنفسهم من حمل ثقيل فهنا تشعر الزوجة أن الزوج يريدها لمصلحته هو ولا يريدها لذاتها وهذا الشعور يهز حب الزوجة هزا عنيفاً وربما يقضى عليه .

ثم يقول والسلوك الصحيح هنا ألا ينزع عقب الانزال فاذا فتر بقى إلى جانبها محتقنا لها مستمرا فى ملاعبتها كما كان من قبل الممارسة حتى يهدأ كلاهما فيقوم ولا يفارق المكان لبعض الوقت .

٢٧ – مشكلات اللقاءات الجنسية بين الزوجين :

(أ) الأسراف فى اللقاء الجنسى .

لقد أمر الإسلام فى كل تشريعاته بالتوسط فى كل أمر وفى هذا الخصوص نصح الرسول ﷺ الرجال وحثهم على التوسط فيه فقال لاحدهم رانه نور عينيك ومخ ساقيك ، أى ان المادة المنوية هى عصب الصحة فى الإنسان فالاسراف يؤدى إلى ضعف الابصار وضعف الاعصاب فعليك بالتوسط ومع ذلك فان علماء الجنس قرروا أنه لا توجد قاعدة نهائية لهذا الموضوع لأن طبائع الرجال الجنسية تختلف من رجل إلى آخر فما يكون طبيعيا لرجل قد يكون غير طبيعى لرجل آخر بل يكون لرجل ثالث وعلى ذلك فان المثل القائل بأن (اللحم الذى يتناوله رجل قد يكون سما زعافا بالنسبة لرجل آخر) غالبا ما يكون صحيحا بحذا فيره ومن ثم فإنه من سخف الرأى ان تكون هناك قواعد ثابتة تنظم الحياة الجنسية للزوجين فقد لا يكفى بعض الرجال ان يجامعوا زوجاتهم مرة كل ليلة وقد لا يستطيع آخرون ان يجامعوهن مرة كل شهر ومن ثم فالواجب علينا ان ننظر إلى كل حالة بحسب ظروفها — ويقول احد الباحثين فى علم الجنس (ولكن ذلك لا ينفى بالطبع اننا نستطيع مناقشة الموضوع من ناحيته الاخرى أى من ناحية الحديث إلى الرجل العادى . ضاربين صفحا عن الرجال الذين يمنون إلى الأكثار أى الاسراف والرأى عندى انه يمكن وضع قاعدة مطاطة للرجل العصرى المعتدل فيما بين الثلاثين والستين واعتقد ان مرة جماع واحدة فى الاسبوع كافية أما الرجل الذى لا يستغرق عمله كل وقته أو الجانب الأكبر منه فان القاعدة التى وضعها (مارتن لوثر) هى أفضل القواعد بالنسبة إليه وهى مرتين كل اسبوع ا. هـ .

وأما الأسراف فى العلاقـة الجنسية فإنه يعرض الرجل حتما للضعف الجنسى ويكون المؤكد ان يعرض الرجل على عدم القدرة على أداء عمله على الوجه المرضى — ومن المحتمل أن يشعر المسرف بسعادة شاملة إلا أن هذا الاحساس لن يدوم طويلا لأنه لا يلبث ان يختفى ويحل محله التعب والاجهاد والندم على ما فات — وينصح علماء الطب بأنه ينبغى الامتناع عن اللقاء الجنسى بين الزوجين فى حالة المرض وفى الاشهر الاخيرة من الحمل وفى ميعاد الحيض وفى أثنائه وبعده لمدة من يوم إلى يومين ويمتنع عند وجود نزيف رحمى وينصحون بالاعتدال فى أداء هذه العملية لدى المتقدمين فى السن لاسيما إذا كانت الأوعية الدموية هشة وضغط الدم عاليا لأنها فى هذه الحالة لا تتحمل مجهود العملية وصدمة اللذة.

(ب) الألم المصاحب للعملية الجنسية عند المرأة :

يقول علماء الطب فى هـــذه الحالة — ينبغى البحث عن الأسباب واستئصالها فالجهل بالعملية يداويه الأطباء بنصيحة طبية وفى حالة الالم البسيط بلطف الموضع بمراهم بها مسكن مع الراحة من العملية وفى كل الاحوال تعالج الاسباب الموضعية .

وأما فى حالة تقلص المهبل فتعالج نفسانيا للبحث عن السبب إن كان ألما نفسيا شديداً أو صدمة أو تكدر من فشل العملية الجنسية بسبب وحشية الزوج أو عجلته أو سوء أدائها أو عاداته السيئة أو ضخامة العضو بالنسبة لحجم المهبل أو لضخامة عنق الرحم أو شدة الحساسية .

(حـ) سرعة القذف عند الرجل وبرود المرأة :

يقول علماء النفس (إذا كان الزوج سريع الانزال والزوجة بطيئة . فعليه ان يطيل مدة المداعبة على الفراش ويكثر من التزامها واحتضانها ويأخـذ فى مص شفتيها والعبث بثديها وتحسس إليتيها واعلى ظهرها

ويستمر على هذه الحالة دون إيلاج فإذا ارتعدت وتغير لونها وتقلص وجهها والتزمته واحتضنته أولجه رويداً رويداً حتى يصل إلى الآخر ويحركه داخل فرجها بشدة دون إخراج ويمنى فى موضعه فإنه لا توجد إمرأة بطيئة إلا انزلت فى هذه اللحظة ا. هـ.

(د) الضعف الجنسى :

إن الضعف الجنسى عند الرجال كثير ما يحدث فى سن الشباب وبعد فترة من الزواج تطول أو تقصر وفى منتصف العمر وعند سن المراهقة الثانية التى تعترى الرجال ما بين سن الخمسين إلى الستين وقد استخلصت كثيرا من أراء الباحثين فى علم الجنس وعلماء الطب فوجدت أن الرجل سريع القذف والذى ينزل بمجرد الاقتراب من المرأة فهذا امره لا يجدى فيه طب وإنما مصيره إلى الفشل الجنسى العام ولعل الله ان يوفق الباحثين فى إيجاد العلاج الناجح لهذه الحالة .

وقد يأتى هذا العجز نتيجة لتشوهات خلقية فى أعضاء التناسل مثل الخصيتين والقضيب زالبر وستاتا إلى غير ذلك وعلاج مثل هذه الحالات قد تأتى بعملية جراحية — وقد يأتى العجز نتيجة لعوامل نفسية وهى الحالات الأكثر شيوعا فى الشباب وغيرهم من متوسطى العمر أو الكبار وذلك يتأتى نتيجة لعوامل نفسية كما قال علماء النفس دفينة يشعر فيها الشخص بالنقص وعدم القدرة الجنسية وهذه العوامل قد تحدث نتيجة لتربية متزمتة ونشأة صارمة وضعت فى ذهن هذا الشخص مفاهيم خاطئة مثل ان يزرع فى ذهنه ان كل ما يتعلق بالجنس فهو عيب ولا ينبغى ان يتناول لا من قريب ولا من بعيد وينبغى تجنبه .

وقد يتأتى من تجربة جنسية فاشلة أو أنه كان يمارس العادة. السرية الى غير ذلك من الأسباب ويقول علماء النفس إن فشل الرجل جنسيا

يؤدى إلى الخوف من هذا الفشل فإذا حاول الرجل الممارسة الجنسية واعتراه الخوف من الفشل فلا شك أنه سيزداد فشلا .

ويصف علماء النفس علاج تلك الحالة بأنها تحتاج إلى أن يتم تفهيم المصاب لأسباب مشكلته بشكل خاص يعيد الثقة فى نفسه بأنه فى إمكانه أن يقوم بالممارسة الجنسية متى تحقق له أنواع الإثارة المناسبة التى تختلف باختلاف الأشخاص ، وجاء فى كتاب تحفة العروس للأستاذ محمود مهدى الاستامبولى « وعلى المصاب ألا يحاول جاهداً أن يثبت لنفسه مقدرته على العمل الجنسى وألا يركز اهتمامه بمضاته لأن ذلك يولد عكس المطلوب وإنما عليه أن ينظم ممارسة الجنس بأزمان محددة متباعدة ويوجه اهتمامه بالدرجة الأولى لتوفير المتعه والسعادة لزوجته بالمداعبة اللطيفة فذلك من شأنه أن ينسيه مشكلته ويحقق له الانتصاب العضوى تلقائياً — كما على الزوجة أن تتذرع بالصبر وأن تتفهم وضع زوجها وتساعده فى اجتياز تلك العقبة فى حياتها متجنبة الإساءة لكبريائه تدر المستطاع بغرس الثقة فى نفسه مع ضمان الحياة الهادئة السعيدة وأكثر المصابين بالضعف الجنسى ممن يشفون تلقائياً بعد مرور برهة قصيرة على زواجهم من فتاة متفهمة ولقد ذكر الدكتور (فريدريك) فى كتابه « ثمرة الاستشارة » أن المشاكل الجنسية طول مدى الحياة ومهما يكن السن وهى أقل اعتماداً على المظهر وأكثر اعتمادا على الشخصية ثم يقول الباحث (قد زادت الدراسات فى السنوات الأخيرة للحياة الجنسية بعد منتصف العمر وتركز البحث حول اهتمام الناس بالمشكلة وهى مدى استمرار حياتهم الجنسية وانتهت هذه الدراسة بأن الاعتقاد بأن ممارسة الجنس بعد سن متقدمة خطأ ومخجلة واعتقاد آخر أن كثيرا من الرجال يعتقدون بأن قواهم الجنسية سوف تخونهم قبل بلوغهم سن الحياة العادية وقد ترتب على هذين الأعتقادين الخاطئين كل الخطأ العجز الجنسى .

ويقول الباحث إن الرجال على الخصوص فى حاجة لهذه الأقوال .

والتوكيدات لأن خوفهم من العجز الجنسى معقد وعميق ويؤدى إلى ترك العلاقات الجنسية وهجرها اه . وفى الصفحات التالية تقرير طبى عن العنة (الضعف الجنسى وطريقة علاجها) .

(د) البرود الجنسى عند المرأة :

من المشكلات الجنسية بين الزوجين البرود الجنسى للمرأة وهذه المشكلة لها أسباب عديدة نذكر منها ماجاء فى كتاب تحفة العروس للأستاذ محمود مهدى الاستامبولى (ومن الأسباب المهمة العنف والطيش والاندفاع من جانب الزوج فهذه غالباً ماتؤدى إلى البرود الجنسى عند الزوجة فإن المرأة تحتاج إلى مدة أطول « للاستثارة » حتى تستجيب تماما لنداء الجنس فإذا جهل الزوج هذه الحقيقة أو تجاهلها بسبب اندفاعه وسرعة تأثره فقد تكون النتيجة أن ترى أمامنا زوجة غير مهيأة بتاتاً للاتصال الجنسى بل أكثر من هذا أنها تخشى هذا الاتصال وبالتالى تصبح باردة كالثلج) ثم يقول الباحث ولعل من أهم أسباب البرود الجنسى الأمور الشائعة فى هذه الأيام «الخوف من الحمل» فإن آلام الحمل والولادة قد تكون شديدة لدرجة أنها تترك أثرا نفسيا قويا فى نفس الزوجة وتكون النتيجة أن تعرض عن كل ما يتصل بالجنس والعلاقات الجنسية كما أن هناك بعض الحالات لا تكون فيها الزوجة راغبة فى الأطفال والخوف من الحمل يجعل الزوجة زاهدة فى جميع الشئون الجنسية .

وداعا للضعف الجنسى « العنة »

تقرير طبي نشرته مجلة طبيبك الخاص التى تصدرها دار الهلال في عدد يولية سنة ١٩٩١ م

الفشل فى الحصول على انتصاب كاف للعضو الذكرى يسمح بالأداء الجنسى المعقول هذا هو تعريف العنة وهو أمر شائع يصيب جميع الأعمار وحوالى ٥٠٪ من تلك الحالات لها أسباب عضوية يزيدها تفاقماً استعمال بعض العقاقير .. مثلا كل الأدوية المستعملة فى علاج ضغط الدم المرتفع لها تأثير بشكل متفاوت على تدفق الدم إلى العضو الذكرى وهو الأمر اللازم لحدوث الانتصاب . وحتى إعادة ضغط الدم المرتفع إلى وضعه الطبيعى يؤدى هو نفسه إلى نقص كمية الدم المندفع إلى العضو التناسلى ويصبح دليلا على جدوى العلاج فى تخفيض ضغط الدم وفعالية الدواء المستعمل .

كما أن بعض الأدوية تؤثر على الجهاز العصبي نفسه مثل المهدئات والمنومات والكحول .. فتلك العقاقير والأدوية تؤدى بطريق غير مباشر إلى نوع من الارتخاء أو العنة .

وكذلك هناك بعض العقاقير تحتوى على هرمونات تعارض القدرة الانتصابية مثل هرمونات الأنوثة ومضادات الهرمون الذكرى . وبعض الأدوية المستعملة فى علاج قرحة المعدة والاثنى عشر . وبعض المهدئات التى لها تأثير غير مباشر على الوظيفة الهرمونية للغدة النخامية .

وهناك أسباب للعنة يمكن الآن علاجها بنجاح باهر . ولكن العمود لنجاح العلاج هو صحة التشخيص للحالة ، وعمل التحاليل الهرمونية وخاصة هرمون التستوستيرون الذكرى فى الدم كمؤشر حساس للحالة الهرمونية للمصاب .

كما أن أمراضا مثل مرض السكر وأمراض نقص إفرازات هرمونات الغدد النخامية واضطرابات الغدة الدرقية : يجب البحث عنها وتشخيصها بدقة ثم علاجها بدأب ونجاح واستمرارية .

قياس هرمون التستوستيرون فى الدم :

إن قياس هذا الهرمون أصبح الآن أمراً شبه روتينى فى معظم أنحاء العالم ويجب إجراء هذا القياس فى كل حالات العنة .. وهذا الهرمون يختلف مستواه فى الدم باختلاف الإنسان ، فهو يرتفع إلى أعلى معدلاته فى حوالى سن العشرين . ثم يبدأ فى الانخفاض التدريجى حوالى منتصف الخمسينيات من العمر . ثم يزداد الانخفاض بسرعة مع تقدم السن . وعند قليل من الرجال المصابين بالعنة يكون مستوى هـذا الهرمون منخفضاً فى الدم . كما أن استعمال هذا الهرمون كعلاج لا يكون دائماً طريقاً موصلا لعلاج العنة .. فقد ثبت أن استعمال هذا العقار الهرمونى عن طريق الفم يحتم مروره على الكبد أولا حيث يقوم بالتصرف فى معظمه بحيث لا يصل إلى الدم إلا النذر اليسير مما يحتم استعمال جرعات كبيرة جداً وهذا فى حد ذاته أمر بالغ الخطورة على الكبد نفسه . فقد يؤدى إلى حدوث دمار وفشل فى هذا العضو الحيوى الهام .

لذلك فإن استعمال هرمون التستوستيرون ومشتقاته يجب أن يكون عن طريق الحقن فقط . وهناك عدة عقاقير من هذا النوع تعطى على عدة أشكال مثل الأنواع بطيئة الامتصاص (متخزن) أو الأنواع التى على شكل أقراص تزرع تحت الجلد . ويستمر عملها إلى مدد طويلة قد تصل إلى عدة شهور .. ولكن الحذر كل الحذر من استعمال تلك العقاقير قبل فحص البروستاتا فحصاً دقيقاً لخطورة تلك العقاقير فى تنشيط خلايا سرطانية قد تكون كامنة فى هذا العضو .

أما إذا كان مستوى هرمون التستوستيرون فى الدم طبيعياً فمن العبث

استعمال عقاقير تحتوى على هذا الهرمون لعلاج العنة .. لأن النتيجة تكون زيادة الرغبـــة الجنسية فقط دون مواكبة من الأداء الانتصابى مما قد يزيد الأمر سوءاً .

التسرب الوريدى :

وهو سبب موجود فى ٢٠ ٪ من الحالات : أن الانتصاب عبارة عن اندفاع الدم فى الشرايين الموجودة فى العضو الذكرى ومنطقة البروستاتا والعانة إلى داخل النسيج الإسفنجى الأنبوبى المشكل للعضو الذكرى نفسه (وعدده ثلاثة أنابيب) ويصاحب اندفاع الدم فى تلك الأنابيب ارتخاء العضلات الرقيقة المبطنة لجدران تلك الأنابيب لتسهيل وصول الدم ثم يصاحب ذلك أيضاً إغلاق الأوردة الراجعة فى العضو الذكرى حتى يحبس الدم فى داخل الأنابيب ، وهذه الأوردة تكون على شكل تجمعات وريدية حول جدران الأنابيب الإسفنجية تقوم بإغلاقها أيضاً عضلات رقيقة متخصصة فى جدران تلك الأنابيب ، فإذا كانت عملية إغلاق الأوردة ضعيفة أوغير محكمة حدث تسريب منها وضاع الانتصاب وهو ما يسمى « التسريب الوريدى » .. وهذه الحالات تشخص بسهولة الآن باستعمال بعض الأبحاث والأشعات التى تبين سريان الدم خلال تلك الأوردة .. والعلاج أصبح الآن مؤكداً وذلك بإجراء جراحة دقيقة ولكنها بسيطة لإغلاق بعضاً من تلك الأوردة ومنع التسرب .

إن انتقاء تلك الحالات وعلاجها أصبح الآن من أنجح الطرق لعلاج نسبة كبيرة من المصابين بالعنة .

العنة المجهولة الأسباب :

إذا تأكد عدم وجود أسباب نفسية أوعائلية أوعدم وجود أمراض

عضوية مؤكدة مثل السكر وضغط الدم وغيرها ، فإن عدداً ليس بالقليل من المصابين بالعنة يبقى مجهول الأسباب . وهذه الحالات يكون علاجها مباشراً باستعمال طرق موجهة للعنة نفسها .

وأول العقاقير المستعملة هو عقار يسمى اليوهمبين عقار له تأثير على الجهاز العصبى السمبثاوى وهو الجهـــاز الذى يمنع الانتصاب أو ينهيه بعد الأداء . وهو يستعمل عادة مخلوطاً ببعض من هرمون التستوستيرون ويستعمل لمدة ٢ — ٣ أسابيع ، ثم يوقف فترة أسبوع ويكرر . ولقد ثبت فى بحث أجرى حديثاً أن ٣٠ ٪ من حالات العنة غير المعروفة السبب عاد فيها الانتصاب كافياً تماماً .

الحقن داخل الأنابيب الإسفنجية :

دخل هذا النوع من العلاج إلى مجال الطب منذ فترة قريبة فى الثمانينات من هذا القرن .. وهو يقوم على أساس حقن مواد داخل الأنابيب تؤدى إلى تنشيط الدورة الدموية إلى الأنابيب والحصول على انتصاب ، والجديد فى هذا المجال أن المريض يمكنه حقن نفسه بتلك المواد . وأهم العقاقير المستعملة عقار «هيدروكلوريد البابافرين»

مصحوباً بمقدار آخر حديث يسمى «فنتو لامين» زاده قوة واستمرارية أى الوصول إلى انتصاب معقول لمدة معقولة . ولكن من الضرورى بل من الأمور الحيوية أن يقوم طبيب مختص بإعطاء الحقنة الأولى .. ويجب أن يكون المريض مستلقياً على ظهره لأن احتمال وجود تسرب وريدى فى العضو الذكرى قد يؤدى إلى دخول المادة المحقونة فجأة إلى الدورة الدموية وذلك يحدث هبوطاً حاداً فى ضغط الدم وإغماء وبعد إعطاء الحقنة بوقت معقول وإذا لم يحدث أعراض جانبية يقوم المريض بالوقوف وعادة يحدث انتصاب لمدة ١٠ — ٢٠ دقيقة ، وإذا لم يحدث انتصاب تكرر المحاولة بجرعة أكبر حتى تصل إلى الجرعة المعقولة ..

ولكن إذا استمر الحال دون جدوى ، فهذا يؤكد وجود تسرب وريدى يستوجب إجراء جراحة لعلاجه .

أما إذا نجحت الطريقة فإن الطبيب يقوم بتعليم المريض طريقة الحقن والجرعة اللازمة حتى يقوم المريض بعملها بنفسه بعد ذلك .

ورغم أن تلك الطريقة ناجحة تماماً إذا استعملت بالأسلوب السليم ، إلا أن لها بعض الأعراض الجانبية وإن كانت نادرة مثـــل حدوث تجمعات دموية ، أو عدوى ميكروبية ، أو تليف واعوجاج فى العضو التناسلى . وهى مضاعفات يمكن تجنب معظمها باتباع الإرشادات الطبية السليمة عند استعمال الحقن .

الأجهزة المعاونة :

يبقى بعد استعمال الطرق السابقة لعلاج العنة بعض الحالات التى لا تنفع فيها أى من تلك الطرق، وهى الحالات العضوية المزمنة التى إنتهت فيها قدرة الدورة الدموية على إحداث الانتصاب . فى هذه الحالات أصبح الآن من الممكن استعمال تركيبات خاصة تذرع بشكل مافى العضو الذكرى نفسه بعضها تركيبات ثابتة وبعضها تركيبات متحركة يمكن إحداث الإنتصاب بواسطتها وإلغائه بحسب الطلب .. والواقع أن تلك التركيبات تؤتى نجاحاً لا يقل عن ٩٠ ٪ من الحالات خاصة إذا أحسن وضعها .

أحدث الوسائل :

ومع بداية التسعينات لاح فى الأفق أمل جديد آخر . . وهو إعادة تغذية الدورة الدموية للعضو الذكرى بتوصيل أوعية دموية جديدة تغذى المكان . وهناك طرق كثيرة فى هذا المجال ونسبة النجاح حالياً لا تزيد على ٥٠ ٪ بالعنة ولكن الأمل كبير ومبشر فى الوصول إلى نتائج باهرة

تقضى تماما على العنة بحيث يمكن القول وبثقة «وداعا للعنة» وأهلا بالشباب الدائم .

عن الدكتور ج وليامز استشارى المسالك البولية بمستشفى هامرسميث بلندن .

٢٩ — انجاب البنات دون الذكور مشكلة تهدد كيان الأسرة

إن إنجاب البنات دون الذكور من المشاكل التى تهدد كيان الأسرة لدى الحمقى من الناس فهناك اعتقاد خاطىء أن المرأة هى السبب الاساسى فى الأنجاب وعلى هذا الاعتقاد فإن بعض الرجال يتزوج على امرأته التى تنجب له البنات ليحصل على الولد من غيرها .

ولقد نبهنا الله عز وجل أن الأنسان يخلق من نطفة الرجل وأن المرأة ما هى إلا مكان للحرث والزرع يقول الحق سبحانه وتعالى فى هذا الشأن (أيحسب الأنسان ان يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) والضمير فى «منه» أى منى الرجل وقال عز من قائل (فلينظر الأنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب) وقال سبحانه (يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الخ الآية) .

ولقد عرف العرب قديما هذه الحقيقة وأكدوها فى اقوالهم وأشعار فلقد حدث أن رجلا اسمه أبو حمزة كانت امرأته تنجب له البنات فغضب وذهب إلى قوم يخطب منهم فانشدت زوجته تقول :

ما لأبى حمزة لا يأتينا

غضبان أنا لا نلد البنين

فما نحن إلا كالأرض للزارعين

ولقد أثبتت الحقائق العلمية فى مجال علم الأجنة بأن الرجل هو الذى يحدد بمائه الذى يخرج منه نوع الطفل . ذكرا يكون أو أنثى ذلك أن منى الرجل يخرج ومعه العدد الهائل من الحيوانات المنوية وهذه صنفان صنف إذا أخصب بويضة المرأة انتج الذكور وصنف إذا أخصب خلية المرأة انتج الأناث واعداد هذين الصنفين على كثرتهما متساويان تقريبا والأسبق إلى خلية المرأة هو الذى ينتج الذكر أو الانثى أما خلية المرأة فصنف واحد وهى على كل حال خلية واحدة تعد بمئات الألوف كما هو الحال فى الرجل وهذه الحقائق العلمية ينبغى على الرجال أن يعوها جيدا حتى لا يتسبب الجمود والجهل فى تدمير الأسر والاتيان على دعائمها ولرضا بحكم الله ومشيئته فانهم لا يعلمون أى الامرين خير استجابة لحكم الله الذى يقول (فعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم).

وهناك محاولات من العلم التجريبى وتجرى البحوث فى هذا السبيل لترجيح صنف على صنف من الحيوانات المنوية للرجال ثم التلقيح بالطرق الصناعية إلا أن الأمل ضعيف فى نجاح هذه المحاولات وأعتقد أن التدخلات فى ترجيح صنف على صنف لن ينجح ولن يتأتى.

لأن الله عز وجل هو الذى يخلق بحكمته منظما لهذا الكون بقدرته ما يحتاجه للذكورة والأنوثة ، فهو الاعظم حكمة وهو الخبير بخلقه وهو بكل شىء عليم.

٣٠ — العقم من المشكلات التى تنهار بسببها الأسرة

(أ) العقم هو عدم قدرة الأنسان على الأخصاب والانتاج وهذه الحالة منفصلة ومستقلة عن حالات العنة (عدم الانتصاب) أو الضعف

وهذه الحالة يكون كل من المرأة والرجل فى حالة عقم وليس فى حالة عنة فهما يؤديان الفعل الزوجى على اكمل وجه .

ولكن المرأة لا تحمل من زوجها كما أن هذا الزوج لا يمكن أن تحمل منه إمرأة أخرى ويقسم الأطباء أسباب العقم فى الرجل والمرأ إلى نوعين :—

أولهما : أسباب عمومية أو وظيفية غير مرتبطة مباشرة بأعضاء التناسل وتشمل السن وكل ما يحيط بأحوال المرضى والحالات النفسية وكليهما يؤدى إلى عقم مؤقت أو دائم .

ثانيهما : أسباب موضعية أو عضوية وهى مرتبطة مباشرة بأعضاء التناسل وهذه تعرف بالحالات الخلقية أو المكتسبة . وقد تشفى أو تكون محتملة الشفاء وقد لا تشفى ولا تكون قابلة للشفاء مطلقا .

وسبب العقم يرجع إلى المرأة أكثر مما يرجع إلى الرجل ففى حالة من كل سبع حالات يكون العقم راجعا إلى الرجل وهكذا إلا أن بعض الحالات لا يكون العيب عيب المرأة بل عيب الرجل ففى حالات كثيرة يتزوج الرجل ويطلق عدة مرات بحجة أنهن عاقرات والعيب فيه هو نفسه فإذا كانت المرأة صحيحة سليمة البدن فإن الشبهة يجب أن تتجه إلى الرجل ويلزم فحصه هو .

وقد كتب الدكتور « بلون بارتنجتون » محرر باب التناسليات فى مجلة الصحة والقوة الانجليزية بحثاً فى هذا الموضوع قال فيه « كان من نتيجة التجارب التى مرت بى خلال سنين عديدة أن أتضح لى أنه فى جميع الحالات التى لا يرزق فيها الرجل وزوجته أطفالا فإن الرجل يلقى دائما تبعة عدم الحمل برمتها على عاتق المرأة وكم أتلقى من الرسائل التى تعبر عن الأسى الذى

يملأ نفوس سيدات كثيرات يقوم أزواجهن دائما بالتقريع لهن بسبب عدم الحمل مع أن من الجائز جداً أن يكون الزوج هو المسئول عن هذا العقم وقد سألنى ذات مرة أحد الرجال قائلا : أننى لا أجد أى صعوبة فى القيام بالعملية التناسلية مع زوجتى وأن إفراز السائل المنوى عندى طبيعى فكيف اكون مع ذلك عقيما ؟ .

ويقول الباحث (والحقيقة فى هذا الموضوع أن هذا الرجل يخلط بين عدم القدرة أو الضعف الجنسى وبين العقم ويكاد يكون من المؤكد أنه لم يكن يشكو ضعفا جنسيا لأن الضعف معناه عدم القدرة على إتمام الفعل الجنسى ولكن الرجل قد يكون فى تمام القدرة على القيام بالفعل الجنسى قياما تاما ، وعنده كل مستلزمات الفعل العادية ومع ذلك فقد يكون عقيماً وعلى ذلك فإن العقم لا يستلزم وجود الضعف الجنسى ولكن الضعف الجنسى يحتمل وجود العقم ولذلك فإنه فى جميع الحالات التى تستدعى الفحص يجب فحص الرجل للتأكد من أهليته للأنجاب .

(ب) أسباب للعقم عند الرجال

والعقم فى الرجل يكون لعدم القدرة على التلقيح سواء كان نتيجة الضعف الجنسى أولا . وقد يكون السائل المنوى معدوماً أو يكون موجوداً ولكن الحيوانات المنوية فيه معدومة أو ميتة أو ضعيفة ومن أهم الأسباب فى ذلك أيضا . السيلان والتهاب الحويصلة المنوية والبروستاتا والضعف العام وعدم نمو الخصيتين أو أى أذى يصيبهما أو يصيب المخ أو الحبل المنوى ومن الأسباب كذلك العادة السرية والافراط الجنسى وشرب الخمر والاقلال من الاطعمة التى تحتوى على الفيتامينات .

وأى نقص فى تركيب السائل المنوى كأن تكون الخلايا المنوية الموجودة فى السائل ناقصة التكوين أو ميتة يجعلها غير قادرة على أختراق

بويضة الأنثى وقد وجد أحياناً ان الأدمان على تعاطى المشروبات الروحية والاكثار من التدخين قد يسببان عقماً يقتل الحيوانات المنوية أو ينقصها أو يقل من حيويتها .

وهناك بعض أمراض كالبول السكرى والتدرن الرئوى وبعض حالات عسر الهضم الشديد ينتج عنه انعدام حيوية الخلايا الذكرية وانقطاع انسكاب السائل المنوى وهذا السائل نفسه قد يكون سميكاً ومعتماً أكثر من المعتاد . والخلايا الذكرية قد ينتابها تضخم يسبب لها عدم القدرة على التلقيح وتغير باثولوجى آخر .

ولا شك أن الإفراط الجنسى أو الإفراط فى العادة السرية قد ينتج عنهما استنفاد إفراز الخصيتين فيصير بذلك السائل المنوى مائياً أكثر من المعتاد فتقل حيوية الحيوانات المنوية تدريجياً وتضعف باستمرار حتى يأتى وقت يبدو فيه أنها قد فقدت إفرازها . اه

ج — أسباب العقم عند النساء

قد يرجع العقم عند المرأة كما جاء فى تقرير كبار الباحثين فى علم التناسل (المرجع السابق) إلى السمنة فالمرأة السمينة أصعب حملا من المرأة النحيفة وربما كان ذلك راجعاً إلى مايترتب على السمنة من ضعف نشاط المبيضين ومن أسباب العقم عند النساء كذلك سوء الصحة والضعف الجسدى والعقلى والإفراط فى التبغ والخمر .

ويقال إنه ٥٠٪ من أسباب عدم الحمل فى المرأة يرجع إلى آثار الأمراض السرية نتيجة للعدوى من الأزواج الذين نقلوها إليها من كثرة تعاملهم مع نساء أخريات . وكذلك استعمال وسائل غير صحية لمنع الحمل وتأخيره فى أول عهد الزواج . اه

د — علاج العقم

يقول الدكتور « بلدن باركنجتون » محرر باب التناسليات فى مجلة الصحة والقوة الإنجليزية .

ولأن فى كل حالة من علاج السبب إذا كنا نريد أن نصل إلى علاج صحيح فإذا كان السبب غير ممكن علاجه كتشوه خلقى لاعلاج له حتى بالعملية الجراحية فإن العقم لا يمكن زواله .

أما علاج السيلان والعادة السرية ومنع الإفراط وتقوية الصحة العامة بعد ضعفها فكفيل بأن يعيد الرجل العقيم أو المرأة العقيمة إلى الإخصاب وفى جميع الحالات يجب العمل على إعادة الصحة إلى مستواها الطبيعى ولاسيما حالة الأعصاب لأنه على قوة الأعصاب تتوقف سلامة سائر الأجهزة التى تغذيها .

وفى بعض الأحيان يكون سبب العقم عند السيدة (السنانير المشدودة) وعلى كل سيدة أن تلاحظ ذلك فقد حدث فى عدة حالات أن خلعه مدة كافيا لأن يعيد الاعضاء الداخلية إلى نشاطها بعد الضغط الذى قاسته منه وبذلك تعود السيدة إلى الإخصاب ولا يصح أن تغفل السيدات أن التمرينات الرياضية مفيدة فى إعادة النشاط والحيوية التى فقدتها هذه الاعضاء بسبب الشد ... اه

ثم يقول الباحث ويفيد الصيام فائدة كبيرة فى علاج العقم لما يؤدى إليه من مظهر عام للجسد ، كذلك التمرينات الرياضية على الاخص ما كان منها ذات تأثير على منطقة الحوض والظهر والبطن ، والتدليك عامل مهم من عوامل العلاج كذلك والغذاء المشتمل على قدر كاف من الخضر والفاكهة وتفيد كذلك حمامات الشمس والهواء والحمامات النصفية الباردة والساخنة على

التعاقب لأثرها فى تنشيط الدورة الدموية فى هذه المنطقة والعيشة فى الهواء الطلق ذات أهمية خاصة ولا يصح إهمال فتح النوافذ أثناء النوم اﻫ .

ثم يقول الباحث « ومن الضرورى أن يعرض الزوجان نفسيهما على الطبيب للفحص إذا مضى عليهما سنتان بغير حمل ويجب على المرأة بصفة خاصة أن تبادر بالعلاج قبل أن يتقدم بها السن وأخيراً فإنه يجب ألا تنسى أثر الحالات النفسية فى أحداث العقم فكثيرا مايقرر الطبيب أن حالة الزوجين عادية وأنه ليس هناك من مبرر ظاهر لعدم الحمل .

فإن العقم يمكن أن يحدث بدون أن يكون هناك أى نقص فى الطرفين ولكن بسبب عدم الامتزاج .

فإن الزوجين قد يكونان عقيمين بالنسبة لبعضهما ولكنهما خصيبين بالنسبة لغيرهما وهناك حالات كثيرة من هذا القبيل ومنها الحالة التى رواها الدكتور الباحث (بارتنجتون) كانت فيها حالة الزوج والزوجة طبيعية ومع ذلك لم يحدث حمل وعندما تزوج كل منهما فى زواج آخر أنتج كل زواج أطفالا اﻫ .

فعلى كل زوجين ألا ييأسا من روح الله فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وعليهما بأخذ الاسباب والعلاج والامل يحدوهما حتى لا يعتريهما القنوط الذى يزيد تعقيد هذه المسألة تعقيداً شديداً .

٣١ — الخلافات الزوجية وطريقة علاجها :

إن الخلافات الزوجية أمر وارد وطبيعى ولا ينبغى أن ينزعج منه أحد لان كلا من الزوجين يختلف فى تكوينه وطبيعته وعاداته وتقاليده ولو فرضنا أن العادات متحدة وكذا الطباع متوافقة لاختلف أسلوب كل منهما فى التنفيذ والتطبيق ولولم يكن ذلك الاختلاف والخلاف لضاعت معنى الحياة تحمعه

وطأة السلبية والرتابة . ولقد لاحظ علماء الأجتماع أن هناك أسبابا ضرورية للخلاف بين الزوجين تزيد على ستين سببا .

ولقد حدثتنا السيرة النبوية عن كثير من المواقف لرسول الله ﷺ مع زوجاته منها ما روى أن مارية قد جاءت لرسول الله بطبق من الطعام أجادت صنعه . فى بيت عائشة رضى الله عنها ، فلما أكل صلوات الله وسلامه عليه أبدى إعجابه بهذا الطعام مما أثار حفيظة عائشة وأخذت الطبق من يد رسول الله ﷺ وألقت به على الأرض فكان صلوات الله وسلامه عليه يبتسم ويجمع الطعام الملقى على الأرض وهو يقول غارت أمكم عائشة غارت أمكم عائشة ، وهناك الكثير من المواقف التى تدخل فيها الحق عز وجل من فوق سبع سموات وحسمها القرآن الكريم مثل قوله تعالى (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً) ومثل قوله تعالى فى قضية التخيير التى ذكرها القرآن الكريم فى قوله تعالى (ياأيها النبى قل لازواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما) وذكرت السنة النبوية أن رسول الله ﷺ هجر نساءه شهراً كل ذلك نتيجة للخلاف والاختلاف فى أمور الحياة .

نخلص من ذلك إلى أن الحياة لاتسير سيرها الطبيعى إلا فى ظل اختلاف الرأى وتباين الطباع .

وهناك من الأمور التافهة التى ينتج عنها خلاف بين الزوجين قد يهدأ ويتلاشى وقد يفقد أحد الزوجين أعصابه فتشتعل نار الخلاف ويتطور الاختلاف وتتوالى الاخطاء حتى تصل إلى استعمال الالفاظ التى تجرح القلوب وتدمى النفوس ويكون الامر كما قال الشاعر العربى :

إن القلوب إذا تنافر ودها
مثل الزجاج فكسرها لا يجبر

فعلى الزوجة أن تنتبه إلى كثير من الأسباب التى لا تكاد ترى وينشأ عنها أحداث جسيمة مثل ما حدث لبعض الازواج ويحدث كثيراً . فقد عاد إلى بيته ويضمر فى نفسه لقاءاً ممتعاً مع زوجته ويفاجأ بها فى حجرة نومه بثيابها العادية وقد سيطر عليها النوم ، فلاشك أن هذا الموقف ينتج عنه صدمة عصبية للزوج الذى لم يجد ما تخيله عند عودته من منظر جميل لزوجته يستمتع به فلا بد أن تؤدى هذه الصدمة إلى أن يتنفس الصعداء فى أمر قدلايؤبه له . مثل عدم وجوده لشبشب الحمام فى مكانه ومثل طبق من أطباق الطعام غير موجود فى مكانه ومثل أن يجدالطعام فىحاجة إلى ملح إلى غير ذلك من الاشياء الصغيرة وتثور أعصابه لأى سبب آخر لانه لم يرضههذا الموقف منها — وتزداد المجادلات والمشاحنات وتدعى هى أنها لا تعرف لذلك سبباً .

مع أن السبب الحقيق أنه لم يحصل على مطلبه الزوجى لعدم تهئوهاله. ويشير شاعرنا العربى إلى مثل هذه الأمور .. فان الرضا عن الزوجة يجعل كل شىء فى البيت جميل وإن عدم الرضا يجعل كل شىء فى البيت قبيح فيقول :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدى المساويا

وقد يدخل الزوج على زوجته وهو عابس نتيجة لأمر أثاره إما من رئيسه فى العمل أو لخسارة لحقت به أو لمشاكسة بينه وبين أحد الأشرار إلى غير ذلك من الأسباب التى تجعله يثور لأى تصرف يقابله .

وقد إعتبرعلماء الاجتماع هذه الثورة بأنها تنفيس عنالهموم المكبوتة

تأتى عندما يكون الإنسان على سجيته فى مكان يأمن إليه وترتاح نفسه عنده وليس هناك أمن وأمان إلا بيت الزوجية وكثيراً ما يسبب التعب والإجهاد على إحداث كثير من الإنفعالات التى تؤدى إلى احتـــدام المنازعات بين الزوجين إلا أنه يجب أن تكون الرابطة الزوجية بعيدة عن الاهتزازات العصبية وأن تراعى المشاعر الإنسانية على اختلاف درجاتها .

وينصح علماء الاجتماع كلا من الزوجين إذا نشب بينهما حدة ونزاع أن يتفرد كل منهما بنفسه لبعض الوقت وكذا المشى فى الهواء الطلق أو النوم فان هذه الأمور تساعد على منح الزوجين فسحة من الوقت يتمثلان فيها المشاعر ويحاسب كل منهما نفسه على ما بدر منه فينتبهان معا لمعالجة مشكلاتهما وفض ما بينهما من منازعات .

(١) واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن وأهجروهن فى المضاجع واضربوهن . فإذا أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا

ينبغى على الرجل المسلم أن ينظر إلى زوجته على أنها نعمة من نعم الله تبارك وتعالى عليه فهى التى تحصنه وتعفه عن الوقوع فى الخطايا وتبتعد به عن الإنزلاق نحو الفاحشة . وهى المرضعة لطفله والخادمة لشئون بيته والطاهية لطعامه والمهيئة لفراشه والمعتنية بنظافة ثيابه والمدبرة لأمر حياته ومعيشته إلى غير ذلك فإن كره منها خلقا فلعله يحب منها خلقا آخر ويكفينا أن الله خاطب مشاعر الرجل لو كره زوجته وصبر عليها فقد وعده الله بالخير الكثير فقال (فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) وينبغى على الرجل ألا يؤاخذها بتصرفاتها فى أثناء حيضها . لأنها تكون فى حالة نفسية مضطربة ويعتريها

بعض الأمراض التى تغير مزاجها فيقل عندها حسن التصرف ويضيق صدرها بالحديث .

ولذا فان الإسلام حرم طلاق المرأة أثناء الحيض كما جاء فى حديث ابن عمر رضى الله عنها عندما طلق زوجته وهى حائض فأمره النبى ﷺ بمراجعتها — وقال بعض الفقهاء إن طلاق الحائض بدعى — أى محرم فعله — وعده البعض الآخر غير واقع لمخالفته السنة .

ولقد ذكر صاحب كتاب تحفة العروس الأستاذ محمود مهدى الاستامبولى فكاهة ظريفة فقال مطالبا كل زوج أن يدرس حياة زوجات بعض الحشرات حتى يجد نفسه أنه فى نعمة كبرى وخاصة نعمة السلامة من الموت والقتل فيقول (فمن زوجة تقصم رقبة عريسها وتقطعها فى أحلى ساعات العمر وغيرها تبقر بطنه وتأكل أحشاءه بعد أن يؤدى واجباته الزوجية وأخرى توثق رباط زوجها حتى لا يهرب منها بعد عملية الجنس فيكون لها بمثابة ولية دسمة ورابعة تنتزع الأعضاء الجنسية لزوجها وتحتفظ بها فى داخلها لتصبح جزءاً من تكوينها وأعضائها وبهذا تصير الزوجة أنثى فى الظاهر والباطن تحمل أعضاء الذكر وأعضاء الأنثى لتبقى خصبة طوال حياتها فلا تحتاج إلى ذكر آخر بعد ذلك أبداً وخامسة تعذب خاطب ودها فتضعه تحت الاختبار — وصور أخرى غريبة قد تكون أغرب من خيالنا نحن البشر . كل ذلك لحكمة إلهية كيلا تضيق الدنيا بهذه الحشرات اهـ .

فعلى المسلم أن يتسامح وأن يغفر وأن يكون ذا حزم كبير إستجابة لقول الحق عز وجل (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) .

ولقد وضعت الشريعة الإسلامية حداً لتأديب الزوجة الناشزة كما جاء فى الآية الكريمة (واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى

المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) فيعمد الزوج إلى الموعظة الحسنة والنصيحة اللينة فيما بينه وبينها — لأن النصيحة فى الملأ قبيحة — ويذكرها بأوامر خالقة وفى وجوب طاعة الله ويبين لها ما ينتظر الأولاد من تشرد وضياع — كما قالت المرأة المسلمة لرسول الله ﷺ عندما جاءت تشكو زوجها الذى ظاهر منها (ولى منه عيال إن ضممتهم إلى جاعوا وإن ضممتهم إليه ضاعوا) فإذا لم ينصلح حالها بالموعظة جاء دور الهجر فى المضاجع وهو أن يترك المواقعة معها والمؤانسة حتى يحد من كبريائها بشرط أن لا يترك فراش الزوجية مثل أن ينام على طرف من الفراش ليثبت لها أن إرادته قوية ولا يعبأ بجمالها ما دامت غير مطيعة وهذا قد يؤدى بها إلى التراجع عن عصيانها وانضباط سلوكها فإذا لم يأت الهجر بنتيجة فعليه أن يستعمل النوع الثالث وهو الضرب وقد حدده المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى حديثه الشريف (واضربوهن ضربا غير مبرح) أى غير موجع وهو علاج للنساء اللاتى يتصفن بالشراسة ولؤم الطبع ولا تجدى فيهن الموعظة الحسنة ولا الهجر وقد جعل الشارع الحكيم الوسيلة الأخيرة فى الترتيب فمثله كمثل الدواء الأخير الذى لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة — وإذا كان لبعض الجهلاء أن يعترضوا على هذه الوسيلة فإن علماء التربية فى أوربا وغيرها من المجتمعات المتحضرة عادوا يطالبون بالرجوع إلى سياسة الضرب فى حالات الشذوذ وقد جربت هذه الوسيلة فى حالات نادرة فى التربية وأتت بثمارها لأن المشرع وهو الخبير بخلقه قد راعى نفسية النساء حسب أرقى نظريات التربية الحديثة فجعل العقوبة مختلفة من إمرأة إلى أخرى وقد عقب القرآن الكريم آخر الآية بقوله (فإن اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا) يقول ابن كثير فى تفسيرها وفيه تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب» والإسلام لا يبيح للرجال ضرب النساء إلا فى بعض الأحوال النادرة على أن يكون ضرباً غير مبرح أى خفيفا كأنه ضرب رمزى وقديما قال

المثل العربى آخر الطب الكى بالنار ، كذلك آخر وسائل العقاب هو الضرب ولا يكون ذلك أول الأمر ولا لأتفه الأسباب .

(ب) وإن إمرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليها أن يصلحا بينهما صلحا

قد يكون النشوز والإعراض من الزوج لأسباب كثيرة لسنا الآن بصددها . فعلى الزوجة أن تدرك بحسها الأمر الذى أدى إلى نفور زوجها منها وجعله يسعى للخلاص منها وذلك باستعمال ذكائها وكياستها وحيلها التى لا تنفد وأن تتدبر أمر زوجها فى تلطف وكياسة حتى تستطيع أن تعالج كل مشكلة بما يصلحها ولا بأس عليها أن تقبل أى أمر فيه إيلام لإحساسها وجرح لمشاعرها ولو أدى ذلك إلى هضم بعض حقوقها والتنازل عن مستلزماتها سواء كانت حقوقا مادية أو معنوية لأن الله يقول فى هذا النوع من النشوز (وإن إمرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير)نبين الله أن الصلح خير من التمسك بالحقوق والمتطلبات ورفع الله الحرج عن المرأة إذا تنازلت عن مهرها أو عن نفقتها أو أعطت زوجها مالا ترضيه به أو تركت حقها فى المبيت لزوجة أخرى إرضاء لزوجها حتى تخفف عليه مئونة النفقة ومئونة البيت إذا كان لا يرغب فيها وذلك أفضل من الفراق والطلاق لأن الصلح أفضل وأنفع .

ولقد حدث أن السيدة سودة بنت زمعة زوجة النبى ﷺ أحست بإعراض النبى صلوات الله وسلامه عليه — عنها — وأنه بصدد فراقها واتجاهه إلى طلاقها واكتشفت بحاستها الأنثوية أن رسول الله ﷺ

لا يعيب عليها فى خلق ولا دين وإنما لا ينشط إليها كما ينشط إلى نسائه لكبر سنها وبلوغها سن الشيخوخة وأنه يريد أن يسرحها حتى لا يلقى الله وقد أنقصها حقها . فسعت إليه رضى الله عنها وانتهت إليه أنها قد كبرت ولا حاجـــة لها إلى الرجال وأنها قد تنازلت عن ليلتها إلى السيدة عائشة رضوان الله عليها والتى أدركت أنها الحبيبة إلى قلب رسول الله ﷺ ولا مطمع لها سوى أن تحشر يوم القيامة مع أمهات المؤمنين رضى الله عنهن أجمعين . فعلى المرأة العاقلة الواعية أن تدرك أن الصلح خير من التمادى إلى الشقاق والنزاع وأفضل من الفرقة والطلاق ، ولقد نبه القرآن الكريم إلى خطورة البخل الذى هو الشح وأنه هو الذى يجعل النفوس تستعصى على الصلح سواء كان ذلك من الرجل أو المرأة فالله عز وجل يحذر منه ويبين أنه هو الداء الدوين لخراب البيوت ولهدم صرح الأسر فيقول (وأحضرت الأنفس الشح) فهـــذا هو الداء وهذا هو الدواء .

(ح) وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما .

عندما يحتدم الشقاق بين الزوجين ويحدث الخطأ من كل منهما وتبدو أواصر الرابطة الزوجية فى خطر فإن الإسلام فى تشريعاته يطالب المجتمع الإسلامى بالتحرك لرأب الصدع ومعالجة الأمر بتحكيم كتاب الله عز وجل بين الزوجين عملا بقوله تعالى: (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله وإلى الرسول) وعندئذ ينبغى على كل منهما أن يقول سمعاً وطاعة تعظيما لجلال الله وإلا يسرى عليه قول الحق عز وجل فى شأن بعض الناس (وإذا قيل له اتق الله أخـــذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) .

وأعود فأنصح بأن كل مشكلة . تبدو بين الزوجين فإن الأقرب إلى حلها أن تكون بينهما لا تخرج من باب حجرتهما . لأن الحرج يكون أبعد والاحتمال يكون أقرب .

بخلاف ما إذا اتسعت المشكلة وكثر الجدال فيها بين أطراف آخرين فإن الحرج لدى الزوجين يكون أكبر والإحتمال من أى منهما يكون أشد على النفس .

ولا بأس للزوج أن يتنـــازل ويتسامح لبعض تصرفات زوجته ولا بأس عليها أيضاً أن توارى على زوجها و تتنازل عن أخطائه وتتسامح فى تجاوزاته — فإن الرجل الذى يصبر على سوء خلق زوجته يعطيه الله مثل ما أعطى سيدنا نوح وسيدنا لوط عليهما السلام يقول الحق فى ذلك (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما) و كذلك إذا صبرت الزوجة على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ماأعطى آسيا بنت مزاحم زوج فرعون الذى قال الله فى شأنها (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين) .

كذلك لا بأس بأن يتمسح كل منهما فى الآخر لإيجاد صلح بينهما فذلك أدعى للمحبة وأقوى للمودة و كثير من النفوس تتأبى على الصلح وتلتمس التمسح فى أسبابه فمن الأمور الطريفة التى حكاها إمامنا الشيخ محمد الشعراوى فى أحاديثه التليفزيونية أن زوجاً خاصم زوجته وهجرها إلى حجرة أخرى. وطال الخصام بينهما مما ادى إلى تشوق كل منهما للآخر ، وكانت

الزوجة تحن إلى باب الغرفة عساها تسمع منه مايسر خاطرها فسمعته مرة يكلم نفسه ويتوسل إلى السيدة زينب رضى الله عنها فى تيسير أن تسعى إليه زوجته لتصالحه ، فذهبت إلى زينتها ودقت على باب الحجرة تدفعه وتقول إلى أين « واخدانى » باسيدة زينب ودخلت على زوجها بشغف وشوق .

فإذا استعصت المشاكل وجب على ولى الأمر «القاضى» أن يبعث حكما من أهله وحكما من أهلها تنفيذاً للآية الكريمة (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريد إصلاحاً يوفق الله بينهما) فاشترط أن يكون الحكمان من الصالحين ومن ذوى النيات الحسنة والقلوب المخلصة فإذا كانا كذلك وفقهما الله للصلح ولهذا روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه كان إذا أرسل حكمين وعادا من غير صلح علاهما بدرته وقال لهما إنكما لم تريدا الصلح لأن الله يقول إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما) وينبغى أن يكون الحكمان من أهل الزوجين لأنهما أحرص على مصلحتهما — وذلك ادعى لأن تكون المشاكل الزوجية فى أضيق الحدود بينهما فلا تتشعب ولا تشاع بين الناس وحفاظاً على أسرار الأسر والعائلات .

٣٢ — مرحباً بأول مولود وكل مولود

إن الولد نعمة كبرى من نعم الله عز وجل فقد جعله زينة الدنيا وجمال الحياة فقال تعالى : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا ...) ، وهو من الأثر الصالح الذى ينفع والديه بعد مماتهما .

فقد جاء فى حديث رسول الله ﷺ « إذا مات إبن آدم إنقطع عمله إلا من ثلاث . علم ينتفع به وصدقة جارية وولد صالح يدعو له » .. ولقد وضع الإسلام آداباً لاستقبال المولود وأرسى قواعد ثابته لتربيته على نهج سليم ، ومن هذه الآداب .

(ا) ألا يفرق الوالدان بين الأنثى والذكر فلا يفرحان بالذكر أكثر من فرحهما بالأنثى فإنهما لايدريان الخير فى أيهما . بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل.

فلقد روى الطبرانى أن النبى ﷺ قال « من كان له إبنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاءها وأسبغ عليها من النعمة التى أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة » .

(ب) ومن الآداب كذلك أن يؤذن فى أذن المولود . تيمناً واستبشاراً بأن أول صيحة يسمعها فى هذا الكون هى الله أكبر . فعن رافع عن أبيه قال : رأيت النبى ﷺ قد أذن فى أذن الحسن حين ولدته فاطمة رضى الله عنها . وروى عن النبى ﷺ أنه قال (من ولد له مولود فأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان) ،

(ح) ويستحب ختانه فى اليوم السابع وأن يتصدق بوزن شعره ذهباً أو فضة إن كان ذلك ممكناً فقد ورد أن النبى ﷺ أمر فاطمة رضى الله عنها يوم ميلاد الحسن أن تحلق شعره وتتصدق بزنته فضة .

(د) ويستحب أن يعق عن المولود فى يوم سابع مولده عن الذكر بشاتين وعن الأنثى بشاة واحدة ولا بأس أن تكون الشاة ذكراً أو أنثى فقد روى البخارى أن رسول الله ﷺ قال : (مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى » .

(ه) أن نسميه ونحسن إسمه . فقد روى البيهقى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إذا سميتم فعبدوا . . » وقال ﷺ فى حديث آخر « أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن . . » وقال عليه الصلاة والسلام (سموا بإسمى ولا تكنوا بكنيتى ، وكنيته ﷺ أبو القاسم ، قال العلماء كان ذلك فى عصره إذ كان ينادى يا أبا القاسم ، أما الآن فلا بأس ، نعم لا يجمع بين إسمه وكنيته لقوله ﷺ «لاتجمعوا بين إسمى وكنيتى » وتسمى رجل أبا عيسى فقال عليه السلام «إن عيسى لا أب له .

وكان ﷺ يكره أسماء بركة وأفلح ورحمة ويسار ونافع وأمثالهم لأنك إذا سألت ، أهنا يوجد بركة ؟ . فيقال لك . لا .

وكذا يستحب إختيار أسم حسن للفتاة . يشير إلى الحمد والعبودية والطاعة إلى غير ذلك من المعانى الكريمة السامية .

وقد أكد الإسلام على تسمية السقط تكريماً للإنسان فى كل مرحلة من مراحل حياته . قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بلغنى أن السقط يصرخ يوم القيامة وراء أبيه فيقول أنت ضيعتنى وتركتنى لا اسم لى فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدرى أنه غلام أو جارية ؟ فقال عبد الرحمن . من الأسماء مايجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة .

(و) من كان له اسم يكره أن ينادى به فيستحب تبديله فقد أبدل رسول الله ﷺ اسم العاصى إلى عبدالله وحرب إلى الحسن واسم برة إلى زينب .

(ز) ويستحب أن يحنك المولود بتمرة أو حلاوة. فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت ولدت عبد الله بن الزبير بقباء فأتيت به رسول الله ﷺ فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه (فمه) فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنكه بتمرة ثم دعا له.

وكان أول مولود في الإسلام ففرحوا به فرحاً شديداً لأنه قيل لهم إن اليهود قد سحرو لكم فلا يولد لكم.

(ح) ويستحب أن يلقنوه أول إنطلاق لسانه لا إله إلا الله محمد رسول الله ليكون ذلك أول حديثه.

وهكذا يتم تلقينهم لمبادىء الإسلام جرعة جرعة والأخذ على أيديهم لتعليمهم فرائض الإسلام،

تم بحمد الله

فإن كان صوابا فمن الله وبفضله وإن كان خطأ فمن نفسي ومن الشيطان

خاتمـــة

بقلم فتحى أحمد أحمد زحافة مأذون شرعى الجوسق مركز بلبيس
شرقيه ورئيس مكتب الجمعية بالشرقية

حمداً لله تعالى وأصلى وأسلم على سيدنا محمد خير البرية وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعـــد :

فقد وفق الله تعالى الأخ الفاضل والعالم الجليل الأستاذ محمد طاهر خراشى رئيس مجلس إدارة جمعية المأذونين الشرعيين بجمهورية مصر العربية إلى تأليف هذا الكتاب المبارك «تحفة العروسين ومرشد الزوجين» وهو كتاب قيم جاء نتيجة علم غزير وجهد كبير ليوضح لأبناء الأمة الأسلامية المعيار الإسلامى الصحيح عند القدوم على بناء أسرة أسلامية جديدة حتى تتحقق الراحة والسكن الغاية المنشودة من الزواج حسبما وضح المولى تعالى ذلك فى قوله جل شأنه (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة).

فأبان فضيلته فى هذا الكتاب القيم العظيم العراقيل التى تمنع الشباب من الزواج والفارق بين المتعة الحلال والمتعة الحرام ثم مايجب على الشباب من حسن اختيار للزوجة من منظور اسلامى يضمن الحياة المستقرة الهادئة الآمنة ثم لاينسى أن يهمس فى أذن الشباب ذكورا وإناثا بأن يراعوا الحقوق الزوجية التى تتطلبها الحياة الزوجية وأن يراعوا حل مشاكل حياتهم الزوجية بالحكمة والهدوء وتجنب الغضب لأتفه الأسباب .

كما أن المؤلف لم ينس أن يتطرق بنـا إلى آداب اللقاء الجنس بين

الزوجين والذى يحدث بسببه كثير من المشاكل التى تعصف بالحياة الأسرية فعالجها بمنطوق إسلامى رائع فى حدود تعاليم السنة المطهرة وأراء الأئمة الفقهاء — وعند حدوث المشاكل الزوجية عرض الحلول القرآنيه التى إذا اتبعها المسلمون انتهت مشاكل الحياه الزوجية وعاشت الأسرة فى هناءة وسعادة وتطرق بنا إلى كيفية استقبال أول مولود وكل مولود ومايجب أتباعه من حسن أختيار الأسماء وما يجب فى هذا الشأن .

ولا أملك إلا أن أدعو العلى القدير أن يتقبل منه عمله وأن يثقل به موازينه يوم القيامة وأن ينفع المولى تعالى بعمله الإسلام والمسلمين أمين

مراجع هذا الكتاب

١ ـ رياض الصالحين .

٢ ـ فقه السنة ـ للشيخ سيد سابق .

٣ ـ الطب فى القرآن ـ د . كمال مصطفى .

٤ ـ إحياء علوم الدين ـ للإمام الغزالى .

٥ ـ تفسير الإمام القرطبي ـ للإمام القرطبي .

٦ ـ أعداد من مجلة الصحة والقوة الانجليزية مترجمة .

٧ ـ السعادة الزوجية فى الإسلام .

٨ ـ مقال للكاتب الاديب ـ مصطفى صادق الرافعى .

٩ ـ بعض المجلات النسائية العربية القديمة .

١٠ ـ المرأة فى الإسلام ـ د/ عبد الله شحاته .

١١ ـ المرأة فى العصر الإسلامى ـ عبد المتعال محمد الجابرى .

١٢ ـ علم الإجتماع ـ الفليسوف الأنجليزى هيربرت سبنسر .

١٣ ـ تفسير إبن كثير ـ للأمام إبن كثير .

١٤ ـ تفسير المنار .

١٥ ـ المرأة فىالقرآن ـ للأستاذ محمد عزت دروزة .

١٦ ـ أحكام الأحوال الشخصية ـ د . يوسف موسى .

١٧ ـ الأسرة فى التشريع الإسلامى ـ الأستاذ / محمد فرج السنهورى .

١٨ ـ التفسير الواضح .

١٩ — تفسير في ظلال القرآن — للاستاذ سيد قطب .
٢٠ — المرأة بين البيت والمجتمع — الأستاذ البهي الخولي .
٢١ — الحركة النسائية في الشرق وصلتها بالإستعمار والصهيونية العالمية — للأستاذ محمد فهمي عبد الوهاب .
٢٢ — إلى كل فتاة تؤمن بالله — د . محمد البوطي .
٢٣ — المرأة والعمل — السيدة نبوية موسى .
٢٤ — الفقه على المذاهب الأربعة .
٢٥ — اللقاء بين الزوجين — للاستاذ عبد القادر أحمد عطا .
٢٦ — الإيضاح في علم النكاح — للأمام السيوطي .
٢٧ — المدخل لأبن الحاج
٢٨ — تحفة العروس — محمود مهدي إلاستانبولي .
٢٩ — ثمرة الأستشارة — د . فريدريك .
٣٠ — المرأة في القرآن — لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي .

فهرست الموضوعات

انتهى والحمد لله

صدر للمؤلف

١ ــ الدليل الفقهى للمأذون الشرعى ــ خلاصــــة لأهم مسائل الأحوال الشخصية فى الزواج والطلاق والميراث ومايتعلق بها .

٢ ــ أحكام قضائية فى فقه المأذونية ــ خلاصـــة لأهم قضايا الأحوال الشخصية فى الزوج والطلاق والميراث ومايتعلق بها .

٣ ــ التشريعات القانونية لأعمال المأذونية ــ يحتوى على لائحة المأذونين الشرعيين والقرارات الوزارية المعدلة لهاوالمنشورات والكتب الدورية كما يشمل لائحة الموثقين المنتدبين .

٤ ــ الحق الجلى فى منهج سيدى صالح الجعفرى .

٥ ــ تحفة العروسين ومرشد الزوجين .

وتطلب من جمعية المأذونين الشرعيين بجمهورية مصر العربية ٣ ع سرور اغا بشارع القلعة بالحلمية الجديدة القاهرة .

ماعدا الكتاب الرابع فيطلب من مكتبة دار جوامع الكلم بالدراسة والمكتبات الأخرى .

تحت الإعداد للمؤلف

١ ــ منازل الأشراف فى مصر .

٢ ــ قطوف من الحكمة النبوية وأزاهير من التراث الإسلامى لضبط السلوك الحضارى للإسلام فى مناحى الحياة المختلفة .

٣ ــ العطر الشذى فى معرفة علماء بنى عدى .

٤ ــ توثيق الزواج والطلاق عبر التاريخ الإسلامى .

٥ ــ مذاكرات مأذون .

دراسة تحليلية من الواقع وفى الصميم .

رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٩٢/٣٠٩٠ م
I, S . B : N · 977 - 00 - 3053 - 8

